

كتاب اليوم

# صوت من السماء

عبد الوهاب مطاوع



فريق  
متميزون



E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون).

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب النادر:



## كلمة مهمة:

هذا العمل (تحويل كتاب: صوت من السماء.. للكاتب عبدالوهاب مطاوع الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

# صوت من السماء

(٢٥ قصة إنسانية)

عبد الوهاب مطاوع

## المقدمة..

«صوت من السماء» هو عنوان إحدى قصص هذا الكتاب الواقعية ولقد اخترته عنوانا لهذه المجموعة تأثرا بما روته بطلّة القصة من أنها قد تقدم لخطبتها شاب لا تعرفه فشعرت حين رأته لأول مرة بالارتياح إليه وسمعت صوتا من السماء يهتف لها بأنه سيكون الزوج الذي تسعد به فتحمست لقبوله بالرغم من ضعف إمكاناته ووقفت إلى جواره خلال صعوبات البداية إلى أن اجتازها معا واستقرت بهما سفينة السعادة والأمان.

والحق إننا كثيرا ما نتطلع لما يخرجنا من حيرتنا حين تعدد أمامنا الاختيارات في بعض مواقف الحياة.. وكثيرا ما نحتاج لمثل هذه «الإشارة» الإلهية التي ترجح لدينا اختيارا على آخر.. أو تبشرنا بالسعادة الموعودة إذا نحن مضيئا قدما إلى ما اخترناه.

فالإنسان يفكر في أمره طويلا ويتحسب للعواقب المحتملة.. وبقدر النتائج المأمولة، ويميل لاختيار طريق محدد يمضي إليه، لكنه يحتاج بعد ذلك غالبا إلى من يزكى له هذا الاختيار.. ويشعره بأنه سيمضي فيه إلى السعادة والأمان.. ولقد يكون هذا الصوت الباطن هو «الإشارة» التي تحسم تردده.. وتحثه على الإقدام. كما قد يكون الرأي المخلص الذي يسمعه ممن يثق في اهتمامه. أمره. هو المرشد له للخروج من صحراء التيه والحيرة.

والإنسان دائما في حاجة إلى العطف والاهتمام بأمره ممن يحيطون به.. فإذا افتقد ذلك فيهم تلمسه لدى من يبذلون استعدادهم للتعاطف معه على البعد ولقد أولاني قراء بريد الجمعة شرف الثقة في احترامي لهمومهم الإنسانية واستعدادي لمشاركتهم إياها، فتدفقت على رسائلهم على مدى ما يقرب من عشرين عاما حتى الآن.

وفي هذا الكتاب مجموعة جديدة من قصص المهمومين والحائرين ومحاولاتي المتواضعة لإعانتهم على أمرهم.

عبد الوهاب مطاوع

## 1- صوت من السماء..

أردت أن أكتب لك هذه الرسالة لعك تجد فيها ما قد يستفيد به بعض الشباب والفتيات خاصة من يشكون منهم قلة الامكانيات وتعنت الأسر في المطالب المادية لإتمام الزواج، فأنا شابة في الثامنة والعشرين من عمري من أسرة طيبة، وتخرجت في إحدى كليات القمة، وحين كنت في السنة الأولى من المرحلة الجامعية تقدم لخطبتي أحد الشبان الأثرياء، وكان اليوم الذي سأبدي فيه رأيي بالقبول أو الرفض يوم جمعة فصليت صلاة الاستخارة ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يهديني إلى الرأي الصواب، وبالمصادفة البحتة وعقب انتهائي من الصلاة وقعت عيني على صفحة بريد الجمعة، وكانت المرة الأولى التي أقرأها، فإذا بي أقرأ رسالة بعنوان: «ألوان الورد» تحكى عن سعادة شاب وفتاة تزوجا على أساس من الحب وليس المادة فشعرت بأنها إشارة إلهية لي بالرد المناسب على الأمر الذي يشغلني فاستخرت الله ورفضت ذلك العريس الذي لم يكن بالنسبة لي سوى شاب في مركز مرموق وميسور الحال، ولم تعترض أسرتي على قراري، لكنه ومن ذلك اليوم أصبحت حريصة على قراءة بريد الجمعة وعلى الاحتفاظ بكل ما ينشر فيه من قصص، ومضت سنوات الجامعة وتخرجت في كليتي وعملت وبدأت مرحلة جديدة من حياتي..

وبعد عملي بفترة فوجئت بأحد زملائي في العمل وهو رجل صالح يطلب مني تحديد موعد لأحد أصدقائه لكي يزور أبي في بيته ويطلب يدي منه، واستجبت لطلب الزميل الفاضل وحددت لصديقه الذي لا أعرفه ولم التقي به من قبل موعدا مع أبي، وكان في أحد أيام الجمعة، وقبل أن يجيء الشاب إلى بيتي صليت صلاة الاستخارة مرة أخرى وسألت الله سبحانه وتعالى أن يرزقني زوجا صالحا يعفني ويحفظ على ديني، كما هدانا إلى ذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وحل الموعد وجاء الشاب واستقبله أبي في الصالون ودعيت بعد فترة لرؤيته لأول مرة، فما أن وقع بصري عليه حتى شعرت براحة قلبية غريبة تجاهه وأحسست أن صوتا من السماء يهمس في أذني بأن هذا الشاب سيكون زوجي الذي أسعد به ومعه إن شاء الله. وانتهت

المقابلة وانصرف الشاب شاكرا، وترقبت أن يبلغني أبي وأمي بترحيبهما المبدئي به ثم يسألاني عن رأيي فيه، ففوجئت بأسرتي تعلن رفضها القاطع له. وكانت أسبابها لذلك هي أنه لا يملك شقة في المدينة التي نقيم فيها، وليس له سوى شقة في قرية ريفية قريبة من المدينة، كما أن مستواه المادي ليس مرتفعا كمن سبقوه في التقدم لخطبتي فضلا عن أنه ليس خريج كلية جامعية مثلي، وإنما خريج أحد المعاهد العليا، وتفكرت طويلا في هذه الأسباب ورأيت أنها كلها ليست أسبابا شرعية للرفض بالرغم من احترامي الكامل لوجهة نظر أبي وأمي، بل وتقديري أيضا لحرصهما على سعادتي وطلبهما لي الأفضل، ذلك أنني قد وجدتهما لا يناقشان خلقه ودينه ومدى قربه أو بعده عن ربه، أو شخصيته ورجولته مع أن هذه هي العوامل الجوهرية والمطلوبة بشدة لإنجاح الزواج، وليست

الامكانات المادية أو الشقة المناسبة في المدينة فقط، كما أنني كنت قد تعلمت من بريدك أن المال وحده لا يجلب السعادة لأحد إن لم تساندته الفضائل الخلقية والقيم الدينية وحسن المعاشرة، فاستجمعت شجاعتي بعد شيء من التردد وأعلنت لأسرتي موافقتي على هذا الشاب بل وتمسكي به أيضا واستعنت بالله على محاولة إقناع أبي وأمي بهذا الشاب، لكن محاولاتي كلها باءت بالفشل، واعتصمت بالصبر في محاولة تغيير رأيهما، والتزمت معهما أدب الحوار، فلم تصدر عني كلمة واحدة تغضبهما مني والحمد لله، وحين وجدت أن توسلاتي إليهما لم تجد شيئا، مرضت وأصابني ما يشبه الذبحة الصدرية، مما دفع أحد أقاربي لأن يسألني: لماذا أتمسك بهذا الشاب بالذات وهل هناك علاقة غرامية بيننا تدعوني لهذا الإصرار عليه؟ فأجبتة صادقة بأن الله سبحانه وتعالى شاهد على أنني لم أعرفه ولم ألتق به ولم أره إلا يوم جاء إلى بيتنا لخطبتي، لكنه «القبول» الذي لم أستشعره تجاه أي»

إنسان آخر سواه، والأمر لله من قبل ومن بعد. وإزاء مرضي واستسلامي للحزن والكآبة لم يملك أبواي سوى الموافقة على خطبتي لهذا الشاب، وهما غير متحمسين وتمت الخطبة وكان يوما حزينا بالنسبة للأسرة ورأيت الحزن الصامت في عيون كل أفرادها، ولم أشعر بالفرحة التي ترقبتها، وبدأ خطيبي يزورني في البيت كثيرا فلم تمض فترة طويلة حتى كان قد استطاع أن يثبت للجميع حسن أخلاقه ورجولته، فلم يمانع أبي في عقد القران، وبدأ زوجي في إعداد مسكنه بالقرية، وشيئا فشيئا أصبح هذا الشاب الذي لم يرحب به الجميع في البداية أقرب إنسان إلى قلوب أبي وأمي وإخوتي وبدأت أنا أعطيه على حب الجميع له.. وخلال ذلك حاولت مساعدته على إتمام الزواج فاشتركت في جمعية ادخار بمعظم مرتبي سرا، وقدمت له مبلغ الجمعية ليستعين به على أمره، ثم بدأت أخرى واشترت بقيمتها بعض الأشياء اللازمة للجهاز وزعمت لأسرتي أنه هو الذي اشتراها بماله لكي أعزز موقفه أمامها، واقترب موعد الزفاف ولم يكن زوجي قادرا على شراء الفستان الأبيض كما كان مطلوبا منه، فاشترتته أنا سرا وأخبرت أسرتي أنه قد اشتراه، وتم الزفاف السعيد وانتقلت مع زوجي إلى شقته بالقرية الريفية وبدأنا حياتنا الجديدة بأداء ركعتي شكر لله سبحانه وتعالى الذي جمع بيننا، ومن اللحظة الأولى التي بدأنا فيها حياتنا معا وجدت في زوجي كل ما أتمناه في شريك الحياة من حب وحنان ومراعاة لمشاعري، وشعرت بأنني امرأة وهو الرجل، فلم أقدم على أي عمل إلا باستشارته وقبوله، واستشارني هو في كل شيء، وحرص كل منا على ألا يغضب الآخر منه.

وواجهتنا في البداية صعوبات مادية شديدة، فلقد كان زوجي مدينا بديون ثقيلة اقترضها من أصدقائه لإتمام الزواج، وعليه أن يبدأ سدادهما على الفور، فطلبت من زوجي ألا يعطيني من مرتبه سوى 50 جنيها فقط كل شهر ولسوف أدبر أمور معيشتنا كلها بهذا المبلغ الضئيل مع مرتبي الذي لم يكن يزيد وقتها على مائة جنيها، وفعل زوجي ذلك واشترك ببقية مرتبه في جمعية لسداد الديون، ولم تمنعنا الضائقة المالية من أن نستشعر السعادة والحب في حياتنا.

كما لم تمنعنا كذلك من أن يقدم كل منا للآخر هدية بسيطة في عيد ميلاده أو عيد الزواج مصحوبة بأرق الكلمات ولا من أن نخرج من حين لآخر للنزهة لكي نجد نشاطنا، وراح زوجي يعمل ساعات طويلة للغاية لكي يسدد ديونه والتزاماته حتى أشفقت عليه من المجهود الزائد الذي يبذله، وفي محاولة مني لتخفيف العبء عنه قدمت له دون أن تعلم أسرتي شبكتي لبييعها ويسدد بثمنها بعض لأن دور الشبكة قد انتهى في نظري بمجرد أن شاهدها الناس في حفل الزفاف، وليس من الحب أن أرى زوجي وهو يختنق ويكافح كفاحا مريرا لسداد ديونه ولدى ما أستطيع مساعدته به ولا أقدمه له

طواعية، وأنجبت مولودتي الجميلة ولم يعلم أحد أبدا من أهلي أو من الآخرين أننا في ضائقة مالية شديدة، وبتوفيق من الله استطاع زوجي خلال عامين فقط من الزواج سداد جميع ديونه وتنفسنا الصعداء، وبدأنا نستشعر الراحة في حياتنا، وقمنا بشراء بعض الكماليات التي كانت تنقصنا، وحرص زوجي دائما على أن أصل رحمي وأن يصل هو رحمه وحرص على مجاملة أهلي، كما احرص على مجاملة أهله الذين يحبونني كثيرا، فسبحان من بفضله تتم الصالحات، فلقد هبطت علينا جوائز السماء التي تعد بها في بريدك الصابرين والصامدين لصعاب الحياة، وحصل زوجي على ترقية في عمله لا يصل إليها أحد إلا بعد سنين طويلة من العمل وزاد دخله كما زاد مرتبي أنا أيضا فتحسن وضعنا المادي كثيرا وتم لنا شراء كل الكماليات التي كنا في حاجة إليها، ونحن الآن نستعد لبناء شقة خاصة بنا في المنزل الذي يملكه والذي في مدينة اسرتي وكل ذلك بفضل الله وفضل اجتهاد زوجي وعمله ليل نهار لإسعادنا وبفضل تعاوننا معا على طاعة الله، ولم نكن نستطيع التغلب على كل هذه المشاكل التي واجهتنا بغير الحب الذي هون علينا كل الصعاب، ولقد كتبت رسالتي هذه للفتيات اللاتي يتمسكن بالشقة في المدينة والامكانات المادية الكبيرة للزوج، وأقول لهن إنه إذا كانت أسعار الشقق في المدينة تفوق قدراتنا فلماذا لا نتجه إلى الريف أو المدن الجديدة خاصة أن المواصلات وخطوط التليفونات قد قصرت المسافات، ولماذا لا نتعاون مع الشباب على تذليل الصعاب؟ السعادة تتحقق بها وحدها ولا تقتصر على مساكن الأحياء الراقية. وإنما تولد في كل مكان يجتمع فيه قلبان على الحب الصادق والإخلاص والوفاء، و الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## ولكاتبه هذه الرسالة أقول:

نعم يا سيدي «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله» فالحق إنه تأسرتي دائما صورة الزوجة الشابة المحبة التي تختار شريك حياتها بهدى من تعاليم دينها التي ترجح الأخلاق والدين على بقية الاعتبارات، فتتحمل مع زوجها بارادتها واختيارها صعاب البداية وتستعين بحبها له وحبها لها على مغالبة الظروف القاسية واحتمالها، حتى إذا اجتازا الصعاب معا وتنسما بعض نسائم الراحة واليسر في حياتهما، سلم كل منهما للآخر بانه لولا مساندته



له وإيمانه به حتى في أحلك اللحظات لما نجت السفينة من التحطم فوق الصخور ولما حققا معا ما حققاه من نجاح.

إنها قصة الأمس واليوم والغد، قصة إعلاء العاطفة الصادقة والأخلاق والدين على ما سواها من الاعتبارات الأخرى التي لا تحقق وحدها السعادة وإن عظم شأنها وقصة الاستعداد للتضحية ببعض متاع الحياة في سبيل انتصار الحب على الصعاب، والصبر على الظروف غير المواتية والكفاح المخلص لتغييرها إلى الأفضل، فلا عجب أن يكون ما يحققه التعاون المخلص بين شخصين ارتضيا طريق الكفاح بشرف لتحقيق أهدافهما في الحياة أعلى قيمة وابلغ أثرا في حياتهما من مثيله لدى الغير فلقد كان الإمام ابن حزم يقول: إن أسرع الأشياء نموا أسرعها فناء، وابطاها حدوثا أبطؤها نفاذا، وما دخل عسيرا لم يخرج يسيرا، والحق أن لكل زوجة محبة «إبداعها الخاص» في حياة زوجها، ولكل زوج عاشق كذلك إبداعه الشخصي في حياة زوجته، غير أن إبداع الزوجة أعمق أثرا على الحياة المشتركة بينهما لأنها عماد الأسرة، وخازنة بيت مالها وكاتمة أسرارها، والقادرة إذا أرادت على الصبر على ما قد يضيق به أحيانا صبر زوجها نفسه، كما إنها أيضا القادرة على صنع المعجزات أحيانا حين يصح عزمها على إبقاء السفينة طافية فوق سطح الماء مهما زمجت حولها الأعاصير.

ولقد بدأ «إبداعك» الخاص في حياة زوجك بقبولك له استجابة لهمس السماء لك بأنه قد يكون الزوج المنشود الذي يطمئن به جانبك واستشرافا لحسن المال معه بالرغم من ظروفه غير المواتية، وإشفاق أسرتك عليك من مكابدة شظف العيش معه، ثم تجلى هذا الإبداع في ارتضائك طريق الصبر والكفاح معه والتضحية من أجله بما تملك يداك من أجل إنجاح الحياة الزوجية واستمرارها.

فكان عطاؤك له عطاء المحب المؤمن بشخص يضحى من أجله، ويؤمل منه خير الجزاء.

فصدقت فراستك في حسن اختياره بالرغم من أنك لم تريه إلا يوم جاء يطلب يدك، وأثبتت لك الأيام أن ما صادفه من قبول فوري في نفسك وقلبك كان له ما يدعمه ويرسخه من كرم الأخلاق وحسن السمائل، فكأنما تذكريننا بما نبهنا إليه الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه من أن الأرواح جنود مجندة ما تآلف منها انتلف وما تنافر منها اختلف. وهي الحقيقة النفسية التي أكدها فيما بعد علماء النفس المحدثون، وبالغ في الإيمان بها الفيلسوف الألماني شوبنهاور حتى قال إن وجه المرء أدل على حقيقته من لسانه، لأن اللسان قد يكذب ويخدع، أما الوجه في رأيه فهو مرآة شخصية المرء وأفكاره واتجاهاته، لأن الوجه كما يقول لا يخطئ لكننا نحن الذين قد نخطئ أحيانا في قراءته.

وهو رأى يحتمل المناقشة لكن بعض مؤيديه يؤمنون بما قاله الكاتب الإنجليزي اللورد تشستر فيلد من انه: إذا أردنا أن نعرف حقيقة الشخص الذي يتحدث إلينا فلننظر في وجهه لأنه قد يستطيع السيطرة على لسانه فلا ينطق بما لا يريد له البوح به، اما الوجه فإنه لا يستطيع غالبا أن يسيطر عليه، وعلى أية حال فإن لكل

قاعدة استثناء.. ومن محاسن الصدف أن صدقت معك القاعدة ولم تستخدم استثناءاتها معك.. فأكدت المعاشرة صدق الحس التلقائي بالارتياح النفسي لمن اختاره القلب من النظرة الأولى لرفقة الحياة، ومن غرائب النفس البشرية أن الإنسان مهما أوتي من علم أو خبرة بالحياة فإنه لا يستطيع أبدا أن يعرف لماذا استراح لإنسان يراه لأول مرة، أو لماذا لم يشعر بالارتياح لآخر رآه كذلك للمرة الأولى، مما يعيدنا من جديد إلى نظرية الأرواح المجندة التي أثبت العلم فيما بعد صحتها وفسرها.

فأما ما توقفت أمامه أيضا في رسالتك فهذا هو النوع الإيجابي من العاطفة الغامرة التي تحملينها لزوجك وشريك حياتك، ذلك أنه حب بان للرجال وحافظ للكرامات والكرامات، وقد تبدى ذلك في حرصك على إعانة زوجك على أمره وإظهاره في نفس الوقت بالمظهر الذي لا يتعارض مع كرامته كرجل اضطرته قسوة الظروف لقبول مساعدة شريكته سرا له في بعض ضروريات الزواج، كما توقفت أيضا أمام إشارتك الواعية إلى أن الأسباب التي رفض الأهل من أجلها زوجك حين تقدم لك كانت بالرغم من وجاهتها ومنطقيتها أسبابا «غير شرعية» لأنها لا تتعلق بدينه وخلقه، وإنما بظروفه التي قد يشاركه فيها الكثيرون ولم يردها أحدهم لنفسه، فإذا كان زوجك قد نجح بسجاياه الأخلاقية ورجولته في اكتساب مودة اهلك بعد الرفض المبدئي له.. فلأن الأهل إنما يسعدون يا ابنتي في النهاية بمن يسعد أبناءهم، حتى ولو كرهوه في البداية أو تخوفوا عليهم منه.. والهدف في البداية والنهاية هو سعادة الأبناء، فإذا تحققت على يد من استشعروا القلق تجاهه أو تشككوا في قدراته في البداية، زالت كل الاعتراضات وسقطت الحواجز وتحول الرفض إلى قبول، والفتور إلى محبة واعتزاز. وشكرا لك.

## 2- الضوء المبهر

أنا شابة أبلغ من العمر ٢٨ عاما. نشأت في أسرة ميسورة الحال وتولى تربيتي وتنشئتي ثلاث شخصيات، الأولى والدي بدراسته الدينية المستفيضة، والثانية والدي المتعلمة المثقفة بعقلها الراجح وبساطتها، أما معلمي الثالث فهو «بريد الجمعة» فلقد تفتحت عيناى على بابك الجميل الذي أدمنته ولم تكن قراءتي له قراءة سطحية وإنما قراءة عميقة أتعلم خلالها من أخطاء الآخرين الذين يكتبون لك وأتعلم من ردودك عليهم، وكنت ومازلت أحتفظ بالكثير من الرسائل الجميلة التي نشرت في بريد الجمعة، إما لأنها رائعة ولا تنسى وإما لأنها صادفت هوى في نفسي، منها رسائل «رحلة القطار» و «تحت المائدة» و «أرض الأحلام» و «الملابس المتهذلة» و «الفندق» و «نفثة في الهواء» وغيرها الكثير.

ولقد قوم «بريد الجمعة» من سلوكي كثيرا فتخلت بإرادتي عن العناد ومناطحة أبي وأمي في كل أمر وابتعدت عن التعقيد وكل ما من شأنه إثارة القلق والمتاعب حولي، وسارت حياتي هادئة وأصبحت الأثيرة عند أبي وأمي بالرغم من أني الابنة الوسطى، وأسبغ الله من فضله على الكثير فكنت دائما من المتفوقين والتحقت بكلية الصيدلة ومضت بي السنون وفي السنة النهائية فاجأتني حالة من الخوف المستمر لم أجد لها تفسيراً فوجدتني لا أقوى على دخول لجان الامتحان وبصعوبة بالغة ذهبت إلى الكلية وأديت الامتحانات ونجحت وأنا لا أصدق أنني قد اجتزتها، وفي هذه الأثناء التمسيت العلاج النفسي من الخوف الغامض وبدلاً من أن يعالجني الطبيب النفسي وقع في غرامي على عكس المتوقع في هذه الحالات، فتركته وأيقنت أنه لا مخرج لي من هذه الأزمة إلا بالجوء لله واستغنت بالصبر والصلاة على هذا الخوف الغريب وكنت أعلم أنه ابتلاء من الله لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه، وبعد تخرجي عملت في صيدلية قريبة من منزل والدي يملكها صيدلي كان له أكبر الأثر في حياتي فحدثته عما أعانيه من هذا الخوف الغريب بعد ما لمست من تدينه وقربه من الله وأيد تفسيرى له بأنه ابتلاء من الله ليختبر به إيمان عباده الأحياء وأمرني أن أتذكر هذه المرحلة من عمري جيداً ولا أنسى ما مررت به من عذاب بسبب هذا الخوف حتى يكون دافعا لي لأن أضع الله أمامي دائما وقبل أي خطوة أخطوها وقبل أي كلمة أنطق بها.. وقال لي أيضا إن الذهب لا بد أن يصهر لكي يصبح سبيكة وكذلك العباد الصالحون الذين يريد لهم الله مرتبة معينة لا بد أن يصهروا بنار التجارب المريرة، وكنت أفتح أذاني لأسمع كلامه واحفظه وقضيت عند هذا الصيدلي عشرة أشهر كاملة كان لي فيها بمثابة الأب وكنت له بمثابة الابنة لأن الله لم يرزقه الأبناء، وخلال هذه الفترة تقدم لي كثيرون رفضتهم لأنى كنت أتمنى فارسا في خيالي أشعر بأنه لا وجود له في عالم الواقع.

وذات يوم جاء إلى الصيدلية التي أعمل بها صيدلي شاب أعرفه جيدا لأن صيدلية والده تقع على ناصية الشارع الذي نساكن فيه وكان يعرفني معرفة عابرة، وأكن له الاحترام والتقدير ولا شيء أكثر من ذلك فوجدته فجأة يسألني ما إذا كنت

مرتبطة أم لا.. فأجبتة بالنفي ووجدته يطلبني للزواج ويخبرني أنه يريد أن يقابل والدي.. وفي هذه الجلسة عرفت منه أيضا أنه سبق له الزواج وأنه طلق زوجته بسبب عدم الإجاب فطلبت مهلة للتفكير، وأخبرت أبي وأمي بالأمر فوجدتهما يرحبان به لسمعة والده الطيبة ولأن موضوع زواجه السابق لا يعيبه لكني لم اقتنع بهذا الكلام وجلست معه عدة جلسات لم أشعر بعدها بالارتياح فقررت رفضه في النهاية ثم جاء والده إلى منزلنا وجلس معي جلسة طويلة أجاب فيها على كل الأسئلة الحائرة التي تدور بداخلي وعلمت بعد ذلك أن زوجته السابقة كانت تعلم أنها لن تنجب منذ أن كانت فتاة عذراء لكنها أخفت عنه هذا الأمر وبعد الزواج بستة أشهر صارحته بالحقيقة وبأن لها ملفا عند أكبر أساتذة النساء في مصر فانطوى على المرارة تجاهها ثم صبر عليها أربع سنوات لم تقبل خلالها أن تقوم بعملية واحدة وأرجأت الأمر إلى أن يحدث الحمل تلقائيا بدون علاج، فاستجمع أمره وقام بأداء العمرة ورجع منها بقرار الطلاق وعندما علمت ذلك هدأت هواجسي وقبلت الزواج منه وكان هو مستعدا ماديا بالرغم من أن زوجته السابقة أخذت كل ما في الشقة من أثاث ولم تترك حتى الأشياء الشخصية التي اشتراها لنفسه وكان أبي مستعدا أيضا من الناحية المادية فتزوجنا سريعا بمجرد إعداد الشقة، وبعد الزواج اكتشفت صفات زوجي الرائعة من الأخلاق الراقية إلى الكرم الزائد إلى الهدوء فكان بحق الفارس الذي طالما حلمت به من قبل وتعجبت لزوجته السابقة كيف لم تضح ولو بنفسها من أجل إنسان كهذا وكانت بداخلي أسئلة كثيرة عن حياته السابقة وظروف طلاقه اتحرق شوقا لكي أعرف إجاباتها منه ولكني كنت قد اتفقت معه اتفاقا ضمينا الانفتح باب الكلام في هذا الموضوع، فمضى أول عام على زواجنا وأنا أتعامل معه بحدة وعصبية وأنصيد له الأخطاء! وفي هذه الأثناء كان موضوع الخوف السابق مستمرا وإن كانت حدته قد خفت قليلا وكنت أتعجب لعدم اختفائه من حياتي بالرغم من أن هناك الكثير الذي يشغني عن التفكير فيه، كما كانت لي صديقة قريبة من قلبي تحثني دائما على أن أكون حسنة الظن بالله وكنت أبكي لسماعي ذلك منها وأسأل نفسي: ألسنت حسنة الظن بالله؟ إنني أرى أني وثيقة الصلة بربي.. إذن لم كل هذا الخوف؟ أما عن علاقتي بزوجي الحبيب ففي نهاية العام الثاني لزواجنا أتت اللحظة السحرية التي تتحدث عنها دائما في ردودك وفتح هو باب الكلام عن حياته السابقة ووجدتني أسأله كل الأسئلة التي حيرتني وأسئلة أخرى كثيرة كنت لا أستطيع أن أسأله إياها قبل الزواج.

وطال بنا السهر يومها وأجاب على كل ما كان يثير قلقي بشأن حياته السابقة، وهدأت خواطري تماما بعد ذلك وصفت لي الحياة معه.. فلم نختلف بعد ذلك أبدا وأصبحت رحلتنا معا شهر عسل، متصلا وأنجبت طفلين تقاسما بالعدل جمال القمر، وسافرنا منذ 4 شهور في إجازة قصيرة إلى الغردقة.. وهناك أقدمت على خطوة أغضبت مني زوجي بعض الوقت لكنه تجاوز عن غضبه بعد قليل بسماحته المألوفة فلقد وهبني الله شعرا نادر الجمال لم أضع فيه مقصا منذ صغري وتركته على طبيعته فطال واسترسل حتى أصبح فتنة للناظرين، وقررت أن أخفيه عن العيون فلا يراه إلا من سيكون لي زوجا في المستقبل فارتديت الحجاب وأنا في

المرحلة الإعدادية، ولم أخلعه عن شعري إلا أمام زوجي بعد عقد قراننا.. ورأى زوجي لأول مرة شعري الطويل المسترسل الذي يصل إلى الساقين، فانبهر به واتسعت عيناه من الدهشة والانبهار، وكان دائما شديد الإعجاب به، وفي رحلة الغردقة هذه قررت فجأة أن أقصه من باب التغيير ولكيلا يمل زوجي منظري الذي لا يتغير، وأقدمت على ذلك دون استشارة زوجي، وبالفعل استشاط غضبا ثم رجعا من الإجازة ومضت بنا الحياة جميلة واعدة لا يزعجني فيها شيء سوى أن طفلي الرضيع والسبب لا أعرفه، كان يرفض الرضاعة من أحد الثديي، ويرضع بصعوبة من الثدي الآخر، وتشعرتني الرضاعة بالألم في صدري وبعد استشارة الطبيب وزيادة الألم قررت فطام صغيري وهو في الشهر الثامن من عمره ووعدني الطبيب باختفاء الألم من صدري بعد أن يجف لبنه، لكن اللبن لم يجف والألم لم يختف.. وفي هذه الفترة من حياتنا الزوجية قررت أنا وزوجي الحبيب أن ننقل من الحي الذي نقيم فيه إلى حي أجمل وبدأنا رحلة البحث عن شقة جديدة ملائمة وأعيانا البحث عنها بالرغم من كثرة المعروض من الشقق، وذات ليلة رأيت في نومي نورا مبهرا يضيئ شقتنا، وتغشى منه العيون، ونهضت من نومي مستبشرة خيرا بقرب العثور ، على الشقة المأمولة وبعد يومين فقط من هذا الحلم الجميل وفقنا الله سبحانه وتعالى للعثور على شقة أقرب ما تكون إلى القصر منها إلى الشقة السكنية، واتفقتا مع صاحبها على كل التفاصيل بلا مشاكل، وخرجنا من عنده وأنا أتبه زهوا بحياتي.. انظر لي نفسي فأراني قد ازددت جمالا.. وإلى حياتي فأرى لي زوجا تحسني عليه الأخريات وطفلين يلفتان النظر بجمالهما وشقة فاخرة وسيارة جميلة وصيدلية ناجحة، وأهلا كراما يحبونني وأحبهم وصديقات أتشارب معهم الود الصافي فماذا ينقصني، وفي غمرة هذا الإحساس الشامل بالرضا والزهو وجدت نفسي أتساءل صامتة في إشفاق: ترى ماذا ستأخذ مني يا رب لكي تتزن المعادلة؟

إن كل شيء في صالحني الآن ويدعوني للفخر والابتهاج.. فهل ستمضي الحياة على هذا النحو الجميل إلى النهاية؟ وعادني شيء من الخوف الغامض الغريب الذي سبق أن هاجمني طويلا قبل التخرج، ثم لازمني بدرجة أخف بعد ذلك، وبعد يومين فقط من هذا التساؤل شعرت ببعض الألم في صدري وتوجهنا للطبيب الذي أحالنا إلى أستاذ مشهور وبعد فحوص سريعة فوجئت به يبلغنا بطريقة مباشرة وبلا أي محاولة للتخفيف عنا أن المرض اللعين قد هاجمني في صدري، وأن الحالة متأخرة ستة شهور عن موعد الاكتشاف الملائم، وأن زوجي إذا كان يريد لي أن أحيأ فعليه أن يدخلني المستشفى غدا على أكثر تقدير لإجراء جراحة الاستئصال العاجلة بلا تأخير! وانخرط زوجي في بكاء مريع لم يستطع منعه أو التحكم فيه أمام الطبيب المشهور الذي أعلنه بالخبر على هذا النحو القاسي، وانفجرت دموع أمي كالسيل، أما أبي فقد كان لحسن حظه مسافرا للخارج لكنه علم بالخبر من أمي في نفس الليلة ولن أصف لك حاله حينذاك رحمة بقراء هذا الباب.

وفي اليوم التالي دخلت المستشفى وتم تحضيرى للجراحة على وجه السرعة، وعلى خلاف عادتي في قراءة شيء من أي الذكر الحكيم كل صباح، فأني لم أقرأ القرآن في ذلك اليوم وإنما تلوت الشهادتين.. ورحت أكررها حتى غبت عن الوعي، وسرى في مفعول المخدر وتمت الجراحة بسلام. ومررت بعدها بفترة عصيبة حتى استرددت قواي الخائفة، ووجدت نفسي غارقة في طوفان من المشاعر الجياشة التي غمرني بها الجميع، حتى أن أشخاصا لم تكن معرفتي بهم قد تجاوزت الشهرين قبل المرض قد جاءوا لزيارتي في المستشفى وغمروني بعطفهم وتشجيعهم، أما زوجي وأمي وأبي وإخوتي فلقد أحاطوني بحبهم ورعايتهم ومشاعرهم، وبدأت أتلقى العلاج الكيماوي اللازم بعد هذه الجراحة، واستغرقت هذه المحنة العصبية شهرين حتى الآن وخرجت منها بعدة خواطر وتأملات أريد أن أشركك أنت وقراءك معي فيها، فلقد وجدت فيما جرى لي تفسيراً لذلك الحلم الغريب عن الضوء المبهر الذي رأيته يغمر شفتي حتى تغشى منه الإبصار، وظننته في وقتها بشارة العثور على الشقة الملائمة وأدركت أن هذا التفسير لم يكن صحيحاً وأن هذا النور الذي رأيته كان إشارة مسبقة إلى نور الله الذي غمر قلبي يوم الجراحة وجعلني لا أحتاج إلى أحد.. ولا أتطلع إلى غيره، وحاشاي أن أفعل وقد كان الله يملأ جوانحي ويبدد وحشتي وخوفي.

كما لاحظت كذلك أنني حين عرفت الخبر وانخرط زوجي في البكاء لم أبك وإنما اجتاحني شعور غريب بالأمان والاطمئنان، وزال عني الخوف الغامض الذي حدثتك عنه من قبل، وأحسست بأن ما أعانيه لن يكون سوى أزمة عابرة وتذهب إلى حال سبيلها وهكذا فلقد وجدتني بعد الجراحة مستبشرة ومبتهجة وزارني الجراح الذي أجرى العملية فوجدني أضحك ولا أشعر بالحزن على فقدي لجزء من أنوثتي. فسعد كثيرا بحالتي النفسية وقال لي إنها جزء مهم من شفائي، وبالفعل فلقد كانت ومازالت معنوياتي عالية ولم يكن يقلقني سوى زوجي الحبيب الذي اعتصره الألم من أجلى ولم يستطع أن يخفى ألمه بالرغم من رؤيته لي وأنا سعيدة ومبتهجة بعد الجراحة.. ولقد شددت من أزره وقلت له إننا سوف نهزم السرطان بالسعادة، وإن ذلك هو العلاج الأقوى له، فقويت عزيمته بعد أن رأى تماسكي.

كما قد فهمت أيضا سر هذا القرار المفاجئ الذي اتخذته قبل أربعة شهور بقص شعري الطويل المسترسل وأدركت أنه كان رحمة من الله بي ولذلك كنت قد احتفظت به حتى داهمني المرض.. هل كنت سأحتمل منظره وهو يتساقط أمامي بسبب العلاج الكيماوي أم كان قلبي سينفطر حزنا عليه؟ وحمدت الله كذلك أن جعلنا برحمته من القادرين على تحمل نفقات العلاج الباهظة، وفكرت في حال غيرى من المعدمين الذين لا يقدرّون على تحملها، ولم تكن ننتظر هذه المحنة لكي ندرك ذلك فكان جزء ثابت من زكاة مالنا يذهب دائما للمعهد الذي يعالج البسطاء من هذا المرض الخطير، سواء بالنسبة لزوجي أو لأبي.

ولقد حمدت الله أيضا أن ما حدث لم يصب أحدا سواي وتساءلت: كيف كنت سأحتمل الحياة لو كان ما حدث لي قد أصاب أبي أو أمي أو زوجي، وعرفت من

هذه المحنة أيضا أصدقائي من غيرهم، فبعض من كنت أحسبهم أصدقاء لم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال عني، وبعض من كنت أحسبهم من المعارف قد أظهروا لي من صادق الود والاهتمام ما يجعلني مدينة لهم بالشكر طوال الحياة أما أهم الخواطر والتأملات فهي أنني قد تعجبت لنفسي حين أبلغنا الطبيب الكبير الخير بطريقة خالية من الرحمة، فلقد كانت فكرة الموت بعيدة تماما عن خاطري، فعرفت من المحنة أنني كنت مغرورة بشبابي وصغر سني، وسألت نفسي لماذا لم تتعطي أيتها المغرورة بوفاة صديقة طفولتك وهي تضع مولودها الأول في عمر الثالثة والعشرين واكتفيت بتوديعها بالدمع السخين، دون أن تتحسبي لاحتمال اقتراب نفس هذا الزائر منك! وهل لا بد أن يحدث للمرء حادث جلل لكي لكي يعرف أن الموت زائر قريب لا يرتبط بالأعمار ولا المواعيد ويمكن أن يحل فجأة في المكان!

لقد شكرت الله على أن نبهني إلى ذلك لكي استغفره كثيرا وأستعد للحياة طاهرة من كل ذنب في أي مرحلة من العمر، وهذا أفضل كثيرا من أن تنطوي صفحة الحياة فجأة وفي العمر ما فيه من الذنوب التي لم يكفر عنها المرء بعد.. ولم يستعد للقاء الحبيب، كما قد تذكرت كلمات الصيدلي الذي عملت معه في البداية بأن أضع الله نصب عيني دائما في كل لحظة وكل خطوة.. ولقد التزمت بذلك ولم يبق لي من رجاء سوى أن يمنحني الله الوقت والعمر لكي أزور بيت الله الحرام الذي زرته من قبل في طفولتي، وكل ما أرجوه منك ومن

قرائك الأعزاء هو أن تدعو لي الله بالشفاء وبأن يطول عمري حتى أتمكن من زيارة بيت الله الحرام لأرجع منه كما ولدتني أمي، وعندها لن يشغل خاطري أمر الطفلين اللذين لم يكمل أصغرهما عامه الأول لأنهما سيكونان دائما في رعاية من هو أكبر وأعظم من الجميع جل شأنه، وأخيرا فإني أتمنى أن التقى بك أنا وزوجي في مكتبك لأسمع منك.

ولكتابة هذه الرسالة أقول

ذكرتني رسالتك المعبرة هذه بما كان يقوله حكيم الهند طاغور عن نفسه وقد كابد من آلام الحياة الكثير، من أنه يداوى الآمه بالتأمل و «الفرح الداخلي» الذي يصهر به الألم في بوتقته الداخلية ويحيله إلى فهم أعمق لحقائق الحياة والحق أن في رسالتك يا سيدتي الكثير والكثير مما يستحق الوقوف أمامه وتأمله والتفكير فيه، غير أن أكبر ما يدعو إلى الإعجاب به منها هو هذه النفس الجميلة المطمئنة الخالية من المرارة والمتفائلة بالحياة والعامرة بنور الإيمان المبهر، التي تأملت كلماتها الحكيمة وسطورها النبيلة.

لقد قرأت ذات مرة كلمة جميلة للمفكر العربي السوري الدكتور مصطفى السباعي يقول فيها: من عرف ربه رأى كل شيء في الحياة جميلا! وانت قد عرفت ربك وغمر ضوء الإيمان الباهر جوانحك، فأحال كل شيء في الحياة حتى محنها وآلامها القاسية لديك إلى أمان واطمئنان، وثقة في رحمة الله ورعايته للمتقين،

فلا عجب في أن تتخلصي من الخوف المرضى الذي داهمك لعدة سنوات من قبل وكاد يقعد بك عن استكمال الدراسة فكانما قد كان إرهاصا غامضا بما تدخره لك الأيام من اختباراتهما فما إن وقعت حتى تخلصت أنت من سطوة الخوف عليك وسكنت نفسك وتحفزت إرادتك لمغالبة شدائد الحياة والصمود لها.

ولقد رويت من قبل قصة من الأدب القديم عن رجل سطا لص على بيته فسرق كيس نقوده، فما إن اكتشف ذلك حتى استسلم للغم بضع دقائق ثم ما لبث أن تفكر قليلا فيما وقع له ثم نفى عنه غمه وقال لمن معه: أحمد الله أنها أول سرقة أتعرض لها وأحمد الله على أن المبلغ المسروق وإن كان كل ما أملك في هذه اللحظة إلا أنه ليس كبيرا، وأحمد الله على أن اللص الذي سرقني لم يقتلني وهو يسرقه، أما أعظم ما أحمد الله عليه فهو أنني المسروق ولست السارق مما يعني أن لدى ما يستحق السرقة، ويعني أيضا وهو الأهم أنني رجل شريف! وهكذا فقد أحال الرجل ما أصابه إلى حدث يذكره بنعمة الله عليه وليس إلى أمر يستثير نقمته على أقداره.

ولقد نحتاج أحيانا لأن نذكرنا الحياة من حين لآخر بنعم الله علينا لكي نشكره عليها حق شكره ونرضى عنها، فالإنسان أكثر ما يكون غفلة عن هذه النعم حين يكون مغمورا بها، ويركد تيار الحياة من حوله فلا يذكره بواجب الشكر عليها.

ولقد سال رجل الإمام الشافعي - رضي الله عنه -: أيهما أفضل للرجل أن يمكن «أي أن يبلغ أمه» أو أن يبتلى؟ فأجابته: إنه لا يمكن حتى يبتلى! ثم أضاف: إن الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا - صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين - فلما صبروا مكنهم!

ولقد صبرت يا سيدتي وأحلت آلامك «بالتأمل والفرح الداخلي»، إلى ابتهاج بالحياة وتفاؤل بالغد، ولسوف «يمكن»، لك الله سبحانه وتعالى برحمته ويبلغك كل آمالك في الحياة ويحفظك لأسرتك وزوجك وطفلك.. كما سوف تنتصرين «بالسعادة»، كما قلت لزوجك الحبيب على المرض اللعين، وتصمدين له.. وتطول بك أيامك فترقبين طفلك الصغيرين وهما يدرجان في مدارج العمر، ويشتد عودهما، ويخرجان إلى الحياة شابيين صالحين رضعا الإيمان بالله من ابويهما.. وتشربا حب البشر والخير والحياة منهما.. أما بيت الله الحرام الذي ترجين ان يطول بك العمر لكي تزوريه، فلسوف تطوفين به، وترجعين إليه مرات ومرات خلال رحلة العمر السعيدة المديدة بإذن الله، وأهلا بك ومرحبا مع زوجك الكريم مساء الاثنين المقبل إن شاء الله.



### 3- النفس الممرورة

أنا سيدة في الثلاثين من عمري. أقرأ بريد الجمعة منذ كنت في سن الخامسة عشرة، ودفعتني رسالة «الضوء المبهر» للزوجة الشابة - التي امتحنت بالمرض اللعين في ثديها وبرنت منه بعد إجراء الاستئصال والعلاج الكيماوي، وكتبت إليك تعدد نعم الله عليها - لأن أروي لك قصتي، فلقد نشأت في أسرة صغيرة متفاهمة، وكنت الابنة الصغرى وأتمتع بالجمال والجاذبية والطموح وحب الدعابة وتربطني بشقيقتي التي تكبرني علاقة حميمة.. وبأمي التي لا أستطيع مهما فعلت أن أوفيها حقها وبأبي علاقة مماثلة.. وكنت أنا وشقيقتي من المتفوقين دراسيا وتعلمنا في المدارس الحكومية، وكافحنا حتى حصلنا على الثانوية العامة بمجموع كبير والتحقنا بشقيقتي بكلية عملية مرموقة وتخرجت فيها وعملت معيدة بها، والتحقنا أنا بكلية قبة أخرى للغات وتخرجت فيها وعملت في المجال الذي أحبه وهو الإرشاد السياحي واستقلت ماديا عن أبي الذي يكفيه ما تحمله من عناء وما بذله من عطاء لنا من أجل تعليمنا، وبدأت أحاول تعويضه هو وأمي عن حرمانهما السابق من أجلنا وبدأت أشتري كل ما أتمناه لأبي وأمي ونفسي، وأسعد بدعائهما لي واعتبره «ستري» في الدنيا الذي احتفى به ضد غدر الأيام، ثم تعرفت ذات يوم على شاب جامعي يعمل معي في نفس الشركة، اجتذبتني إليه بدمائة خلقه وحلو كلامه وحيائه الظاهر فانشغل به فكري ووجدتني أفكر فيه ليل نهار بالرغم من عقلانيتي المعتادة وعدم ثقتي الكبيرة في العاطفة، واندفعت مشاعري نحوه إلى أن صارحني برغبته في التقدم لخطبتي فسعدت بذلك كثيرا ورتبت له موعدا مع أبي.. فلم يسعد به أبي نفس سعادتني وكذلك أمي بسبب ضعف إمكاناته وعدم استعداده المادي للزواج، لكنني قاتلت بضراوة لإقناعهما إلى أن رضيا به على مضض وبدأنا نستعد للزواج وكان شرط أبي الأساسي للموافقة هو الشقة ولم يكن مع خطيبي سوى مبلغ محدود، فساندته سرا بمبلغ ادخرته من أجرى الكبير كمرشدة وتمكن من شراء شقة مناسبة. وتولت أسرتي تأثيثها بالكامل، وحرصت خلال فترة الخطبة على زيارة والدته خطيبي وشقيقاته، ولاحظت خلال ذلك سطوة والدته عليه وهي التي تولت تربيته بعد وفاة أبيه، وتوقفت قليلا أمام انصياعه الكامل لكل ما تقررته هي بشأن حياتنا وترتيبات زواجنا، لكنني تجاوزت ذلك سريعا واعتبرته برا من الابن بالأم وأملت خيرا فيمن يعرف لأمه فضلها ويحفظه لها. ومضت فترة الخطبة بلحظات السعادة والعناء فيها.. وكانت لحظات العناء كلها بسبب تدخل الأم في كل صغيرة وكبيرة من شئون زواجنا وتسليم الابن المطلق لها بكل ما تريد.

وتزوجنا في النهاية وسعدنا بحياتنا ووجدت في زوجي شابا طيبا حنونا متدينا ويحبني بشدة، ولم أخذ عليه سوى قلقه الزائد عن الحد بأمه وعدم إخفائه عنها أي شأن من شئون حياتنا الخاصة مهما كان شخصا ومحرجا مما أدى إلى إحساسي بالحرَج تجاهها في بعض المواقف، خاصة حين كانت تعنفني على انشغالي بعمل المرهق عن زوجي في بعض الأحيان.. أو تنبهني إلى حقوق

زوجي الشرعية علي، وبعد عام من زواجنا رزقنا بطفلنا الوحيد فأصبح قرّة عيني وشاغلي الأعظم في الحياة، وأمّلت أن يقرب الطفل الوليد بيني وبين زوجي أكثر، لكنه رجع للشكوى منى إلى والدته مرة أخرى بدعوى انشغالي عنه، ورحت أنا أبذل جهداً مضاعفاً للتوفيق بين عملي وطفلي وزوجي.

وبعد فترة قصيرة من بلوغ طفلي عامه الأول بدأت أشعر بآلام شديدة في صدري.. فتجاهلتها في البداية بسبب كرهى للمستشفيات من أثر تجربة عائلية سابقة في حياتي، وأمّلت أن يزول الألم تلقائياً لكنه تزايد حتى لم أعد أستطيع تحمله وأصرّ أبى وأمى على فحصى طبياً، وفي عيادة الطبيب كان القرار بإدخالى المستشفى على الفور لإجراء جراحة عاجلة لاستئصال الثدي، ورجعت إلى زوجي وأبلغته بالقرار فبكى بحرقة، وأفقت من المخدر بعد الجراحة فوجدت أحبائى حولى وهم أبى وأمى وزوجي وكل الأهل.. وبعد الجراحة بدأت مرحلة العلاج الكيماوي العصبية التي أصابتنى بأضرار كبيرة كان أكثرها إيلا ما لي أنني وجدت زوجي بعد فترة يبتعد عنى تدريجياً ويفتعل معى الخلافات والمشكلات فشعرت بأن وراء هذا التغيير من جانبى شيئاً ما لا أعرفه وتوجست منه.. وأدى ذلك إلى تدهور حالتى النفسية حتى أصابنى اكتئاب شديد وأشفقت على أمى مما أعانيه فأصرت على أن أرجع معها إلى بيت الأسرة لقضاء بعض الوقت من باب التغيير ورجعت معها ومعى طفلى... ولاحظت بأسى أن اتصالات زوجي بي وأنا في بيت أسرتى تتباعد وزياراته النادرة لي فيه قصيرة.. ودائماً ما يكون وراؤه ما يدفعه للاعتذار عن عدم البقاء معى لأن لديه واجباً آخر سوف يؤديه.. وتجددت الهواجس والشكوك في نفسى من جديد لكنى تمسكت بالأمل في الخير والحب والروابط الإنسانية للنهائية، إلى أن جاء يوم وزارنى زوجي في بيت الأسرة وطلب أن ينفرد بي وحدي ثم صارحنى بأن أمه تريده أن يتزوج من إحدى قريباته بعد أن أصبحت أنا كما قالت له عاجزة عن خدمته وتلبية احتياجاته أو الإقامة معه كزوجة، ولهذا فهو إشفاقاً على من كل ذلك سوف يتزوج من أخرى لأنه لا يستطيع كما يقول إلا إطاعة والدته، ومقابل ذلك فسوف يعطينى كل حقوقى ويترك لي طفلى إلى أن يبلغ سن الحضانة! وسمعت ذلك فانفجرت ينابيع الدمع كالمطر من عيني، وانصرف وأنا ابكى بلا توقف ولا انقطاع وازدادت حالتى النفسية سوءاً حين سمعت في الأيام التالية ما تدافع به والدته عن هذا القرار وكيف أننى لا أستطيع أن أقوم بواجباتى الزوجية وأنه ليس من العدل أن «يدفن» ابنها نفسه مع فتاة مريضة مثلى، وهناك قريبتة الجميلة الغنية التي تنتظره وترحب به من البداية.. الخ. وسلمت أمرى إلى الله، وشكوت إليه ضعفى ومرضى وهوانى على زوجي ووالدته.. وازدادت حالتى النفسية سوءاً حين سمعت أنه قد خطب بالفعل قريبتة، وبكىت طويلاً، وطلبت من أبى أن يقابله ويطلب منه أن يطلقنى ويدعنى لمصيرى مادامت عشرتى قد هانت عليه إلى هذا الحد، ووافق زوجي على الطلاق بسهولة زادت من أحزاني وأعاد إلى أثنائى ومتعلقاتى وترك لي طفلى، وتجهمت الحياة في نظرى.. فلقد أصبحت شابة مريضة مطلقة وأما لطفل قدر عليه ألا ينشأ بين أبويه، وعاجزة عن ممارسة العمل الذي أحببته بسبب العلاج القاسى الذي أخضع له واستسلمت للحزن

والاكتئاب طويلا حتى حذر الطبيب أهلي من الأثر السلبي لحالتي النفسية على العلاج ونصح بإخراجي من هذا الجو الكئيب بأي طريقة ولو تطلب الأمر إبعادي عن المدينة كلها.

وسعت شقيقتي الحبيبة إلى إرسالني إلى دولة أوروبية تقيم فيها شقيقة زوجها التي يمكن أن تساعدني على تلقي العلاج في مركز متخصص هناك. وتم تدبير كل شيء وسافرت مع أمي وطفلي إلى هذا البلد.. وتلقينا شقيقة زوج شقيقتي بالترحيب وتسهيل أمورنا، وتعاطف معنا كل من قابلناه من المصريين هناك وتطوعوا لخدمتنا، وبدأت أتردد على مستشفى كبير لتلقي العلاج الكيماوي وواظبت على الصلاة والاستسلام للراحة والدعاء إلى ربي أن يحمي طفلي من قسوة الأيام، وبدأت صحتي تتحسن شيئا فشيئا.. وبدأ العلاج الذي لم يحقق نتائجه المرجوة في مصر بسبب سوء الحالة النفسية، يؤتى أثره وأنا في هذا البلد البعيد، خاصة بعد أن غالبت نفسي طويلا حتى توقفت عن التفكير في زوجي السابق وموقفه مني وموقف والدته. وبعد عام ونصف العام من العلاج أكد لنا الأطباء أن المرض قد تم القضاء عليه نهائيا والحمد لله وأن بإمكانني العودة للحياة والعمل وممارسة حياتي كأبي شاب في مثل سني. وشكرت الله سبحانه وتعالى كثيرا وقبلت طفلي الذي كان قد بلغ عمره ثلاث سنوات ونصف السنة، ورجعنا إلى مصر مستبشرين، ورجعت إلى عملي الذي انقطعت عنه رغما عن إرادتي أكثر من عامين، واستقبلني زملائي وزميلاتي بالفرحة الكبيرة وعبارات التهاني والترحيب وتوزيع الشربات والضحكات العالية حتى دمعت عيني من النأثر والعرفان..

ورجعت للخروج مع الأفواج السياحية من جديد وخلال فترة قصيرة كنت قد جمعت بعض المدخرات من عائد عملي، وخشيت إذا واصلت العمل في شركتي أن تجمع المصادفات بيني وبين زوجي السابق ذات يوم فتتجدد الجراح، واستأذنت رؤسائي في الانتقال إلى شركة أخرى وتفهموا أسبابي وأكدوا لي أن باب العمل معهم مفتوح لي في أي وقت، وانتقلت إلى شركة جديدة.. ودفعت مقدم شقة خاصة بي بالرغم من الحاح أبي وأمي على في البقاء معهما إلى ما لا نهاية. وذات مساء كنت عائدة من عملي إلى البيت فوجدت شخصا ينتظرني أمامه لم اتعرف عليه جيدا في البداية بسبب الظلام.. ثم تبينت فيه زوجي السابق فحاولت تجاهله والمضي في طريقي لكنه رجاني بالحاح أن استمع إليه لعدة دقائق فقط، وقال لي إنه تعيس إلى أقصى حد مع قريبتة التي تزوجها بعدى لسوء معاملتها له ولوالدته وتعاليتها على أسرته بسبب ارتفاع مستوى أهلها المادي، وامتناعها عن زيارة والدته.. الخ، وفي نهاية حديثه طلب مني العودة إليه لكي ينشأ ابنا بيننا وترك لي مهلة لأفكر في الأمر طويلا وارد عليه، وانصرف وتابعته بنظري وأنا أتعجب لهيئته التي تغيرت كثيرا، ورجعت لأهلي ورويت لهم ما حدث ففوجئت بترحيبهم بعودتي إليه من أجل الطفل، لكنني رفضت ذلك رفضا قاطعا ونهائيا وقلت لأبي وأمي أنني سأربي ابني وحدي معتمدة في ذلك على ربي قبل كل شيء وبعده على جهدي وعملي وكفاحي في الحياة.. وفي كل الأحوال فإنني لن أسمح

لهذا «الرجل» بأن يعيش معي مرة أخرى أو يلمسني أو يقترب مني، ولم يضغط أبي وأمي على في ذلك كثيرا لكنهما طلبا مني فقط أن أفكر في الأمر بهدوء ورؤية.

ولقد فكرت وفكرت ولم أجد في نفسي دافعا يدفعني لنسيان ما فعله بي زوجي ووالدته أو التجاوز عنه، فهل تؤيدني في ذلك أم تعارضني فيه؟

... وفي الختام فإني أقول لكاتبة رسالة «الضوء المبهر» المؤمنة بربها والتي تقبلت أقدارها برضا إنني قد فعلت مثلما فعلت وتقبلت أقداري راضية ومستسلمة لإرادة ربي. لكن موقف زوجها النبيل الذي تمسك بها وازداد حبا لها ووقف إلى جوارها حتى اجتازت محنتها كان هو الموقف الأصيل الذي ينبغي لشريك الحياة رجلا كان أو امرأة أن يتخذه من شريكه حين تمتحنه أقداره امتحانا مؤلما.. ولم يكن كذلك موقف زوجي السابق.. فماذا تقول لي يا سيدي وبماذا تنصحنني؟

### ولكاتبة هذه الرسالة أقول

من أجمل ما قرأت في السنوات الأخيرة هذه الكلمات المعبرة التي سطرها الناقد الأدبي الكبير الدكتور شكرى عباد - رحمه الله - في سيرته الذاتية. فلقد قال: ما وقع على ظلم من أحد ذات يوم وتأملت حال من ظلمني إلا ووجدته أحق بالشفقة منى، فيدفعني ذلك لأن أجاهد وأنا أسعى لدفع الظلم عنى لكيلا أبلغ في مساعي حد الانتقام منه كما تعلمت من ذلك إلا أسكت على ظلم ينالني وان أشفق في نفس الوقت على من يظلمني أو الحق أنه لا أحد يا سيدتي يستطيع ان يلومك أو يعتب عليك تحول نفسك عن زوجك السابق ورفضك العودة إليه أو الصفح لأول وهلة عما فعل بك خلال محنتك المؤلمة مع المرض. فمرارة الخذلان ممن يتوقع المرء منهم العطف والتأييد والمساندة عميقة، والنفس البشرية لا تستطيع التجاوز عنها سريعا وبغير أن يكفر عنه مرتكبه طويلا «ويجاهد»، لكي يمحو أثره من نفس ضحيته، ولا عجب في ذلك «وطعنة الأهل تدمى» كما يقول الشاعر، كما ان توقيت هذه الطعنة كذلك مما يؤخذ في الاعتبار عند الصفح عنها وتجاوزها.. فالإنسان في ضعفه ومرضه يكون اشد احتياجا إلى وقوف من يحبهم إلى جواره منه وهو في أوقات صفاء سماء حُماته من السحب والغيوم. وحين تمتحنه أقداره باختبارات القاسية فإن حاجته النفسية والعضوية تزداد وتتضاعف لأن يشعره من يحب بان محنته لم تنل من قدره لديه وحببه له وحقه عليه وإنما قد زادت تمسكا به وحنوا عليه واعتزازا بوجوده في حياته

وجوهر المرء الأصيل إنما يعرف في اوقات الشدائد والمحن وليس في اوقات الرخاء والصفاء، والشاعر العربي يقول: جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديقي.

ومن أسف أنه ليس بين الكائنات الحية كلها كائن «يبصر» احيانا في خذلان من يتوقعون منه المساندة والتأييد في الأوقات العصيبة من حياتهم أكثر من الإنسان نفسه وعلى خلاف كثير من فصائل الحيوان والطيور التي لا تعرف مثل هذه

القدرة على خذلان الشريك والتخلي عنه في حين يحتاج للحماية والدفاع عنه، فلا عجب إذن في أن تستشعري كل هذه المرارة تجاه زوجك الذي تخلى عنك ولم يصبر عليك وعلى نفسه إلى أن يكتب الله سبحانه وتعالى لك الشفاء.

لكن فهم كل شيء قد يؤدي إلى الصفح أحيانا عن كل شيء، من ناحية أخرى كما قالت لنا ذات يوم الأديبة الفرنسية مدام دي ستايل

ولقد شعرت من خلال رسالتك أن محنتك المرضية القاسية لم تكن كل أسباب تخاذل زوجك السابق معك وتخليه عنك في أصعب اوقات الحياة بالنسبة إليك، وإنما ربما تكون قد أسهمت بالقدر الأكبر في تشكيل موقفه المولم هذا منك. مع تأكيدي في البداية أن هذه الحقيقة لا تخفف من بشاعة موقفه ولا تلتمس له أي عذر. فلقد كانت حياتكما المشتركة قبل المرض تعاني بعض المشكلات الجوهرية كشكوى زوجك السابق من انشغالك عنه بعملك المرهق الذي يقتضى منك السفر مع الأفواج السياحية للمناطق الأثرية في رحلات دورية قد تستغرق أسبوعا وربما أكثر، وكشكواه لأمه مما اعتبره تقصيرا من جانبك في الوفاء له باحتياجاته الشخصية، وكمعاناتك في التوفيق بين عملك وطفلك وزوجك، فضلا عن تدخل والدته في أدق شئون حياتكما الخاصة وعدم حماسها لك كزوجة لابنها من الأصل كما توحى بذلك إشارتها إلى قريبتها الغنية التي ترحب بابنها منذ البداية أي من قبل زواجك منه، وتشجيعها لابنها على التخلي عنك والارتباط بقريبته بمبرر عجزك بعد المرض عن خدمة زوجك وتلبية احتياجاته.

وكل هذه العوامل لم تكن في صالح حياتكما الزوجية ودوافع صمودها في وجه العقبات والمحن.

ولهذا فلست أعول كثيرا على النقطة التي ركزت عليها كثيرا في حديثك عن شخصية زوجك واعتبرتها السبب الأساسي في موقفه منك، اقصد بذلك خضوعه المطلق لإرادة والدته واستجابته التامة لكل ما تقرره بشأن حياته الخاصة وزعمه لك أنه لا يملك إلا طاعتها ولو تطلب ذلك منه طلاق زوجته وأم طفله الوليد وزواجه من أخرى!

فالحق أنه لو كان حبه لك قويا وصادقا وحقيقيا من البداية لما نجح أحد في التأثير عليه لكي يطلقك ويتزوج من أخرى، وأنه لو كان شديد التمسك بك في محنتك - ولو من باب الوفاء الإنساني لشريكة الحياة التي اعتصرتها محنة المرض أو حتى من باب التجمل والترفع عن القبول لنفسه بموقف من يخذل شريكته وهي في أشد الحاجة إلى مساندته العاطفية لها - لما استجاب لرغبة والدته في الانفصال عنك والارتباط بغيرك مهما كان تأثيرها عليه، بدليل سعيه الآن بعد أن شقى بحياته الجديدة مع قريبته إلى استعادتك، ولو كان مغلوبا على أمره مع والدته كما يزعم لك لما فكر في استعادتك والتخلي عن اختارتها له أمه. فلقد طلقك بإرادته هو وليس بإرادة غيره حتى ولو كانت والدته قد زينت له ذلك وأغرته به، ويرغب الآن في استعادتك بإرادته هو أيضا وليس بإرادة والدته حتى ولو كانت أمه قد لمست الفارق بين معاملتك المتأدبة لها ووقوفك صامتة بين يديها وأنت

تستمعين إلى تقريرها لك صاغرة وبين عجرفة الأخرى وتكبرها عليها وعلى ابنها وقطيعتها لها.

لكن الأمر على أية حال لا يجوز التعامل معه بهذه البساطة فلكل إنسان كرامته الإنسانية في النهاية، وللنفس حالات قد تعجز معها ولو لبعض الوقت عن أن تتخلص من مراراتها تجاه من أشعروها بالغدر والخيانة والهوان وكل ما أرجو منك هو أن تفكري طويلا في حياتك وفيما تختارين لها وفقا لكل الاعتبارات الجوهرية المهمة بالنسبة لك ولكرامتك الإنسانية وطفلك الصغير بغير أن تتجاوزي حق الدفاع عن النفس والكرامة، وحق الاختيار الحر لحياتك إلى حد الانتقام والتشفي والرغبة في إيلاء الغير بنفس القدر الذي آلمونا به أو بأكثر، فاحق الناس في النهاية بأن يترفع عن الانتقام والتشفي في شقاء الآخرين هو من عرف الألم وتجرع مرارته كما أنه أكثر الناس إدراكا لأنه لا شيء في الحياة يعدل صفاء النفس وخلوها من المرارات، واستكانة القلب إلى جوار من يبادلته الحب ويشاركه رؤيته للحياة والبشر والأشياء.

وفي كل الأحوال فإنه بقدر الخطأ يكون التكفير عنه.. ويكون «الوقت» الذي تحتاج إليه النفس الممرورة لكي تتخلص من شوائبها وتستعد لاستقبال المؤثرات الجديدة بلا ضغائن ولا أحقاد.. وشكرا لك.

## 4- عودة الثقة

انا زوجة وأم لشاب وفتاة، تعرضت ابنتي وهي في سن السادسة عشرة لحادث شروع في الاغتصاب وشروع في القتل بعد فشل الاعتصاب، وشاءت إرادة الله أن تنجو من هذا الحادث الأليم وأن تتعافي وتواصل رحلتها في الحياة حتى أتمت تعليمها الجامعي وتخرجت في كليتها، وخلال السنوات التي تلت هذا الحادث تعاملنا معها أنا ووالدها بكثير من العطف والحنان والتدليل لكي تسترد إحساسها بالأمان والثقة في النفس الذي فقدته من أثر الحادث، كما أعطينا لها مساحة أكبر من الحرية كتعويض لها عما عانته في محنتها، وكنا نلبي لها معظم رغباتها.. لكن الآثار السلبية لهذه المعاملة ظهرت تدريجيا في تعاملها مع الغير بصلف وعنف وأتانية حتى مع أخيها الذي شاركنا تدليلها وإجابة طلباتها بحب حنان.

وفي العام الماضي تقدم لخطبتها بالأسلوب التقليدي شاب من أسرة طيبة كان يستعد للسفر إلى دولة عربية لإنهاء تعاقدته هناك خلال عدة شهور والعودة للزواج. وبدا لنا أن ابنتنا سعيدة بهذه الخطبة من خلال الخطابات والاتصالات الهاتفية المتبادلة بينها وبين هذا الشاب لكن العلاقة بينهما بدأت في التأزم بسبب تأخره في العودة لظروف تتعلق بالعمل، وبدأت ابنتي تتملل.. وتعامل معه بجفاء خلال الاتصالات التليفونية.. وواكب ذلك حصولها على وظيفة مناسبة وعودة الثقة الكاملة إليها واعتدادها بنفسها بعد طول كسل وتراخ، فامتنت عن الرد على مكالمات خطيبها نهائيا ورجع الشاب بعد شهرين فلم تعطه فرصة لالتقاط أنفاسه وتم فسخ الخطبة بالرغم من محاولتنا معها لأن تمنحه وقتا كافيا لإصلاح الأحوال بينهما.

وانطوت صفحة هذه الخطبة من حياتها وحياتنا وبعد أسابيع من ذلك لاحظت انعزالها عنا كأسرة وارتباطها الشديد بمجموعة من زملاء وزميلات العمل، وانشغالها بهم عن صديقاتها، وبحاستي كأم تأكدت أن ابنتي لها علاقة عاطفية بأحد هؤلاء الزملاء، وحاولت معها بكل الحيل أن أعرف شخصيته ولكن بلا جدوى، إلى أن جاء يوم وحدثت مشادة حادة بينها وبين أخيها تطاولت خلالها عليه بالكلام فتناول عليها بالضرب، واتضح الحقيقة الخافية فكانت مفاجأة غير سارة لنا وهي أن ابنتي على علاقة بزميل لها متزوج وله أبناء ويكبرها بعشر سنوات، وواجهنا نحن الأمر الواقع واضطررنا لاستدعائه وعقد قرانه عليها، وكانت مبرراته لذلك أنه تعيس في حياته الزوجية لكنه يرغب في استمرارها حفاظا على الأبناء من معاناة اليتيم وهو على قيد الحياة، وطلب منا إمهاله بعض الوقت قبل أن يعلن لزوجته الأولى ومجتمعه المحيط به زواجه الثاني من ابنتنا، وقبلت ابنتي بذلك مرحبة وقبلنا به نحن مضطرين، ولقد ساعدنا على تقبل هذا الوضع تأييد والدته وإخوته لزواجه الثاني بسبب ما يلمسونه من سوء عشرة زوجته له، وحين أبديت لهم مخاوفي مما سوف يحدث من زواجب وعواصف من الزوجة الأولى حين تعلم الأمر خففوا من شدة هذه العواقب وأكدوا أنها سوف تتقبل الوضع في النهاية بهدوء، تم الزواج واضطررنا نحن لعدم

إعلان شخصية العريس وظروفه أمام الأهل والأقارب والأصدقاء.. أملا أن تكون في هذه الزيجة سعادتها.. لكن الأيام أثبتت سريعا صدق توقعاتي، وعجز زوج ابنتي عن إعداد مسكن للزوجية لابنتي ولو بأقل الامكانيات بسبب مسؤولياته تجاه أسرته الأولى، كما أنه أبدى خوفا شديدا من إعلان زواجه الثاني حتى في محيط عائلته الأوسع من أعمام وأخوال وأصدقاء مقربين.. ثم انفجرت الأعاصير الشديدة حين علمت زوجته الأولى بزواجه.. وقامت بزيارتنا في بيتنا ووقعت المواجهة المحرجة، واضطرت لاستدعاء زوجها ووالدته لحل المشكلة.. فكانت معركة حامية بينها وبينهما بالألفاظ والأيدي، وطالبت زوجته بالطلاق فرفض، فخيرته بين طلاقه لابنتي وبين طلاقها ولم تقبل بأي بديل آخر واستمرت الأحداث والمواجهات اليومية بينه وبين زوجته الأولى شهورا كانت خلالها تحارب بشراسة لاسترداد زوجها الذي جمعتها معه عشرة ١٤ عاما، وكانت ابنتي تحاول جاهدة الاحتفاظ بزوجها وكان زوجها يحاول يائسا الاحتفاظ بالزوجتين والعدل بينهما وهو في حكم المستحيل، أو اتخاذ القرار الصعب بالاختيار بينهما. وأرجو أن تصدقني حين أقول إنني ووالد ابنتي كنا نتعاطف بشدة مع زوجته الأولى التي تجاهد لاسترجاع زوجها بالترغيب والترهيب وكل الوسائل، وإنني كنت أضع ابنتي أمام ضميرها وأسألها: ماذا جنت من هذه الزيجة التي حرمتها من حناننا وتأييدنا لها وأصبح والدها بسببها لا يتكلم معها ولا ينظر إليها فقدت حنانه ومداعباته واحضانه التي كان يغمرها بها قبل هذا الوضع الذي لم نكن نرجوه لها، واستمر الموقف المشتعل بلا حسم، حتى اضطررنا نحن إلى حسمه، فاتصل زوجي بزواج ابنتي وطالبه باتخاذ القرار النهائي بشأن حياته. فاختار العودة لأسرته الأولى ومفارقتها ابنتنا باعتبار ذلك أفضل الحلول وأقلها خسائر.. وهو الأمر الصحيح بالفعل لأنني أشفقت على ابنتي - لو كان قد فضلها على أم أولاده - من استمرار المواجهات والمشكلات والمسئوليات مما كان سيؤثر في النهاية على علاقتها به مهما كان الحب مشتعلا، لكنه حين واجه الزوج ابنتنا في حضورنا بقراره بالعودة لزوجته وأم أولاده نظرا لفشله في الجمع بينهما كما كان يأمل، قابلت ابنتي هذا القرار بالهجوم علينا جميعا واتهمتنا بالتآمر والاتفاق عليها!

وما زالت منذ تلك اللحظة تنطوي على هذه المشاعر تجاهنا، فترى هل أخطأنا بقبولنا زواجها هذا من البداية علما بأنه تحصيل حاصل لعلاقة كانت قائمة بالفعل؟ وهل كان تدخلنا لحسم العلاقة الزوجية بين ابنتي وزوجها خطأ مع العلم بأن البديل لذلك ان ترك الأمور على ما هي عليه لكي نعيش ما تبقى لنا من عمر في مشكلات يومية خاصة أن الزوج لم يتخذ أي خطوة فعلية لإقامة بيت الزوجية لابنتي ولم يكن في تقديري - يستطيع ذلك مع ما يتحمله من مسئولية بيته وأبنائه ووالدته وإخوته، وأخيرا.. بماذا تنصحنا من أسلوب للتعامل معها مستقبلا بعد انتهاء هذه الزوبعة؟

ولكتابة هذه الرسالة أقول:



الحسم المتأخر كالعدل الذي يجيء بعد فوات الأوان لا يصلح غالباً ما أفسده التراخي والضعف والتردد. ولقد مارستم هذا الحسم مع ابنتكم متأخراً عن مواعده بضع سنوات وليس بضعة أسابيع كما تتصورين يا سيدتي.. فلقد بدأ التفريط من جانبكم معها حين أسرفتم في تدليلها والاستجابة لكل طلباتها وفي توسيع «هامش» الحرية التي أعطيتموها لها، بدافع تعويضها عما لقيته في محنة محاولة الاغتصاب؛ كمحاولة لمساعدتها على استعادة الثقة في النفس والإحساس بالأمان، فكانت النتيجة أن طغت الآثار السلبية لهذا «العلاج» على نتائجه الإيجابية المرجوة منه واكتسبت شخصيتها سمات جديدة من الأنانية والعنف والصلف، وكان أكثر هذه السمات خطراً على شخصيتها هو اعتيادها الاستجابة لكل ما تريد واستسهالها للاستسلام لأهواء النفس ورغباتها بغض النظر عن مشروعية هذه الرغبات أو تعارضها مع حقوق الآخرين.. وهكذا فلم يكن المرفوض بالنسبة إليها أن ترتبط بعلاقة عاطفية مع زميل لها متزوج وله أبناء ولا أن تتطلع للزواج منه، بغض النظر عما سوف يترتب على ذلك من معاناة زوجة أخرى وأطفال ابرياء، كما كان منطقياً بالنسبة لها الا تتوقع أي ردود أفعال عنيفة من جانبكم بشأن هذه العلاقة بعد أن اعتادت التدليل منكم والاستجابة لكل رغباتها، وصدقت توقعاتها في هذا الشأن ولم يزد رد فعلكم حين انفجرت الأزمة عن أن «اضطرتم» لاستدعاء زميلها في العمل وعقد قرانه، عليها.. بدلا من بذل الجهد والعرق معها لإعادتها إلى رشدها ومحاولة إقناعها بما فيه خيرها وصلاح أمرها وحثها على مغالبة هوى نفسها وقطع هذه العلاقة في بدايتها قبل أن تتمكن منها وتتحول إلى هوى جامح نصب السيطرة عليه أو الرجوع عنه فكان أن قبلتم بهذا الزواج الذي لا يحقق آمال أي أب أو أم لابنتهما، قبول المضطر المغلوب على أمره، واشفقتن على الزوجة الثانية حين راحت تقا تل بشراسة لاستعادة زوجها وترفض أي بديل سوى الاختيار بينها وبين «هوى القلب» الذي تورط معه زوجها في علاقة تطورت إلى زواج.. واستمرت المصادمات والمواجهات على مدى شهور عجز الزوج خلالها عن تسيير السفينة التي حلم بأن يقودها وسط الأعاصير حتى تهدأ العواصف ويستسلم المتضررون للأمر الواقع في النهاية.

فأين كان حسمكم يا سيدتي في كل هذه الأحداث ولماذا تأخر حتى ثبت لكم بالدليل أنه عاجز عن توفير بيت الزوجية المناسب لابنتكم، وعن تدبير أموره والاستمرار في حياته المزدوجة مع الزوجتين؟

إن تدخلكم لحسم هذه العلاقة لم يكن هو «الخطأ» الذي تتلمسون إقناع ابنتكم «باضطراركم» إليه بعد أن بدا لكم أن الزوج عاجز عن الاختيار وعن توفير مسكن الزوجية وإنما كان الخطأ الأساسي هو تدليلكم لابنتكم حتى أفسد الضعف معها شخصيتها وكان الخطأ الثاني هو «حسمكم» للعلاقة بينها وبين زميلها في العمل باستدعائه لعقد قرانه عليها وانتم تعرفون انه زوج لأخرى وأب لأبناء، وفي قبولكم بما يشبه الزواج السري لابنتكم الذي تضطرون لتكتنم شخصية العريس فيه عن الأهل والأصدقاء، ويتكتم هو عن عائلته وأصدقائه وكل هذا

العناء لأنها ترغب في زميلها وترفض مغالبة نفسها وردّها عن أهوائها.. أما تدخلكم لحسم العلاقة الزوجية في النهاية فهو التصرف الوحيد السليم من جانبكم في هذه القصة كلها.. لأن ترك الأمور تجرى في أعنتها لم يكن يعني سوى إطالة معاناة كل أطرافها لبعض الوقت.. وربما ازداد الموقف تعقيدا بحمل ابنتكم لثمرّة هذه العلاقة المضطربة ومجيء طفل يجعل صفحة القصة مفتوحة لنهاية العمر.

فإذا كانت ابنتكم قد هاجمتكم حين أعلنها فتى القلب باختياره لزوجته الأولى وأطفاله الصغار وحياته العائلية على حسابها واتهمتكم «بالتأمر» عليها.. فقد أحسنت التقدير لأول مرة في حياتها، لأنكم قد تأمرتم بالفعل على إنقاذها من شر نفسها وقصر نظرها واستسلامها لأهواء القلب التي تعمي بصرها مما سوف يترتب عليها من «شجن» يستمر إلى نهاية العمر.

وإذا كانت تشعر بخيبة الأمل لاختيار فتاها لزوجته واطفاله على حسابها.. فإنه لا ينبغي لها أن تحملكم أنتم نتائج رعونتها وسوء تصرفها في حياتها واستسلامها لضعفها العاطفي مع رجل متزوج وأب لأطفال بلا محاذير ولا تحسب لتبعات ذلك.

فلا تأبهي يا سيدتي بما تقوله أو تفعله إذا انطوى صدرها لكم على بعض الغضب المؤقت فالطفل يغضب من أمه حين تكرهه على تجرع الدواء المر لتداويه به، ويحمد لها رعايتها له حين يشب عن الطوق ويدرك حقائق الحياة، وهذا ما سوف تفعله ابنتك بعد حين عندما تفيق من ذهول الحب الذي أعمأها عن السدود والحدود فطمحت لنفسها فيما لاحق لها فيه.. وعندها سوف يتجه غضبها إلى نفسها واندفاعها وراء عواطفها بلا روية وليس إليكم أنتم.. فإذا كنت تسأليني بعد ذلك كيف تتعاملون معها بعد هذه القصة، فإن نصيحتي لكم هي أن تتعاملوا معها، كما تتعاملون مع ابنكم الشاب بالحنو العاقل الذي لا يهبط إلى هاوية الضعف.. والعدل الذي لا يتصلب إلى حد الشدة.. والسلام.

## 5- بداية القصة

قبل أن أبدأ خطابي إليك أريد أن أنوه بما كان وما زال لبريد الجمعة من أثر في حياتي الشخصية خلال سنين طويلة، حيث انتظرت ثلاث سنوات بأكملها لكي أعرف نهاية قصتي ثم أكتب لك عنها وفي البداية فإنني فتاة في السادسة والعشرين من عمري، ولقد شاءت لي الأقدار أن أقرأ في بابك منذ ست سنوات قصة بعنوان «الخط الأحمر» لفتاة روت لك أنها قد تخلت عن حبيب عمرها الذي ارتبطت به سنوات عديدة لضعف امكاناته المادية.. واستجابت لإغراء المادة والعريس الجاهز الذي تعدها الحياة معه بالرفاهية والراحة بلا معاناة ولا صبر على سنوات البداية، وكيف انكسر قلب فتاها الذي أحبها بصدق وحلم بالارتباط بها ولم يسيئ إليها في شيء، ولم يرتكب جرما سوى أنه شاب في بداية حياته كغيره من الشباب ويحتاج إلى عدة سنوات من الكفاح لكي يبني حياته ويتزوجها، فكان أن هجرته لتتزوج بمن لا تعرفه ولم تجتذبها إليه سوى مظاهر ثرائه بعد أن استمعت إلى «صوت العقل» وسخرت من حكاية الكفاح لبناء عش الحب الذي كان يطالبها به فتاها وهو يتوسل إليها باكيا ومتذللا لكيلا تتركه، فتفرقت بهما الطرق فإذا به خلال سنوات قليلة يحقق نجاحه العملي في الحياة وتفتح له أبواب الرزق الحلال، ويصبح «جاهزا» لأن يتزوج أي فتاة كفتاته الغادرة مهما تكن الأعباء.. أما هي فقد فشلت في حياتها الزوجية ولقيت من الشقاء وسوء المعاملة من زوجها ما دفعها دفعا لطلب الانفصال يانسة من أي أمل في الإصلاح، وطلقت منه بعد سنوات قليلة، ورجعت إلى بيت أبيها وفي يدها طفل حائر، واشتبكت مع زوجها السابق في منازعات قضائية لا نهاية لها، وبغير أن تحصل على شيء من حقوقها المادية.. أو تنعم بالحياة الناعمة التي هجرت فتاها من أجلها، ثم كتبت إليك تناشدك أن تكتب إلى حبيب العمر، الذي لم يكن قد تزوج بعد عند نشر الرسالة، متسائلا هل يمكن أن يغفر لها خيانة الحب من أجل المال ويعيد اجتماع شملهما مرة أخرى، بعد أن تلقت أقسى الدروس وشعرت بأكبر الندم على تخليها عنه؟.. ولأمر ما لم يكن واضحا في ذهني وقتها، وجدت نفسي اقتطع الصفحة التي تضم منه القصة واحتفظ بها في دفترتي، ثم أعيد من حين لآخر قراءة ردك على هذه السيدة وكلماتك لها عن الأشياء التي لا تعوض والأشياء التي يمكن تعويضها أو الصبر على نقصها في حياة الإنسان، ولا أبالغ إذا قلت لك إنني قرأت هذه الكلمات عشرات المرات، وكأني كنت أشعر في داخلي بأنها سيكون لها أثر ما ذات يوم في حياتي، ومنذ ثلاث سنوات التحقت بالدراسات العليا بالكلية النظرية التي تخرجت فيها، وكنت أحيا حياة سهلة مريحة ولا أعاني أي مشكلات مادية أو إنسانية، فأبي يعمل بالخارج منذ اثني عشر عاما، وأنا أذهب إلى الكلية بالسيارة الخاصة، ولي صحبة من الصديقات من نفس مستواي المادي والاجتماعي، نمضي معا أسعد الأوقات، ومع بداية العام الدراسي لاحظت أن معنا شابا خفيف الظل ومحترما ووقورا ومتفوقا في دراسته وأساتدتنا يعرفونه ويحبونه لتفوقه ولشخصيته المحترمة بين زملاء، وعرفت أنه معيد بأحد أقسام الكلية ويدرس معنا للحصول على الماجستير، ويوما بعد يوم

اكتشفنا أن هناك صفات كثيرة مشتركة تجمع بيننا، وبدأ كل منا يقترب من الآخر وينجذب إليه، لكن تحفظا مال لا أدري كنهه - جعله يحجم عن مصارحتي بمشاعره التي لا تخطئها عيني كلما التقينا في الجامعة، وذات يوم وجدتني أسأله بصراحة هل هو مرتبط بفتاة أخرى؟ فأجابني بالنفي فوجدت نفسي أوجه إليه سؤالاً أذهله سماعه مني وعقد لسانه فلم يستطع الرد على الفور، إذ سألته فجأة: لماذا لم تصارحني بحبك حتى الآن؟ فنظر إلى الشاب مذهولاً للحظات ثم تمالك نفسه وأجابني بأنه لم يسمح لنفسه بأن يعشمني بشيء لا يستطيع الوفاء به، فهو كما قال لي - في شيء من الانكسار - لا يملك من حطام الدنيا سوى مرتبه الحكومي من الجامعة، إلى جانب عائد بسيط من عمل مسائي يقوم به، وليست لديه شقة للزواج ولا يملك أي كماليات ولا يقدر على أعباء الزواج، ووالده رجل بسيط لا يملك ما يساعده به وأخوته وأخواته كلهم كذلك وإن كانوا جميعاً جامعيين ولهم مراكزهم الاجتماعية المرموقة.. فكيف يسمح لنفسه أن يصارحني بمشاعره وهو غير كفاء لي من الناحية المادية.. ولا يستطيع أن يتزوج مشاعره هذه بالزواج!

وتفكرت في كلامه كثيراً ووجدته محققاً فيه.. وانقطعت عن الذهاب إلى الجامعة لعدة أيام استغرقت خلالها في التفكير، وتساءلت مراراً كيف سيقبل أهلي حقاً بشاب لا يملك أربعة جدران يمكن أن أعيش فيها.. واتخذت قراراً بعد تفكير عميق بأن نظل زميلين يتبادلان الاحترام كما كنا، وألا تتجاوز صلتني به هذه الحدود.. ورجعت للجامعة بهذه النية، غير أن قراراً سرعان ما ذاب في حرارة لقاءه ولهفته لرؤيتي وتساؤلاته عن سبب انقطاعي عن دراستي.. ووجدته قد أعد لي كل ما فاتني من محاضرات، فلم أتمالك مشاعري.. ووجدتني أصارحه بحبي له وهو يصارحني بحبه العميق لي.. وجلسنا معاً بعض الوقت خارج قاعة المحاضرات، وأنا أشعر أننا نعيش لحظة حاسمة من أجمل لحظات العمر، ورجعت إلى البيت وأخرجت الصفحة القديمة من بريد الجمعة.. وأعود لقراءتها وأتوقف أمام كلمات الندم التي سطرتها كاتبة الرسالة على فقدها لحب العمر، واعد قراءة كلماتك عن الأشياء التي تستحق أن نصبر ونبذل العرق والدموع من أجلها، إلى أن يحين قطافها، لأنها إذا ضاعت منا فلا شيء يعوضنا عنها.. وحسنت أمري على الصبر والانتظار وتحمل ضريبة السعادة التي أرجوها لنفسني، وكانت العقبة الرئيسية أمامنا في ضرورة الانتظار لمدة ثلاث سنوات لحين الانتهاء من الدراسات العليا، ثم نبدأ خطواتنا معاً على طريق المستقبل.

ولن أحكى لك عن حجم المعاناة التي عاينناها طوال هذه السنوات الثلاث مع أهلي وأهله ومع دراستنا، فلقد عارض الأهل على الجانبين في الانتظار لمدة ثلاث سنوات، ثم وافق الجميع في النهاية حين لمسوا تمسك كل منا بالآخر، وانفقت مع أهلي على أنني سوف أبني بيتي مع من أحب جداراً جداراً وأنا سعيدة بذلك، فسلم لنا الأهل بما أردنا... ومنحونا بعد المعارضة التأييد، ومضت السنوات الثلاث ونحن نتشارك في أعباء الدراسة ونتبادل التشجيع وتهوين الطريق علينا، إلى أن انتهينا بعد عناء شديد من دراستنا، وحصل كل منا على درجته العلمية وبدأنا

سعيًا للعمل، وطلبت بعض الدول العربية تخصصاتنا وذهبتنا إلى السفارات لنجري المقابلات الشخصية وقلوبنا واجفة تتضرع إلى الله أن يحقق آمالنا فلم يردنا الله خائبين.. وجاءنا سبحانه وتعالى بالبشرى.. فأسرعنا نعقد قراننا ونحتفل باجتماع شملنا في أضيق الحدود، وأنهينا استعداداتنا سريعًا للسفر.. وسافرنا، وها أنا أكتب لك الآن بعد أن أصبح لي عش صغير في هذا البلد الجميل الذي سافرت إليه مع زوجي، لكي أقول لقرائك: إن الله مع الصابرين إذا صبروا.. وأقول لكل شاب: إن الله سبحانه وتعالى قد أوجد له الرزق، لكنه لا بد أن يسعى إليه بالكفاح والصبر وتحمل مشاق الطريق بلا كلل ولا يأس..

ولكل فتاة: إن عليها أن تحسن اختيار شريك حياتها وألا تختاره على أساس إمكاناته المادية فقط، لأن الله هو الرزاق.. ولسوف يرزقها سبحانه وتعالى بقدر صبرها وكفاحها وتمسكها بدينها ومبادئها، ولكني أقول أيضًا لكل أم وأب أن يحثوا بناتهم على الكفاح مع أزواجهن ليثبتهن بقيمة الحياة لأن ما يأتي بالعرق والكفاح لا تذروه الرياح، وأخيرًا يا سيدي فإنني أعيش الآن أجمل أيام حياتي في ظل إنسان عطوف وحنون وصادق الحب، وكل ذلك بفضل توجيهات «بريد الجمعة» ونظراته في الحياة، وبفضل تلك الصفحة القديمة منه، التي ما زلت أحتفظ بها حتى الآن واعتبرها دليلي للسعادة والأمان في الحياة بإذن الله.. ولقد اعتزمت أن أكتب منذ بداية قصتي معه واستنصحتك، ثم رأيت أن أنتظر كما قلت لكي أعرف نهاية قصتي مع شريكي.. ثم أرويها لك.. فشكرًا على صبرك على قراءتها مع تمنياتي الصادقة لكل قرائك بالسعادة والوئام.

ولكتابة هذه الرسالة أقول:

إنها ليست «نهاية القصة» كما تتصورين يا سيدي، وإنما هي بدايتها الحقيقية لأنها بداية سنين مديدة وعديدة بإذن الله من السعادة والحب الصافي والعطف المتبادل والسعي النبيل المشترك إلى تحقيق أهداف الحياة، أما ما سبق هذه «البداية» فقد كان إرهاصاتها التي رشحتكما لهذه البداية السعيدة، بكل ما تحملتها خلالها من عناء وصبر وثبات على اختيار كل منكما للآخر، والحب كالأذهب يختبر، بنار الصبر والإصرار والكفاح، فيصفو من شوائبه، ويتوهج.

ولقد أسعدني في رسالتك الجميلة هذه أنك قد استلهمت الحكمة الحقيقية في التمييز بين ما يستحق أن يسعى إليه الإنسان ويتحمل العناء من أجله، وما لا يستحق أن يبذل قطرات الدم والدموع سعيًا وراء سرايه أو اعتقادًا بأنه الطريق الوحيد إلى السعادة والزواج، كما يقول لنا فضيلة الشيخ محمد الغزالي

. يرحمه الله - ليس عشقا لمفاتن الأنثى أو وسامة الرجل وإنما هو إقامة بيت على السكينة والآداب العائلية والاجتماعية في إطار من الإيمان بالله والعيش وفقا لتعاليمه.

فإذا كان الأمر كذلك، ونحن نعرف ما لنداء الغريزة من أثر وقوة، فهو بكل تأكيد ليس أيضا شركة تجارية يكون معيار التفاضل الوحيد بينها وبين غيرها من الشركات، هو مركزها المالي وقيمة أصولها وحجم أرباحها.

وانت حين اخترت الحب والصبر والكفاح، واعتمدت في اختيارك على المعايير الأخلاقية والإنسانية والعاطفية بغض النظر عن «الموقف المالي» لشريك الحياة المنتظر، إنما كنت تتبعين تعاليم دينك، وتستهدين بهديه في الاختيار والترجيح ويكفيك شرفاً وحكمة أنك قد اخترت شريكك في الحياة بنفس المعيار الذي اختارت به السيدة خديجة رضي الله عنها سيد البشر أجمعين صلوات الله وسلامه عليه، وهو شرف الأخلاق والسجايا والعاطفة النبيلة، وليس شرف المال الذي لا ينكر أحد قيمته، لكنه لا يصح أن يكون معيار التفاضل الوحيد بين البشر، ولا أن يعلو على كل القيم الدينية والأخلاقية والعاطفية عند الاختيار. ولقد خطب أبو طالب عم النبي السيدة خديجة من ورقة بن نوفل أو من عمها عمرو في رواية أخرى، فلم يعدد أملاكه أو ضياعه وإنما قال: إن محمداً لا يوزن به فتى من قريش إلا رجحه شرفاً ونبلاً وفضلاً، إن كان في المال قل، فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة!.. والإمام ابن حزم يروى لنا في كتابه الجميل «طوق الحمامة» أن أحد الولاة قد جلس إلى أصحابه يتسامرون ذات ليلة فسألهم: من أسعد الناس؟ فبادره أحدهم قائلاً: انت أيها الوالي!.. فأجابه: وأين ما أكابده من قيادة الجيوش وتنفيذ أوامر الخليفة؟ فقال آخر: إذن هو الخليفة! فأجابه: وأين ما يقاسيه من الثوار الذين يخرجون على طاعته؟ فسأله أصحابه: فمن إذن؟.. فقال: أسعد الناس زوجان في كوخ رزقهما قليل، لكنه لا ينقطع يحب أحدهما الآخر، قد رضيت به زوجته.. ورضى هو بها ولا يعرف الوالي ولا يعرفه الوالي!

ولا عجب في ذلك يا سيدتي، لأن السعادة الحقيقية هي الهدف الجوهري الذي يسعى إليه الإنسان ويشتريه لو استطاع بأفدح الأثمان، ولأن المال والإمكانات المادية لم يسعدا وحدهما أحداً من قبل إذا افتقد في حياته السلام العائلي والحب الصادق والفهم والعطف والحرص المتبادل بين الطرفين على تيسير الحياة على كل منهما وإشعاره بالأمان والثقة بالنفس والغد ولقد قرأت ذات يوم كلمة حكيمة للادبية الفرنسية سيمون دي بوفوار تقول فيها: سعيد من يستطيع أن ينظر إلى «حقيقة» حياته فيرضى عنها، وينظر في وجه شريكه في الحياة فيرى فيه هذه «الحقيقة» ويسعد بما رآه.. فكم إنساناً في الحياة يستطيع أن ينظر إلى «حقيقة» حياته ويرضى عنها وينظر إلى وجه شريكه في الرحلة فيرى فيه هذه «الحقيقة» ويسعد بها؟.. وكم من سهام طاشت ولم تصب أهدافها لا لسوء التسيير وإنما لسوء اختيار الأهداف الجوهرية التي ينبغي أن يتوجه إليها المرء بسعيه وجهده وكفاحه من البداية.. لقد أحسنت اختيار الهدف يا سيدتي.. ودفعت ثمن حسن الاختيار من سنين الصبر والكفاح.. فكان عدلاً من السماء أن تؤيد حسن اختيارك بالنجاح والتوفيق والسعادة.. فهنيئاً لك كل ما تستحقين من سعادة وأمان.. وبشرى لمن ينتظر بإذن رب العالمين.

## 6- شاطئ الحكمة

أنا سيدة تزوجت قبل ثلاثين عاما وكان زوجي رجلا طيب القلب ثم رحل عني فجأة منذ عشر سنوات، فأحسست عند رحيله بمسئوليتي الكاملة عن ابني الوحيد خاصة أن أباه قد توفي في وقت كان فيه ابني شابا يحتاج إلى أب يكون صديقا له، ولقد كان زوجي صديقا لابنه، أما أنا فقد كنت كالعهد بي دائما إنسانة صلبة لا تحركني المشاعر والعواطف كثيرا، وقد ازدادت صلابتي بعد وفاة زوجي، وأصبحت بالنسبة لابني الأب الحازم.. وانحصر دوري معه كأم في الأعمال المنزلية في حين ركزت كل اهتمامي على تحقيق الأهداف المادية، ورفضت الارتباط بأحد بعد زوجي لكي أحقق له مستقبلا أفضل وتعاملت معه بطريقة عملية بحتة.. فلم يجد لدى الأم التي تجلس إلى ابنها لتسمع منه عما يدور في داخله ولم يكن حديثنا في معظم الأحيان يتجاوز الردود المختصرة على الأسئلة المتبادلة بيننا، فإذا حاول مراجعتي في أي قرار اتخذته لم يجد مني سوى الرفض القاطع والعناد والشجار.

ثم جاءني ابني ذات يوم وأبلغني برغبته في الارتباط بزميلة له في العمل، وسعدت بالخبر.. وتمت الخطبة وأنا في سعادة غامرة، لكن بعد فترة قصيرة منها لمست انجذاب ابني الشديد لخطيبته، وقضائه معظم أوقاته معها فبدأت أشعر بأنه يضيع مني، وأحسست بالغيرة الشديدة من فتاته، فبدأت اتباعد عنها وعن أهلها، وتعاملت معها بفتور شديد، وتجاهلت كل الواجبات الاجتماعية تجاه أسرتها، وكان أهلها ممن يهتمون كثيرا بالعلاقات الأسرية، فاستاءوا لموقفي منهم ومن ابنتهم وتخوفوا على مستقبلها معي، فشجعوها على فسخ الخطبة. وتم ذلك بالفعل وكانت سعادتني كبيرة بفشل هذا الارتباط وشعرت بأنني استعيد ابني مرة ثانية، وحاولت مساعدته على نسيان هذه الفتاة ببعض العطاء المادي الإضافي له، ومضت شهور ثم جاءني طالبا موافقتي على عودته إلى خطيبته السابقة لأنه يحبها بشدة ولا يستطيع أن يحيا بدونها كما أنها تبادله الحب وترغب في استئناف علاقتهما من جديد، وحين جنوني حين سمعت ذلك وزارت في وجهه طالبة منه ألا يفاتحني في هذا الموضوع مرة أخرى وصدت كل محاولة من جانبه للمناقشة فيه.. ولم أعطه أية فرصة لأن يتحدث عنه ولأني كنت أعرف عن يقين أنه لن يجرؤ على الارتباط بفتاته بغير موافقتي، فلقد كان ردى الوحيد عليه كلما حاول استعطافي هو أن أجيبه بحسم، بأن له أن يفعل ما يريد بحياته لكني لن أكون راضية عنه إن هو ارتبط بهذه الفتاة، فيصمت حائرا وعاجزا ولم أكتف بذلك وإنما سددت عليه أيضا كل الأبواب الخلفية لمحاولة التأثير على قراره، فأقنعت جده وجدته اللذين يحبانها حبا جما، بأن هذا الارتباط ليس في صالحه، فلم يجد لديهما المساندة التي كان ينتظرها منهما، وضافت السبل أمامه فحاول أن يوسط بيني وبينه بعض رجال الدين فكان ردى عليه هو رفضي القاطع لمقابلتهم.. وكررت عليه في كل مرة حاول مفاتحتي في هذا الأمر أن الإنسان الذي يحاول العودة إلى فتاة تركته من قبل إنسان بلا كرامة.. وإنه إذا فعل ذلك

فإنه لا يمتن كرامته وحده وإنما كرامة أمه أيضا وكان ابني يعلم عنى جيدا أنني عنيذة، ولا أراجع عن قرار اتخذته تحت أي ضغط من الضغوط.. فبدأ يستسلم لإرادتي بعد عدة محاولات فاشلة معي، وترك فتاته، ورأيت أنا أن أطرق الحديد وهو ساخن خشية أن يضعف ويحاول العودة إليها من جديد فشجعتة على خطبة فتاة أخرى رأيتها مناسبة له، والححت عليه في ذلك كثيرا وأغريته بأني سوف أساعده ماديا إلى أقصى حد على إتمام هذا الزواج، واستجاب في النهاية لإلحاحي وتمت الخطبة، ولاحظت في رضا أنه ليس مندفعاً ناحيتها كما كان الحال مع فتاته السابقة كما أرضاني أيضا أنه يستشيرني في كل خطوة يخطوها معها.. ويبدو لي وكأنه غير متعجل للزواج.. في حين أشجعه أنا على إتمامه وخلال ذلك حرصت على أن تكون علاقتي بخبيبته وبأهلها طيبة، وقمت بكل الواجبات الاجتماعية تجاههم وتم الزواج، وانتقل ابني إلى مسكن الزوجية، وشعرت ببعض الفراغ بعد انفصاله عنى، لكنى تقبلت الأمر بصورة طبيعية، فلم تمض بضعة أشهر حتى بدأت الخلافات تنشب بينه وبين زوجته، وفي كل مرة يختلفان فيها تهجر بيت الزوجية وترجع إلى بيت أهلها وأتدخل بينهما فترجع لفترة ثم يختلفان من جديد وتعود إلى أهلها وهكذا حتى أصبحت حياة ابني الزوجية ومشاكله هي شغلي الشاغل، وأصبحت شكواه منها ومن تعاسته معها محور حديثي الدائم معه.. وأنجب ابني طفلتين ولم تستقر الحياة به مع زوجته بعد، ثم لاحظت أن زوجته التي كانت حريصة على مجاملي وزيارتي في فترة الخطبة قد بدأت تتباعد عنى.. وتتجنب زيارتي، والاتصال بي تليفونيا فإذا عاتبته في ذلك أجابتنى بفتور بأن الطفلتين تستغرقان كل وقتها.. وكما جاء ابني ليزورني وحيدا رأيت الهم والغم يكسوان وجهه.. ويجلس صامتا كأنه يقول لي بغير كلام: هل رضيت الآن؟ إنني أشعر بالحزن على مصير ابني.. وأعرف أنه غير سعيد في حياته مع زوجته ولا يفكر في هجرها أو الانفصال عنها من أجل طفلتيه وأنا لا أريده كذلك أن يفصل عنها بعد أن أنجب منها طفلتين برينتين مع أنها تعاملني أسوأ معاملة ولا تتيح لي رؤية حفيدتي إلا في الأعياد والمناسبات في حين تتجه بكل اهتمامها ومجاملاتها لأهلها وتزورهم كثيرا مصطحبة معها طفلتيها، وأريد منك أن توجه كلمة إلى ابني تحثه فيها على الرضا بنصيبه في الحياة، والصبر على ما يشكو منه، كما أريد أن أنصح كل أم مثلى بالألتقف في وجه سعادة ابنها، كما فعلت للأسف مع ابني، وألا تربط بين كرامتها ورفض من يختارها قلب الابن مادامت فتاة من وسط عائلي واجتماعي مناسب له ولا عيوب بارزة فيها. كما أريد أن أطالب كل أم أيضا بأن تتنازل عن كبريائها من أجل سعادة أبنائها.. لأنني نادمة على عنادي وتمسكي الأجوف بكبريائي وأتمنى لو كنت قد تنازلت عن هذه الكبرياء اللعينة وتركت لابني حرية اختيار شريكة حياته

ولكاتبه هذه الرسالة أقول

في أعماق الجحيم نتعلم الحكمة بعد فوات الأوان، وانت يا سيدتي قد تعلمت درس التجربة في الوقت الضائع وبعد أن فات أوان تصحيح الأخطاء بغير أن يدفع ثمن هذا التصحيح طفلتان برينتان لا ذنب لهما في «صلابة» جدتهما ولا في



قهرها لإرادة أبيهما، والسؤال الذي يحيرني دائما في مثل هذه الأحوال هو: ولماذا لا نتحلى غالبا بمثل هذه الحكمة الغالية حين يكون في مقدورنا أن نيسر على الأعراء حياتهم، ونسعد بسعادتهم، ونتقبل حقائق الحياة بفهم سليم لها؟

إن النصيحة التي توجهينها إلى كل أم في ختام رسالتك نصيحة سديدة بالفعل، لكنها على الناحية الأخرى من بديهيات الحياة التي تدركها الفطرة السليمة بغير حاجة إلى دفع مثل هذا الثمن الباهظ من تعاسة الأبناء لبلوغ شاطئ الحكمة و«اكتشافها».. ونصح الآخرين بها.

ولقد تحدثت طويلا يا سيدتي عن صلابتك وعنادك وكبريانك وحسمك، وعدم تراجعك عن اي قرار تتخذه ولو تزلزلت الأرض من أركانها الأربعة، وكأنما تتحدثين عن فضائل تعتزين بها، وهي كلها في الحقيقة من أفات الشخصية المتسلطة صعبة المراس، بما في ذلك ما قد يبدو للآخرين من المزايا كالصلابة، ذلك ان الصلابة التي تعد حقا من الفضائل هي قوة الاحتمال والقدرة على مواجهة صعاب الحياة بلا وهن ولا يأس من إمكان اجتيازها، اما ما تتحدثين عنه فهو غالبا صلابة الرأي.. والجهامة.. وجمود المشاعر والعواطف، واعتبار مسنوليتك عن ابنك بعد رحيل أبيه هي الواجبات المنزلية وتحقيق الأهداف المادية، دون الالتفات لحاجة هذا الابن المعنوية إليك كأمر عوم حنون تسمع له، وتتجاوب مع أحلامه وآماله المشروعة، وتتفهم دخائله وتشجعه على البوح لها بمكنون الصدر. والحق أنه لا تعارض البتة بين اضطرارك للقيام بدور الأب في حياته بعد رحيل أبيه، وهو شاب يحتاج إلى صداقة الأب في مثل هذه المرحلة من العمر، وقيامك أيضا بدور الأم له مع كل ما يعنيه هذا الدور من عطف ورحمة وحنو، كما انه لا تعارض بالمرّة بين قوة الشخصية والحزم وإتاحة الفرصة للابن لكي يعبر عن نفسه ويختار حياته، ويخوض تجربته، مستعينا بحكمة الأهل وخبرتهم بالحياة، فضلا عن أنه لا تعارض أيضا بين حزم الأمور، والتراجع عن أي قرار يتخذه المرء ويلج عليه الآخرون خاصة إذا كانوا من أعرائه بالعدول عنه، لأنه يدمر حياتهم ويلغى حقهم في الاختيار ويرشحهم للتعاسة والشقاء.. بل إن الحكمة الحقيقية تقتضي أن يعدل الإنسان عن قرار اتخذه وتشبث به في وجه معارضيهِ الآخرين، إذا استبان له خطئ هذا القرار وسوء عاقبته. ذلك أن في التراجع عن مثل هذا القرار شجاعة نفسية وأدبية، وليس ضعفا ولا وهنا، ولأن من يخطئ ويتقاعس عن تصحيح خطئه في الوقت المناسب إنما يرتكب خطأ ثانيا، كما يقول لنا حكيم الصين كونفوشيوس، وانت يا سيدتي قد وانتك الفرصة الملائمة لإصلاح خطئك الأول وهو إساءة معاملة خطيبة ابنك الأولى ومجافاتها وتجاهل أهلها وإشعارهم بالنفور منهم والتباعد عنهم، حتى خشوا على مستقبل ابنتهم معك وحشوها على فسخ الارتباط بابنك نأيا بها عن المتاعب.. فلقد رجعت المياها إلى مجاريها بعد بضعة أشهر بينه وبين خطيبته السابقة التي يحبها وتحبه ولا تنكرين عليها شيئا سوى حب ابنك لها وغيرتك الحمقاء من استحوادها على مشاعره، وخشيتك من انشغاله بها بعد الزواج وهي مخاوف ووساوس لم يكن الدليل قد قام بعد

على جديتها، وجماعك ابنك يستعطفك ويطلب منك الإذن له بإعادة خطبتها من جديد مؤكداً لك أنه لا حياة له بدونها.. فلماذا لم تترفقي به وتتنازلي عن إصرارك على امتلاكه دونها؟ ومن سنة الحياة أن يتوجه شاب مثله بمشاعره إلى فتاة مثلها دون أن يتعارض ذلك مع وفائه لأمه وحديه عليها، ولماذا سددت عليه كل أبواب الرجاء، واشهرت في وجهه سيف التهديد بحجب الرضا عنه إن هو استجاب لنداء قلبه وارتبط بهذه الفتاة على غير إرادتك؟

وكيف يكون من أسباب سعادتك ورضائك عن خطبته الثانية ما لاحظته عليه في فترة الخطبة من فتور مشاعره تجاه خطيبته وعدم حماسه للزواج منها، وكأنما قد أرغم على ما لا يريد ولم تكن له حيلة في دفعه عن نفسه؟

لقد كان ذلك وحده كافياً عند ذوي القلوب الحكيمة لإدراك تعاسة الابن الشاب بهذا الارتباط، والعدول عن إغرائه به أو الضغط عليه لإتمام الزواج، ولو كانت عاقبة ذلك اختياره لمن يشعرون بالغيرة الحمقاء تجاهه؟ وفارق كبير بين حب الأم الرشيد للابن الذي يتسع للعطاء العاطفي له في كل الأحوال ويقبل بمشاركة الغير لها فيه، وبين ذلك الحب الأناني الذي يرهن الغطاء له بمصادرة مشاعره والرغبة في الانفراد بها دون الجميع.

لقد ظلمت ابنك يا سيدتي ظلماً بيناً.. وظلمت فتاته السابقة وزوجته الحالية وحفيدتيك أيضاً اللتين لا تريانهما إلا في الأعياد باختيارك لهما أما لا يحبها زوجها فكأنما قد رشحت الجميع للتعاسة والشقاء بإصرارك على امتلاك إرادة ابنك الشاب الرشيد دونه.. وحرمانه مما رأى فيه سعادته، وإغرائه بما كان جلياً لعين القريب منه فتوره تجاهه.. وعدم احتفائه به.

فإن كانت ثمة فضيلة تذكر لك في هذه القصة كلها فهي في تحملك مسئولية ابنك عقب رحيل أبيه عنه وهو في أشد الحاجة لحكمته وصداقته ورفقه به، وفي سعيك الجاد لتوفير الحياة الأفضل له.. وتفرغك لهذا الهدف بعد ترملك، وإن كان ذلك كله كان من الممكن تحقيقه مع الرفق بالابن الوحيد وتفهم رغباته المشروعة، وترسيخ ثقته في نفسه، وحل كل المشاكل المتوقعة معه بالحوار الإنساني والإقناع وليس بالقهر والإرغام، ومصادرة الإرادة، وممارسة حق الاختيار له دونه وعلى غير

رغبته.

## 7- سنوات الحرمان

قرأت رسالة «شاطى الحكمة» للأم التي تروى كيف استطاعت بصلابتها وقوة شخصيتها أن تفرق بين ابنها وبين الفتاة الوحيدة التي أحبها وخطبها، لغير شيء سوى أنها استشعرت حب ابنها لها واهتمامه الشديد بها، وخشيت من أن تستحوذ عليه دونها، وهي الأرملة التي كرس حياتها لابنها وكيف دفعت خطيبة ابنها دفعا بإساءة معاملتها وتجاهلها لأهلها إلى طلب فسخ الخطبة، ثم حالت بعد ذلك بين ابنها وبين الرجوع إلى فتاته حين رغب الاثنان في ذلك، وهددته بسيف الغضب عليه إذا هو تزوج منها على غير إرادتها، وأغرته بالارتباط بأخرى لا يحبها ولا تخشى عليه من أن تنفرد به دونها، فتزوجها ولم يسعد بحياته معها.. ولم تهنا الأم بابنها وحفيدتها لأن زوجته التي اختارتها له بنفسها قد أساءت معاملتها وقاطعتها وحرمت على زوجها أن يصطحب طفليتها معه لزيارة جدتهما. ولم تجن الأم من كل ذلك سوى ندمها على تعاسة ابنها الوحيد بزوجته واتهامه الصامت لها بحرمانه من سعادته، وهذه القصة يا سيدي تماثل في مضمونها قصتي التي أكتب لك الآن عنها، فأنا مرتبطة بشاب له أم لديها مثل صاحبة الرسالة قلب شيمته القسوة وسعيدة جدا بصلابتها وتحكمها في أبنائها وفي مشاعرهم، وإذا كانت كاتبة الرسالة تندم الآن على أن فرقت بين ابنها وبين من أحبها وتمناها، فإن أم فتاي لا تشعر بأي ندم.

فقد أحببت شابا من نفس مستواي الاجتماعي والمادي والثقافي والعائلي، ولا يوجد بيننا ما يمنع أن نكون زوجين متحابين سوى رفض أمه الحاد والمستمر لمدة ثماني سنوات حتى الآن لي بدون أي سبب سوى أن ابنها يحبني ويصر عليّ وأنه هو الذي اختارني وليست هي صاحبة الاختيار، فرفضت حتى أن تقابلني أو أن تسمعي بإصرار وكأني سوف أعتال ابنها.

وهكذا فإننا في حرب طوال هذه السنوات، هي تحاول ان تقنعه بغيري، وأنا وهو نحاول أن نلتصم رضاها إلا أن قلبها لا يرق ولا يتأثر.. لماذا؟ لا أدري وإلى متى؟ لا أعلم أيضا.

إنني أرجوك أن تكتب إليها وإلى كل أم مثلها وأن تسألها: لماذا كل هذا العناد؟ ولماذا تعذب ابنها بدافع الحب؟ ولماذا الظلم وتحطيم القلوب؟

إنني أرجوك أن تطلب منها أن تفصح عن سبب واحد مقنع للرفض وأن تؤكد لها أن ابنها لن يتزوج غيري فلماذا الرفض إذن؟

وهل سيرضيها أن أقبل الزواج منه دون رضاها؟ هل ستسعد عندما لا تحضر زفاف ابنها، وهل ستكون سعيدة حين لا ترى أحفادها من ابنها؟ لقد سألت أحد الشيوخ وكان معي ابنها فقال لنا تزوجا دون رضاها فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والزواج طاعة لله في هذه الظروف ورفضها يدعوكم للمعصية! إنني أرجوك أن تكتب لها على لساني أنني أقسم لها بأنني لن آخذ ابنها منها بحبه

لي كما تظن وإنني ألتمس منها الرضا لكي تسعد ابنها وتسعدني، وقل لها أن تضع  
ابنتها في مكاني وتسالها: هل ستقبل بعذابها وحرمانها ممن أحببت؟

إن الحب ليس جريمة طالما كان في نطاق الاحترام وطالما كانت النية هي تكوين  
أسرة سعيدة قائمة على التفاهم والحب، فيا سيدتي أرجوك تكلمي سئمت صمتك  
وتحكمك في طوال ثماني سنوات.

وشكرا لكم على تناولكم مثل هذه المشكلات التي تمثل فئة من المجتمع الذي  
نعيش فيه، وأرجو عدم تجاهل نشر قصتي لعلها تكون سببا يدفع قلب والدتي فتاي  
لأن يرق لي ولمشاعر ابنها.. والسلام.

## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

ثماني سنوات من الصبر والانتظار فترة أكثر من كافية لأن يرق قلب أي أم في  
الوجود لابنها وتأذن له بالزواج ممن اختارها قلبه حتى ولو لم تكن في أعماقها  
راضية على هذا الاختيار، أو كان لديها ألف سبب وسبب للاعتراض عليه. ذلك أن  
طول الصبر والانتظار لهذه الفترة الزمنية يقطع بأن اختيار ابنها لفتاته هو اختيار  
نهائي غير قابل للمراجعة أو التعديل، كما يقطع أيضا ببر هذا الابن بأمه وإشفاقه  
عليها من أن يتزوج ممن اختارها قلبه على غير إرادتها وقبولها.. فما معنى  
التحجر في موقف الرفض من جانب الأم إلى ما لانهاية سوى إهدار العمر الثمين  
في الصبر والانتظار، وسوى اختزان الابن وفتاته للمرارة في اعماق كل منهما  
تجاه من تحول بعنادها الرهيب دون تحقيق حلم السعادة في حياتهما!

إن هذا الابن - كما فهمت من سطور الرسالة - قادر على أن يتزوج من فتاته  
التي يرتبط بها برباط وثيق منذ 8 سنوات، ولكنه يشفق على أمه من أن يحقق  
سعادته على غير رضاها ومباركتها، فكيف لا تترفق به بعد كل هذا الصبر  
وتمنحه الإذن بالزواج.. وهو الذي كان في مقدوره ان يفعل ذلك على غير  
إرادتها طوال السنوات الماضية؟!!

وكيف لا يكون الرفق بمثل هذا الابن هو العطاء المقابل لصبره على نفسه  
وحرصه على عدم إغضاب والدته طوال كل هذه السنين!

يا سيدتي إن رسولنا الكريم- صلوات الله وسلامه عليه - يقول لنا ما معناه: رحم  
الله امرأ أعان ولده على بره.

أي أعانه بالعدل معه والرفق به على أن يكون ابنا بارا له يرعى الله فيه  
ويطيع ربه في تعامله معه.

وأنت يا سيدتي لا تعينين هذا الابن على أن يكون بارا بك بهذا الموقف المتصلب  
من اختياره لشريكة حياته أيا كانت دوافعك إليه، وإنما تدفعينه دفعا إلى شق  
عصا الطاعة عليك، كما أنك. ويا للعجب. ترضين له بالحرمان مما يراه  
سعادته المشروعة لاعتبارات تتعلق بك أنت ولا تتصل به أو بسعادته، كان يكون  
بعضها متعلقا للأسف بالعناد الصخري.. وموقف العداء من الفتاة التي اختارها

الابن.. والرغبة المتسلطة في عدم الانهزام أمامها في معركة الظفر بالابن الحائر، كما لو كانت حياته ومستقبله ساحة للنزال تقول فيها كل من الأم وفتاة الابن للأخرى: اللعنة على من يقول قبل الآخر كفى قتالا! كما قالها ماكبث في رائعة شكسبير لخصمه ماكدوف في مبارزتهما الأخيرة، وما هكذا يكون التعامل مع حياة الابن ورغباته المشروعة، وما هكذا يكون البر بالأبناء والرفق بهم، بل إنني لأعجب كيف ترضين لابنك الشاب بالصبر ثماني سنوات طوال على رغبته في هذه الفتاة، وتحولين دون سعيه المشروع لإعفاف نفسه بها وهو الذي لو أصاب إثما معها كان عليك بعض هذا الإثم لوقوفك حجر عثرة في طريق زواجهما المشروع؟ لقد قال خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز: إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بعاص و إنما العاصي هو الإمام الظالم!

ولو خرج هذا الابن على طاعتك وتزوج من فتاته لما كان عاصيا لك.. وإنما يكون العاصي هو «الإمام الظالم» الذي دفعه دفعا إلى هذا العصيان، وشكرا.

## 8- جمال الذكرى

أنا فتاة في الثانية والعشرين من عمري.. قرأت رسالة «الثلث الفادح» للأستاذة الجامعية التي تشكو تحملها وحدها مسئولية رعاية والدها المسن المريض مما أثر في حياتها الزوجية، ومن عدم مشاركة إخوتها لها في تحمل هذه المسئولية والتخفيف عنها، ولقد أثارت هذه الرسالة شجوني لأنني نشأت في أسرة متوسطة الحال ومتدينة إلى حد كبير، ومنذ صغرى تعودت على أن أسمع من أبي توجيهاته عن الحرام والحلال، وما يجوز لنا أن نفعله في حياتنا وما لا يجوز..

ولأنني أصغر إخوتي فلقد كان أبي موقنا في أعماقه أنه لن يكمل معي الطريق وأنه سوف يتركني استكملة وحدي من بعده، فنشأت بيني وبينه علاقة حب عميق، وفهم صادق، فكان يشعر دائما بما أشعر به من ضيق أو حزن ولا يدعني حتى يسرى عني ويعيد البسمة إلى وجهي، وإذا خرجنا معا راح يتحدث معي كصديق ويصارحني بما يشغله أو يضايقه فمضت بنا الأيام وحبه ينمو في قلبي ويمتزج بالإعجاب والفخر بهذا الأب الذي ظل يكدح أربعين سنة ويعطى ويرعى ويحب من حوله ناسيا نفسه، إلى أن بدأ المرض يدب في جسمه، وبدأت أيدي الأطباء تتداوله وكل منهم يفتي برأي مخالف عن رأي الآخر، وحالة أبي تسوء يوما بعد يوم، إلى أن عرض نفسه على طبيب كبير بالقاهرة فاكشف إصابته بالمرض اللعين ووصف له العلاج الصحيح وتحسنت حالته بعض الشيء، وتماسكنا نحن لكي نخفف عن أبي وقع الصدمة.. والتفطنا حوله نحيطه بالحب والرعاية والدعاء، وفي كل صباح أدخل عليه غرفة نومه وأنا متوجسة لأرى إذا كان يتنفس أم لا، وأسأله هل يريد شيئا.. وأتأمله بعض الوقت وأسمع إجابته الحبيبة إنه لا يريد إلا سلامتي، وأخرج للجامعة وأرجع ملهوفة لأطمئن عليه، وأتبادل مع أختي تعليق الجلوكوز له واتجنب النظر إلى عينيه لأنني لا أحتمل دموعه التي تنساب بغزارة، وأدخل عليه وهو نائم عشرات المرات أنظر إليه وأتفحصه وكأني أراه للمرة الأولى.. أو كأني أريد أن أشبع عيني من وجهه بعد أن أشبع هو قلبي بحبه، وكم كانت تبلغ بي السعادة حين أودي له شيئا يطلبه أو أنجح في إدخال السرور إلى قلبه الحزين أو أرسم الابتسامة على شفتيه، إلى أن جاء اليوم الأخير وجلست إلى فراشه أطعمه بيدي لأول مرة في حياتي، وفي ليل هذا النهار رحل أبي -يرحمه الله - عن الحياة ودخلت عليه غرفته فرأيت يبتسم ابتسامة صافية جميلة وهو بين يدي خالقه فقبلت جبهته ودعوت له ربي بأن يتقبله بقبول حسن ويعوضه في رحابه عن كفاحه وعطائه لأسرته وأبنائه.. وواجهت الحياة من بعده وحيدة.. أسير في الطريق «فأراه» يمشى إلى جانبي يحدثني ونضحك معا.. وارى فراشه خاليا فأشعر بقلبي الذبيح يعتصره الألم.. وأرى ملابسه في الدولاب فأقبلها وأبكي وأراه في كل مكان من البيت كأنما لم يغادره.. وفي أوقات كثيرة يخيل إلى أنه غائب عنا في العمل وسوف يعود إلى البيت في موعده ويفتح الباب ويلقى علينا تحيته المعتادة، ولقد مضت ستة أشهر على رحيله عني ومازلت أفتقده كثيرا وأتوق إليه أكثر وأحتاج إليه بشدة وأشعر

كأنني شجرة سقطت منها كل أوراقها ولم يعد هناك ما يحميها من عواصف الحياة... واتمنى لو أرتمي على صدره وأبكي بكل دموعي، ولقد ظهرت نتيجة السنة النهائية في الجامعة ونجحت بتفوق فلم أفرح بنجاحي ولا بتفوقي وطوال طريقي للعودة إلى مدينتي من مقر الجامعة لم تتوقف دموعي، لأنني لن أستطيع أن أبلغ أبي بنجاحي وأسعد بفرحته به.. وبدعائه لي كما كان يفعل كل سنة.. إنني أريد أن أقول لهذه الأستاذة الجامعية التي تتشكى من رعايتها لأبيها دون إخوتها إنني أغيظها على ما تشكو منه من عناء خدمة أبيها، وإنني كنت أتمنى لو طال المرض بأبي إلى ما لا نهاية ليبقى بيننا ومعى أطول فترة ممكنة ولو خدمته برموش عيني وأمضيت عمري جالسة تحت قدميه كما كنت أتمنى لو طال به العمر قليلا ليرانا حوله ويحصد ما زرعه فينا ويرى ثمار زرعه الطيب.. إنني راضية تماما بقضاء الله وقدره لكنى حزينة على أبي.. وحزينة من أجله وهناك فارق كبير بين الحزن وعدم الرضا، ولأن قلبي كتوم لما فيه دائما فقد فاض بأحزانه ولم يعد يستطيع إخفاء ما أشعر به من افتقاد لأبي ووحشة من بعده.. والسلام عليكم ورحمة الله.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

الله سبحانه وتعالى وحده هو من يعلم بعمق عاطفة الحب التي ينطوي عليها قلب الأب لأبنائه خاصة الضعفاء منهم، فهم حبه الأبدى والسرمدى الذي لا تنال منه السنون، وهو عند الصالحين منهم مع حب الأم حبهم الأول والأعمق والذي يصوغ وجدانهم ويعلمهم حب الآخرين. ومن أصدق ما قرأت في هذا الشأن ما كتبه الكاتب المسرحي الإنجليزي صمويل بيكيت عن أبيه حين قال مخاطبا إياه: «إذا لم تحبني فلن يحبني أحد في الدنيا بأسرها وإذا لم أحبك فلن أحب أحدا أبدا!..» وهي كلمة عميقة المغزى، وتنبهنا إلى حقيقة نفسية كامنة في النفس والوجدان هي أن من لا يحبه أبوه أو لا يستطيع أن يجتذب حب من فطره الله على حب أبنائه، فلن ينجح غالبا في الفوز بحب أحد غيره حبا صادقا أبدا، وأن من لا يحب أباه لن يتسع قلبه الذي فطره خالقه على حب الأبوين لحب حقيقي صادق لأي إنسان من قبلهما أو بعدهما مهما تراءى له غير ذلك.. ولأن أحب أبناء الأب إليه - كما قال العربي الحكيم - هو صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يشفى، وغائبهم حتى يعود، فلقد كنت أنت يا ابنتي بهذا المعيار الرحيم أحب أبناء أبيك إليه، لأنك «صغيرهم» الذي يختلط حبه له بالإشفاق عليه.. والتوجس مما قد يواجهه في الحياة من بعده إن لم يتسع العمر لحديه عليه حتى تصل سفينته إلى شاطئ الأمان. والأب العطوف الصديق هو دائما أقرب الآباء إلى قلوب أبنائهم، وإذا كانت طبيعة الابن تنزع به عند سن معينة للاستقلال بشخصيته وأفكاره وهواجسه عن أبيه، وتقيم لديه «تعارضاً» موهوماً، بين تعبيره لأبيه بالكلمات عن مشاعره العاطفية تجاهه.. وبين ما يحسبه هو من مقتضيات الرجولة واستقلال الشخصية، فإن الابنة بطبيعتها الأنثوية تعفى نفسها من هذا التناقض الموهوم، ولا ترى بأساً في التعبير عن مشاعرها العاطفية لأبيها وأما مهما بلغت من العمر.. ولقد تستقل مكانيا عنهما ويصبح لها بيت آخر وزوج

وأبناء، لكنها لا تنفصل عنهما عاطفيا أبدا، وإنما تظل مشدودة إليهما بخيط رفيع من الحنان والعطف والحب الصادق والاعتمادية النفسية التي تعمق روابط الأبوين معها، وكذلك يفعلان هما أيضا معها مهما تباعدت بينهما وبينها المسافات والأزمان، ولأن حبها لهما وحبهما لها هما نبع الحب الأول في قلبها، فكل حب يطرأ على حياتها هو امتداد لهذا الحب وليس متناقضا معه. ولقد كان الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - يحب ابنته فاطمة أشد الحب وأعمقه، ورفض أن يأذن لعلي ابن أبي طالب بأن يتزوج عليها قائلا ما معناه: والله لا آذن.. والله لا آذن.. فإن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويريني ما يريها. فلا عجب إذن في أن ينطوي لك قلب أبيك على كل هذا الحب، ولا في أن تبادلته أنت ككل ابنة بارة عطوف حبا بحب، وتفترقي غياب شمسك عن حياتك.. ومن أحزان الحياة حقا أن تتحقق لنا الأهداف التي سعينا بجد لبلوغها والانتصارات التي كدحنا جادين لتحقيقها.. وقد غاب عنا من كانوا سيسعدون بها أكثر من سعادتنا نحن بها، أو تجيئنا هذه الأهداف بعد أن رحل عنا من كان النصيب الأكبر من فرحتنا بها سيكون نابعا عن إحساسنا بالرضا عن أنفسنا لأننا قد أسعدناهم بها وأدخلنا الفرحة من أجلنا إلى قلوبهم الحزينة.. فالإنسان لا يسعد بسعادته وحده بالأشياء التي تطلع إليها، وإنما بسعادة أعزائه الأقربين إليه بها من أجله، بل لعل فوزنا بما سعينا إليه من أهداف، قد يثير الأسى في نفوسنا حين نتحقق لنا بدلا من الابتهاج به حين لا نجد حولنا من نتقاسم معه الفرحة بها، غير أن هذا الإحساس المرير قد يشعر به الإنسان في نهايات العمر أكثر وليس في بداياته كما هو الحال معك، ولقد يثير المرارة في نفس الإنسان الوحيد تماما في الحياة، وليس في مثل ظروفك التي تحظين بها بنعمة وجود الأم والإخوة والأحباء.. فاستعيني بما غرسه والدك في قلبك من حب له وللآخرين على مواجهة الحياة، ولتكن ذكرى أبيك وأيامك السعيدة معه وفي حياتك العائلية زادا عاطفيا لك يشد من أزرك ويعوضك عن غيابه عنك.. فإن جمال الذكرى يمكن أن يعوض الإنسان بعض ما يستشعره من وحشة ووحدة بعد غياب الأعزاء.. وشكرا على إعلانك للقيم العائلية الصحيحة وتذكيرك للآخرين بواجباتهم تجاه أعزاهم والسلام.



## 9- الصرخات العالية

لا أعرف من أين أبدأ رسالتي هذه إليك.. فأنا شاب موظف أقيم بالقاهرة وأنتمى لأسرة متراحمة من إحدى محافظات الجنوب، وقد نشأنا بين أبوين طبيين وتعلمنا في المدارس والجامعات، وفرقت بيننا شئون الحياة، فتزوجت شقيقتان لي في محافظة أخرى، وانتهت بي الوظيفة بالاستقرار والزواج في القاهرة، وبقيت إحدى شقيقتي مع والدي في عاصمة المحافظة التي نشأنا فيها وعملت هناك بعد تخرجها في كليتها الجامعية، وارتبطت عاطفياً بشاب طيب من معارف الأسرة اختار العمل الحر فافتتح لنفسه مكتبا مهنيا في نفس المدينة، وبدأت الأسرة تستعد للاحتفال بتتويج قصة حبهما العميق بالزواج، وتم الزفاف فلفتت شقيقتي الأنظار بجمالها الباهر الذي سخا به الله سبحانه وتعالى عليها، وسعد العروسان بحياتهما.. وتشاربا الحب الصافي، والمودة المتبادلة طوال 14 عاما لم يزعجها خلالها شيء سوى أن شقيقتي الجميلة هذه لم تشأ لها العناية الإلهية أن تنجب بالرغم مما أجرت من عمليات جراحية وحصلت عليه من علاج وبالرغم من أن الأطباء بعد آخر جراحة أجريت لها قد أكدوا لنا أنه لم يعد هناك ما يمنعها الآن من الحمل والإنجاب، وفيما عدا ذلك فقد مضت حياة شقيقتي وزوجها في سلام، وتميزت علاقتهما دائما بالحب والوئام، ولاحظت أنا شخصا عليها أنها كلما مضى بها العمر دون إنجاب ازدادت التصاقا وارتباطا بزوجها وكأنما قد أصبح محور حياتها واهتمامها وكل شيء لها في الحياة، فلا حديث لها معي أو مع والديها أو إخوتها إلا عنه. ولا خطوة أو عمل تقدم عليه إلا إذا رضي عنه هو أولا وباركه.

ولقد أدركت والدي بقلب الأم عمق ارتباطها بزوجها وخشيت عليها مما يمكن أن تتعرض له إذا طرأ على علاقتها به أي طارئ واستشعرت أن زوجها لا بد أنه يتعرض لبعض الضغوط من جانب أهله للزواج مرة أخرى من أجل الإنجاب، وأنه قد يساوره الحنين للأطفال فيقدم على خطوة لا يدرك فداحة عواقبها على زوجته ففاتحته في هذا الأمر على أفراد وطالبته بأن يصارحها بما إذا كان ينوي الزواج مرة أخرى أم لا، لكيلا يفاجئ زوجته بخطوة تسلمها للانهايار، وصارحته بأنها تتفهم دوافعه لمثل هذا التفكير لكنها تطلب منه فقط الصراحة لكي تحمي ابنتها من المفاجأة، فأكد لها أنه لا يفكر في الزواج وأنه لا يحب الأطفال ولا يسعى إليهم.

واطمأن قلب الأم بعض الشيء، وبعد أسابيع من هذا الحوار لقيت وجه ربها واجتمع الأبناء المشتتون في أنحاء البلاد في بيت الأسرة، ولاحظت أنا أن شقيقتي المقيمة في بلدتنا بالرغم من حزنها الشديد على أمها، وقد كانت رفيقة وحدثها في السنوات الأخيرة، لا تسمح لحزنها عليها بأن يشغلها لحظة عن زوجها المحبوب وانتهت أيام العزاء ورجع كل منا إلى بيته وأسرته.. ومضت ثلاثة شهور ثم كنت في بيتي ذات مساء فإذا بالتليفون يرن رنته الطويلة التي تشير إلى مصدر المكالمة البعيد، وإذا بي أرفع سماعة التليفون فلا أسمع منها

سوى صرخات عالية ونواح صاخب وكلمات متقطعة لا أميز منها سوى صوت شقيقتي هذه وهي تقول لي: فلان سيتزوج!

وعرفت بعد جهد جهيد لتهدئتها أن زوجها الذي تتفاني في حبه قد صارحها قبل لحظات بأنه سيتزوج من موظفة شابة بمكتبه وسألها عن رأيها فيها فانهارت انهيارا كاملا حتى أشفق عليها زوجها وطلب منها إن لم تكن موافقة على هذه الفتاة بالذات أن ترشح له هي زوجة أخرى لأنه كما قال لها سوف يتزوج لكي ينجب في كل الأحوال.

ولم أدر بما دار بينهما حينذاك.. لكن ما حدث هو أنه قد تزوج بالفعل من تلك الفتاة بعد عدة أيام، وأن شقيقتي لم تتقبل الأمر الواقع وانهمرت دموعها ليل نهار، وعجزت عن النوم لعدة ليال إلى أن كانت جالسة تجتر أحزانها وحيدة في مسكنها ذات أصيل فإذا بها تشعر كما روت لي فيما بعد، وكأن سيخا من النار يشق ظهرها، فصرخت من الألم صرخات عالية تجمع على صداها الجيران وهرول إليها زوجها واصطحبها للطبيب فشخص الحالة على أنها نوبة برد شديدة الوطأة.. وأعطاهم حقنة مسكنة للألم ومنومة.. فلم تنم ولم يتوقف الألم ولم تكف عن الصراخ وإنما بدأت تفقد الإحساس بنصفها الأسفل وتعجز عن المشي.. وتم ادخالها المستشفى في مدينتها واجتمع الأهل حولها يخفون عنها.. وتحسنت حالتها بعض الشيء واستردت بعض قدرتها على المشي ببطء شديد، ورجعت إلى منزلها.. فإذا بحالتها تسوء من جديد وتفقد الإحساس نهائيا بالنصف الأسفل من جسمها، وتشكو من فوران غريب للدم يبدأ من رجلها ثم يصعد إلى أعلى جسمها فيعتصره اعتصارا بالتقلصات التي لا يطيقها بشر، فتصرخ من الألم بلا انقطاع، ثم بدأت رجلها تتورم وعجزت عن الحركة، والاستلقاء نهائيا على ظهرها لأن سيخ النار الذي يشقه يتضاعف ألمه إذا لا مس ظهرها الفراش.

وجاءت شقيقتي إلى القاهرة منذ أسابيع طلبا للعلاج وبعد جولة عصيبة على الأطباء قال الطبيب النفسي إن الحالة قد أصبحت عضوية ولم يعد يملك علاجها، واختلف الأطباء المتخصصون في تشخيص حالتها فمنهم من قال إن لديها مرضا نادرا واسمه دى إس، ومنهم من قال إنها مصابة بتصلب متناثر بالجهاز العصبي، ومنهم من قال إن علاجها ممكن بالحقن لكنه يتكلف 900 جنيه أسبوعيا لمدة عام كامل. وهي حقن غير متوافرة حاليا في مصر.

لقد أدخلناها مستشفى عين شمس التخصصي أسبوعا تكلف أكثر من ألفي جنيه دون جدوى.

وهي الآن مقيمة في بيتي بالقاهرة نصف مشلولة لا تقدر على المشي ولا تستطيع أن تفرد ظهرها على فراش ولا تتحكم في الإخراج بسبب فقد الإحساس بالنصف الأسفل من الجسم.. وتمضى النهار والليل جالسة متكئة على أحد جانبيها والتقلصات الرهيبة تعصر جسمها فتطلق صرخاتها العالية باستمرار وتحتاج إلى مرافق بصفة دائمة.. وكلما احضرت لها مرافقة لم تحتمل صرخاتها المستمرة

وخدمتها وتركتنا. والجيران الذين يورقهم صرخاتها في الليل يدعون لها الله سبحانه وتعالى أن يسكن ألامها ويتعجبون حين يعرفون أن مصدر هذه الصرخات هو شابة باهرة الجمال في سن السابعة والثلاثين من عمرها.. ولقد عرض زوجها أن يطلقها إذا كان في ذلك شفاؤها.. لكنها ترفض الطلاق وتتمسك بالأمل في الشفاء.. وأنا حائر معها ومتألم من أجلها ولا أعرف ماذا أفعل، لقد قيل لي إن لمثل حالتها هذه علاجاً في الخارج وأنا موظف وهي موظفة ولا نتحمل تكاليفه.. فهل من أمل في قرار إنساني بعلاجها في الخارج وماذا أفعل معها لكي أخفف عنها بعض هذه الآلام القاسية؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

يا إلهي كل هذا البلاء لأن زوجها قد تزوج من أخرى بغرض الإنجاب؟ وماذا أفادها الاستسلام للحزن الشديد على عدم وفاء زوجها لها سوى مضاعفة الخسائر.. وفقد الصحة والقدرة على الحركة بعد فقد إخلاص الزوج لها للنهاية! إن عجز الإنسان عن تقبل الأمر الواقع الذي لا يرضيه يضعه من حيث لا يدري في بؤرة الصراع النفسي الذي يتأجج في أعماقه ويفور كما تفور الحمم في جوف البركان، فإن لم يحسم هذا الصراع في الوقت الملائم بالتواؤم مع الأمر الواقع الذي لا حيلة له فيه.. أو برفضه وتغييره، والخروج من دائرة الانفعال السلبي به.. فإن هذا الصراع قد يتحول إلى مرض نفسي هستيري تصاحبه مظاهر مرضية كالأضطرابات الحركية التي يفقد المرء معها القدرة على الحركة كما في الشلل الهستيري، وكاضطرابات النطق التي يعاني معها فجأة من عدم القدرة على الكلام واحتباس الصوت أو تغير نبراته أو الهذيان بصوت غريب بكلمات غير مفهومة تدفع البعض للاعتقاد بأن أرواحاً شريرة قد تملكته، وكاضطرابات النظر مثل العمى الهستيري المؤقت الذي يفقد المرء معه الرؤية لفترة تطول أو تقصر نتيجة لتأثره الشديد بانفعال حاد صارخ، وكل هذه الحالات قد تظهر لدى السيدات في مجتمعنا أكثر من الرجال كتعبير لا إرادي عن الصراعات الداخلية في حياتهن الزوجية أو العاطفية أو بهدف الهروب النفسي من مواجهة مواقف عصيبة يعجزن عن مواجهتها واحتمالها، أو بهدف اجتلاب الحنان والاهتمام اللذين يفتقدانهما في العلاقة مع شركاء الحياة والقلب، وفي الأغلب الأعم فإن هذه الأعراض قد تظهر لدى السيدات الأقل نضجاً من الناحية العاطفية والنفسية أكثر من غيرهم. كما تظهر أكثر أيضاً لدى السيدات اللاتي ينظرن إلى الحياة نظرة أكثر رومانسية من غيرهن.. وفي كل الأحوال فإن العلاج لا بد أن يتجه إلى الكشف عن العوامل اللاشعورية المسببة لهذه الأمراض، وإلى حسم الصراع النفسي الشديد الذي أدى لظهور هذه الأعراض عن طريق العلاج النفسي وفي حالة شقيقتك فإن العوامل اللاشعورية التي سببت لها هذه الآلام القاسية وأفقدتها الإحساس بالنصف الأسفل من جسمها واعجزتها عن الحركة والقدرة على الرقاد كغيرها من البشر، هذه العوامل معروفة ومكتشفة ولا تحتاج إلى جهد من الطبيب النفسي للغوص في أعماقها لاستكشافها، ولقد عجت أشد العجب من أن يعرض زوجها أن يسرحها بإحسان إذا كان في ذلك شفاؤها..

وهو يعرف جيدا أنها ما مرضت ولا تعرضت لهذه المحنة القاسية إلا لعدم وفائه لها ولعدم الاكتفاء بها دون غيرها من النساء.. كما يعرف جيدا أنها تحبه أشد الحب وأعمقه.. وتدور كل مشاعرها حول محوره، وتتمسك بالأمل فيه بالرغم مما دفعته من ثمن باهظ لعدم وفائه من صحتها وجسمها ونفسها، فكيف يكون الاقتراح السعيد الذي يتقدم به للتخفيف عن الأمها هو أن يطلقها؟ وكيف لم يفكر إذا كان صادق الرغبة حقا في إزاحة هذا الغمة عنها في أن يكون اقتراحه هو الانفصال عن الزوجة الأخرى التي لم يمض على زواجه منها سوى أسابيع ولم تحمل ولم تنجب بعد، ولكي يحذب على زوجته الأولى إلى أن تستعيد صحتها الضائعة؟ أنه اقتراح في الاتجاه الخاطئ الذي ييسر عليه حياته الجديدة مع من ارتبط بها.. وليس نوعا من التضحية أو الإيثار كما يوحي في ظاهرها.. ولقد كان من واجبه أن يترفق بزوجه الأولى.. ويخبرها بين الاستمرار معه بعد الزواج من أخرى، أو الانفصال عنه في سلام، وأن يمهد للخطوة التي أقدم عليها بصبر وحرص طويلين يتكافأان مع ما تحمله له زوجته الأولى من مشاعر.. وما يتوقعه لمثل هذا الزواج الثاني من أثر رهيب عليها.

فإذا كانت دوافعه لمثل هذا الزواج مفهومة فإن الرحمة دائما فوق العدل.. وما أكثر ما يطالبنا حسن الإدراك ورعاية حقوق الآخرين علينا بأن نتلمس مواضع خطانا ونحن نسعى إلى ما نعتبره حقا لنا.. وما أكثر ما يطالبنا ذلك أيضا بأن نحاول بقدر الجهد تقليل أضرار هذا السعي الذي نراه مشروعا على من يضيرهم ذلك شئنا أم أبينا، ولو سألتني النصيحة لنصحتك باستئناف العلاج النفسي لشقيقتك عسى ان يمهد ذلك لعلاج امراضها الجسمية، ولنصحتك أيضا بإقناعها بطي صفحة هذا الزواج نهائيا من حياتها.. وتركيز كل عنايتها الآن على صحتها وعلى الآلام الرهيبة التي تعتصر جسمها وتطلق صرخاتها العالية ليل نهار من أثر تأثير جهازها العصبي بصدمتها الشديدة في حبها لزوجها، وبأن تتمسك بإرادة الشفاء.. والأمل فيه أكثر مما تتمسك بالأمل في الزوج الذي مضى إلى طريق آخر.. ولسوف تعينها إرادة الشفاء بإذن الله.. مع حسمها للصراع النفسي الحاد في أعماقها على مواجهة الأمر الواقع بشجاعة ورفضه وبدء حياة جديدة خالية من الأحزان والآلام القاسية بإذن الله، أما طلب العلاج في الخارج فإني أضعه تحت انظار المسؤولين، وأمل ان أجد لديهم ما يستحقه من استجابة عادلة.

## 10- القرار السليم

أنا رجل أعمال شاب تعرفني شخصيا لأنني قد تعاونت معك من قبل في موضوع قديم من موضوعات «بريد الجمعة» لكن ظروفنا الآن تحول بيني وبين ذكر اسمي، وقد دفعني للكتابة إليك ما قرأته في بريد الجمعة من رسالة الزوجة الشابة التي انفصلت عن زوجها الذي تحبه ويحبها بسبب عدم قدرته على الإجاب، وإحساسها بالندم على ذلك، ورغبتها في العودة إليه، وقد كان يحبها بإخلاص ويحسن معاملتها، ولقد رددت عليها ونصحتها مادامت ترغب في العودة إليه، بالاعتذار له عما ألمته به تمهيدا لاستئناف حياتهما معا، ولقد أثارت هذه الرسالة شجونني. فلقد أفاء الله سبحانه وتعالى علي بكل النعم، من مال ونجاح كبير في الحياة العملية، إلا أن حكمته جل شأنه قد رأت أن تحرمني من نعمة البنين، واكتشفت ذلك أخيرا حين تأخرت زوجتي في الحمل واضطررنا لعمل التحاليل اللازمة فجاءت نتيجتها بهذه الحقيقة المؤلمة، وأنا رجل مؤمن بالله وراض بقضائه إلا أنه تواجهني عدة مشكلات لا أدرى لها حلا، أولاها أنني أشعر بأنني أظلم زوجتي باستمرارها معي بالرغم من أنها مصرة على الحياة معي وترى أنني لم أقصر في حقها وأرعى الله فيها وفي كل من هم حولي، وترى كذلك أن هناك أملا في الشفاء، وهو من عند الله سبحانه وتعالى دائما، لكنني بمنطق رجل الأعمال أرى أن النهاية آتية لا ريب فيها وأنها لن تستطيع تحمل الحرمان من الولد إلى النهاية خاصة مع إجاب صديقاتها وزميلاتها، ونظرات الأقارب المتسائلة عن سر عدم الإجاب، ومن هذه المشكلات أيضا أنني لم أستطع حتى الآن ولا أستطيع مواجهة أبي وأمي بهذا الابتلاء خاصة أنهما في حالة صحية لا تسمح لهما باحتمال هذه الصدمة، ومنها ما سبق أن أشار إليه بعض المبطلين بمثل هذا الحرمان في رسائلهم إليك وهي نظرات الناس من حولي وتساؤلاتهم لماذا لم تنجب حتى الآن وقد أفاء الله علينا بأكثر مما نستحق من نعم، وهي تساؤلات لا جواب لها عندي، أما المشكلة الأخيرة فتتعلق بي شخصيا، فلقد أصبت بحالة إحباط شديدة عند علمي بهذه الحقيقة المؤلمة، وأشعر الآن إنني قد فقدت الحافز للحياة وبأنه لا معنى للسعي والعمل ولا لهذه المشاريع والأعمال التي أديرها، فهي لن تذهب لأحد من بعدى، وأبي وأمي لديهما ما يكفيهما فلمن أعمل إذن وأكده وأسعى إلى التوسع والنمو؟ إنني لا أجد داعيا للعمل وبالتالي إلى الحياة ولا حتى للخروج من باب البيت، ولقد وجدت سلوأي في الصلاة وقراءة كتاب الله، أملا أن يلهمني الله سبحانه وتعالى الصبر والقرار السليم بشأن حياتي الخاصة، ذلك أنني أرى أننا يجب أن ننفصل أنا وزوجتي الحبيبة حتى لا نصل إلى المرحلة التي وصلت إليها الزوجة الشابة في الرسالة المشار إليها حين طلبت الطلاق من زوجها وأصررت عليه بالرغم من دموع زوجها وتوسلاته إليها ألا تتركه، ولكي أقطع دابر الأسئلة الحائرة من حولي، لكنني لا أجد في نفسي الشجاعة لأن أخبر زوجتي برأيي هذا، كما أرى أنني يجب أن أصارح عائلتي ومن حولي بهذه الحقيقة المؤلمة لكنني أيضا لا أجد الشجاعة الكافية لذلك، وأنا أو من دائما بصواب رأيك، لكنني لا أتفق معك في نصحك لهذه الزوجة بالاعتذار لزوجها

والعودة إليه، لأنها لو اعتذرت ورجعت المياه إلى مجاريها بينهما فسوف يغلبها الحنين إلى الأطفال، ويتكرر ما حدث بينهما مرة أخرى، وأرى لها أن تترك زوجها لأقداره لأن اليأس إحدى الراحتين، ولا داعي لنكء الجراح مرة أخرى، إنني انتظر رأيك فيما يواجهني من مشكلات، وأرجو تجنب الإشارة إلى أي شيء تفلح معه الاستنتاجات في التعرف على شخصيتي راجيا من المولى عز وجل أن يلهمكم الصواب دائما، وأن نتعاون مستقبلا في أية مشكلات تخص إخواننا من قراء البريد.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

حين يصطدم الإنسان بإحدى حقائق الحياة المؤلمة، ويتطلب منه الأمر اتخاذ قرار مصيري بشأنها، فإن أفضل ما يفعله هو أن يؤجل اتخاذ هذا القرار بعض الوقت، إلى أن يستعيد توازنه الذي زلزلته هذه الحقيقة نفسها، ويتاح له الوقت الكافي لكي يبرأ من أثر الصدمة القاسية ومما أصابه من إحباط وقنوط ويأس انفعالا بها. ذلك أن أسوأ ما نفعله بحياتنا هو أن نتخذ القرارات المصيرية بشأنها ونحن في قمة تأثرنا وتشوش أفكارنا وانفعالنا بما لا يرضينا من حقائق الحياة المؤلمة.

وأنت يا صديقي في بؤرة تأثرك بما اكتشفت من عدم قدرتك على الإنجاب في الوقت الحالي، وتستوى لديك الآن كل الأشياء، وتشعر بعدم جدوى الحياة والحب والعمل والكفاح والعلاقات الإنسانية، وفقدت حتى الرغبة في مجرد مغادرة البيت ومواصلة الاشتراك في مباراة الحياة، وتقبل هزائمها والانتشاء بانتصاراتها.. فكيف تكون صالحا وأنت في هذه الحال من الضعف النفسي واليأس والقنوط لاتخاذ قرار قد تتأثر به حياتك سلبا أو إيجابا إلى نهاية العمر، إنكم في دنيا الأعمال والإدارة تقولون أن القرار الخاطئ الذي تكون له دائما أوخم العواقب هو القرار الذي يتخذه صاحبه انفعالا بموقف طارئ، أو تحت ضغوط نفسية قاسية لا تتيح لصاحبه صفاء التفكير والتجرد من المؤثرات الشخصية، أو بناء على معلومات ناقصة أو خاطئة وقرارك الآن سوف تجتمع له كل أسباب الخطل إذا اتخذته على الفور، لأنك أولا في قمة انفعالك الحزين بما عرفت عن نفسك، وتقع تحت ضغوط نفسية قاسية، ولا تتوافر لك كل الحقائق اللازمة لاتخاذ القرار الصحيح، وأبسط دليل على افتقارك لها هو أنك لا تضع اختيار الطرف الآخر المعنى بهذه المشكلة لحياته في الاعتبار المعنى وهي زوجتك، وترجم بالغيب فتقرر أنها لن تحتمل الحياة بدون إنجاب إلى ما لا نهاية وسوف تعمل معك إلى النقطة التي تشفق على نفسك منها وتطلب ذات يوم الانفصال عنك، وكل ذلك ليس هناك ما يؤكد أو يجعل منه أمرا غير قابل للمناقشة، فشريكة حياتك. كما تقول أنت نفسك - ترغب في استمرار الحياة معك وترى أنك ترعى الله فيها ولا تقصر في حقوقها، والزوجة التي كتبت لي الرسالة وتتخوف من أن تصل شريكة حياتك ذات يوم إلى مثل موقفها حين طلبت الطلاق، هي نفسها الزوجة التي ندمت على هجرها لزوجها وكتبت إلى ترجوني مناشدته أن يعيدها لعصمته بعد أن عرفت عن نفسها أنها لا تحتمل الحياة بعيدة عنه. فإذا

كنت تستشهد بموقفها في طلب الانفصال كدليل مؤكد على عدم قدرة شريكك على احتمال الحياة معك بدون إنجاب إلى ما لا نهاية، فكيف غاب عنك موقف هذه الزوجة نفسها حين ندمت على تسرعها وافتقدت شريك حياتها المحب ورغبت في العودة إليه والحياة معه بغير إنجاب؟

لقد أثرت تأملاتي بحديثك عن عدم جدوى العمل والمال وليس هناك من سوف يرثه عنك، لكني أقول لك يا صديقي «إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» وأنت والحمد لله رجل مؤمن بالله سبحانه وتعالى ورسله وكتبه وبقضائه وقدره خيره وشره، فكيف تقنط من رحمته إلى هذا الحد؟ إن في الحياة رجالا ونساء شاعت لهم أقدارهم أن يحرموا من الإنجاب فازدادوا عطفًا وتمسكا بشركائهم وتعزوا عما افتقدوه بجوانب حياتهم الأخرى، وبالحب الصافي الذي يتشاربونه مع شركاء العمر وبالعطف المتبادل بينهم، وعرفوا أنه لا يربط بينهم سوى الحب الصادق فحرصوا عليه ورووا أشجاره.. فأثمرت ثمارها الطيبة في حياتهم، وفي الحياة أيضا من اكتشفوا مثل هذه الحقيقة المؤلمة عن أنفسهم في بداية زواجهم فلم ييأسوا من رحمة ربهم، وصبروا على أقدارهم، وواصلوا السعي وطلب العلاج بلا كلل سنوات بعد سنوات، فمنهم من أنجب لأول مرة بعد زواجه بـ ١٢ أو 15 عاما، ومنهم من شعر بالرضا عن أقداره لأنه لم يقصر في طلب العلاج، واتسع قلبه لرعاية طفل محروم أو تعوض عن حرمانه بأن اعتبر أبناء الأشقاء والشقيقات أبناءه وفاض عليهم قلبه بحبه وحنانه إنني أخشى أن أقول لك إنك بما تراه من ضرورة الانفصال عن زوجتك بعد أسابيع قليلة من اكتشاف عدم قدرتك على الإنجاب وبغير كفاح طويل ومرير لطلب الشفاء، أخشى أن أقول إنك إنما تخشى على نفسك أنت من اللحظة التي يشتد فيها حنين زوجتك للأطفال فتطلب منك الانفصال، أكثر مما تشفق عليها هي من حياتها معك بغير إنجاب وفي ذلك فإنك ستكون ظالما لها بإقصائها عن حياتك على غير رغبتها بدعوى أنك تطلب لها الأفضل على المدى البعيد حتى ولو تألمت لبعض الوقت لانفصالك عنها، ولن تكون ظالما لها، على العكس من ذلك حين تواصل حياتك معها بناء على رغبتها واختيارها الحر، حتى ولو عانت داخليا مما لا مفر من معاناته في مثل هذه الحالة إننا في بعض الأحيان قد نتخذ من القرارات ما هو أكثرها أنانية.. ونحن نتوهم أننا إنما نقدم بها التضحية لمن يستحقون التضحية من أجلهم، ونصيحتي لك في النهاية هي ان توجل اتخاذ أي قرار بشأن حياتك الشخصية إلى أن تستعيد صفاء الذهن وحماسك للحياة والأشياء من جديد، وألا تنفرد باتخاذ هذا القرار دون شريكك في الحياة بدعوى التضحية بسعادتك في سبيل سعادتها. فالسعادة أثنى من أن يضحى بها المرء بمثل هذه السهولة. ومنطق رجال الأعمال الذي ترى به أن النهاية آتية لا ريب فيها، لا يصلح للتعامل مع هذه المشكلة، لأنه منطق لا قلب له ويعتمد على الحقائق المجردة والأرقام الصماء وحدها، وحياتك وحياة زوجتك وسعادتكما إنما تحتاج إلى منطق الحب والعطف والتضحية الحقيقية وليست الموصومة.. للتعامل معها.

فأما إشفاقك على أبويك من إبلاغهما بما تعانیه في مشكلة الإنجاب، وتساؤلات الآخرين من حولك، فالحق هو أنك لست مطالباً بتفسير أي شيء في حياتك الشخصية لآخرين فيما عدا والديك اللذين يهتمان بأمرك وصهریک اللذين يهتمان بأمر زوجتك، وما أسهل أن تتلطف في إبلاغ أبويك بأنك تواجه بعض المشكلات الصحية في الإنجاب لكنك تطلب العلاج بجدية وتأمل في الشفاء ذات يوم قريب بإذن الله، وأن تفعل زوجتك نفس الشيء مع أبويها. ثم تغلقان باب التساؤل بعد ذلك أمام الجميع وتواصلان حياتكما في أمل لا ينقطع في رحمة الله

وتخرج أنت من قوقعتك وتستعيد حماسك للحياة، تؤمن بما أمرنا به الهادي البشير صلوات الله عليه وسلامه، من أنه إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها في الأرض طلباً للخير للآخرين ولو كانت الآزفة على الأبواب، فإذا كنت تتساءل عن جدوى العمل والتوسع والمال وليس هناك من يرثه، فإني أقول لك إن الشجرة الوارفة يستفيد الآخرون بظلها ولا تستفيد هي منه شيئاً.. ولهذا يفضلها الجميع بحبهم واعتزازهم، وكذلك الإنسان حين يمتد ظله على الآخرين ويحميهم من لهيب الشمس ويهيئ لهم أسباب السعادة، ويسعد نفسه وشركاء حياته وكل من حوله.



## 11- مواقف الحياة

اكتب إليك هذه الرسالة قرب الفجر وقد مضى على يومان لم أذق خلالهما تقريبا أي طعام ولا أستطيع أن أجزم بأنني قد نمت خلالهما لحظة واحدة، فأنا أستلقي في الفراش مغمض العينين لكني أشعر بكل لحظة تمر على ولا يكف عقلي عن التفكير وأنهض من الفراش في الصباح خائر القوى وأشد إرهاقا مما كنت عليه حين دخلته، وابدأ من البداية فأقول لك إنني رجل في أوائل الأربعينيات من العمر نشأت بين أبوين متحابين متعاطفين، وأنهيت تعليمي الجامعي وعملت مهندسا بإحدى الهيئات، وحاولت بقدر جهدي تعويض أبي عن كفاحه الميرير لإعائتي وتعليم إخوتي فطلبت منه بمجرد أن عملت أن يعفي نفسه من مشقة العمل المسائي، الذي يضطره لعدم العودة إلى البيت كل يوم إلا في العاشرة مساء بعد يوم عمل طويل يبدأ في الثامنة صباحا، وأقنعتة بعد جهد كبير بأن من حقه أن يلتقط الآن أنفاسه ويستريح بعض الشيء وتصبح له «حياة» وأوقات فراغ يستمتع بها كغيره من الآباء الطيبين واستجاب أبي لرجائي دامعا وداعيا لي بالسعادة في الدنيا والآخرة واعتزل العمل المسائي الشاق بالفعل.

وفي أول كل شهر كنت أسلمه مرتبي كاملا وأترك له حرية التصرف فيه، فيعيد إلى أكثر من نصفه لنفقات حياتي ويرفض بإصرار أن يأخذ أكثر من ذلك وعشت بعد تخرجي وعملي استمتع باعتزازه بي وحديثه الطيب عنى للجيران والمعارف، أما أمي فقد كانت - وما زالت والحمد لله - نبعا للحب والحنان لي ولكل أبنائها وقد راقبت نجاحي في عملي بحب وثقة في أنني سوف أستطيع أن أحقق كل أحلامي في الحياة.

وبالفعل، فلقد تفتحت أمامي أبواب الرزق على مصاريعها بفضل دعاء أبي وأمي وإخوتي الصغار لي، وسافرت للعمل في مشروع تابع للشركة التي أعمل بها لعدة شهور في إحدى الدول المجاورة ورجعت منها بحصيلة طيبة من المدخرات وترقيت في عملي وازداد مرتبي وحوافزي منه، كما ازداد دخلي الإضافي من عملي المسائي بأحد المكاتب الهندسية فغمرت أبي وأمي وإخوتي بخيرات ربي التي أفاء بها على وجددت أثاث بيتنا ودفعت مقدم شقة تمليك في أحد مشروعات الهيئة التي أعمل بها، وأصبحت متعنى الكبرى أن أسأل إخوتي الصغار عما يحتاجون إليه واشتريه لهم مما لا يقدر أبي بمرتبته الحكومي على توفيره لهم كالأحذية الرياضية والساعات والكاميرات وأجهزة الكاسيت الصغيرة الخ.

ثم كنت ذات يوم مسافرا بالقطار إلى الإسكندرية فجاءت جلستي إلى جوار فتاة جميلة وجذابة الملامح وراستقرائية المظهر فتجادبنا أطراف الحديث وانتهت الرحلة بتعارفنا وتبادلنا عناوين العمل وأرقام التليفون، وكنت حينذاك في السادسة والعشرين من عمري ولم يسبق لي الارتباط بأي فتاة، فانجذبت إلى هذه الفتاة بشدة، وتكرر لقاءنا ووجدتني بعد قليل غارقا في حبها، وراغبا في الزواج

منها لكن عقلي تساوره بعض المخاوف والشكوك تجاهها، فالفتاة من وسط عائلي مختلف عن وسطى الأسرى ومظهرها متحرر إلى حد كبير فذراعاها عاريتان وملابسها قصيرة.. وشخصيتها قوية وجريئة وعالمها مختلف عن عالمي، لكن الحب كان أقوى من كل الهواجس، فظل قلبي يقربني منها وعقلي يبعدي عنها.. وبين حين وآخر تهملني هي وتتشاغل عنى لفترة وأشعر بأن هناك ما تخفيه عنى وأتعب بالشك فيها والغيرة عليها ثم أواجهها بشكوكي فتعترف لي بأنها ارتبطت خلال فترة الانشغال بشاب آخر رشحته لها الأسرة وجاهز للزواج.. لكن التجربة اثبتت عدم قدرتها على التجاوب معه.. فرجعت إلى! وتكرر ذلك خلال عام واحد ثلاث مرات! وفي المرة الأخيرة حسمت كل هواجسي وقررت الزواج منها، وصارحت أبي برغبتى فيها وبكل ظروفها فأبدى لي تخوفه من ألا أسعد معها لاختلاف الظروف والنشأة العائلية، لكنى صارحته بتمسكي بها فلم يملك إلا الموافقة، وكان قد أحيل للمعاش وازداد اعتماده المادي على.. فتزوجت هذه الفتاة وأقمت معها في الشقة التي أدفع أقساطها ولاحظت من البداية تأففها من أبي وأمي، وإخوتي بفتورها تجاههم وعدم رغبتها في زيارتهم أو مجيئهم عندي، وأغضيت الطرف للأسف عن هذا الجانب السلبي وساعدني على ذلك أن أبي وأمي وأخوتي قد شعروا بفتورها تجاههم فلم يلحوا عليها بدعوتها إلى البيت أو زيارتها في بيتها. فنزل جدار من العزلة بينهم وبينها حتى لم يعودوا يزوروني نهائيا في بيتي وأنجبت من زوجتي طفلة جميلة ولاحظت للأسف إبعادها لهذه الطفلة عن أهلي وتقريبها من أهلها، كما تغاضيت عن عصبيتها الزائدة معي، وعنادها وتمسكها برغباتها إلى أن تتحقق ولو لم أكن راضيا عنها.. كما رضخت كذلك لرغبتها في عدم الإنجاب بعد هذه الطفلة بالرغم من أمنية أبي وأمي أن يريا لي

ابنا من صلبى.. وانشغلت عما يضايقني منها بعملى الذي حققت فيه نجاحا كبيرا.. وباهتمامي بأبي وأمي وإخوتي الذين أنهى بعضهم تعليمه وبدأ حياته العملية.. وبزواج أختي الوحيدة.. وسعادتها مع زوجها الشاب المكافح.. وادائي لواجبي معها في «السر» لأن زوجتي شديدة الحساسية تجاه أية مساعدة أقدمها لإخوتي وتتعمد إرهابي وتعجيزي بالطلبات المادية الترفيه حين تستشعر إسهامي في بعض شئون إخوتي، لكن الحياة مضت بنا بالرغم من كل ذلك، وظل حبها مشتتلا في قلبي بالرغم مما أنكره عليها من تصرفات تجاه أهلي.. أو فيما يتعلق بمظهرها المتحرر وكثرة لجونها إلى بيت أهلها وتركى وحيدا في مسكن الزوجية لفترات طويلة لأن أعصابها متعبة وتحتاج للراحة إلى جانب كثرة صداقاتها وقضاء معظم الوقت في الحديث بالتليفون والخروج إلى النادي ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع مع صديقاتها دونى.. الخ...

وبعد ثماني سنوات من إنجاب طفلتنا الوحيدة اتخذت زوجتي قرارا فرديا بأن تنجب لها أختا، وأنجبنا بالفعل طفلنا الثاني وعقب إنجابها له ازدادت عصبية وتسلبا وتحكما.. وأصبح الشجار والخصام قاسما مشتركا في حياتنا عند أي مناقشة أو بادرة اعتراض من جانبي على أي تصرف من تصرفاتها، كما

أصبح استنزافها المادي لي صارخا وسوء تصرفها الاقتصادي يبدد كل ما أجنه من عملي الأساسي والإضافي رغم وفرته.. وكلما حاولت مناقشتها في شيء من ذلك غضبت وهجرت مسكن الزوجية واصطحبت الطفل الصغير وابنتنا إلى بيت أهلها ولا ترجع إلا حين استرضيها وألبي لها مطالبها المادية التي لا تنتهي، حتى لم أعد أعرف الاستقرار العائلي سوى لبضعة أسابيع طوال السنة.

ثم ازداد نزاعنا حول كثرة خروجها إلى النادي وإلى زيارات لصديقات لا أعرفهن خلال غيابي.. وصرخت هي وهددت وتوعدت وتدخل أهلها وبدلا من أن يعيدوها إلى رشدها ساندوها في موقفها وبرروه لي بأنها قد اعتادت الحرية طوال حياتها.. ولم نتفق على رأي بهذا الشأن وظل موضع خلاف وصراع بيننا ينفجر من حين لآخر.

وجاءتني فرصة للإشراف على مشروع للهيئة في إحدى مدن الجنوب البعيدة فرحبت بها لكي تبعدني عن الجو المضطرب في بيتي وأصبحت أقضي هناك ٢٥ يوما كل شهر وارجع لقضاء أسبوع مع أسرتي، واستمر المشروع عامين لاحظت خلالها ان ابنتي الوحيدة قد أصبحت تتدخل بيني وبين أمها في كل نزاع يطرأ بيننا وتتخذ موقف الدفاع عنها والهجوم علي دائما وعاتبت زوجتي في اشراكها لابنتنا في مشاكلنا، فلم تهتم بعنابي وقالت لي أن البنت قد كبرت وأصبحت تفهم كل شيء ومن حقها أن تبدي رأيها فيما لا يعجبها من تصرفاتي، أما حين سألتها ولماذا لا تبدي رأيها فيما لا يعجبها كذلك من تصرفات أمها فقد كانت اجابتها بالطبع أنها على حق دائما وأنا على خطأ باستمرار!

وضقت بكل شيء وأصبحت أتجنب أسباب النزاع والمشاكل معها خلال الأسبوع الذي أقضيه معها، وكنت التمس الراحة والسلوى في بيت أبي وأمي، وكان من عادتي أن أتصل ببيتي خلال وجودي في موقع المشروع كل يوم عدة مرات لأطمئن على أحوال زوجتي وابني وابنتي، وأتابع دراستهما فلاحظت أن التليفون قد بدأ يصبح مشغولا لفترات طويلة من المساء والليل، كما لاحظت أنني كثيرا ما أتصل بزوجتي في النهار وأول المساء فلا أجدها، أو لا أجد أحدا نهائيا في البيت، وحين ترجع تقدم لي تبريرات غير مقنعة لخروجها.

ورجعت في الإجازة فأثار شكوكي أنها حاولت على خلاف عاداتها معي في الشهور الأخيرة أن تحتويني عاطفيا، كأنما تريد أن تبعد عن ذهني أي خاطر مريب، كما لاحظت أنها كثيرة التهامس مع ابنتي ولا تجيب على التليفون أبدا في حضوري على خلاف عاداتها، وتقوم ابنتي بالرد ثم تقول لي إن الرقم خطأ!

وربطت بين كل هذه الأشياء واتخذت القرار المؤلم وهو أن أعتذر عن عدم العودة لعملي لكي أراقب زوجتي التي بدأت الشكوك تساورني فيها، وحملت حقيبتني في موعدي المقرر وغادرت البيت، لكنني لم أتجه إلى محطة القطار وإنما إلى فندق في وسط المدينة، وبدأت أراقب زوجتي فإذا بي اكتشف وجود رجل آخر في حياتها وأنه يخرج مع زوجتي وابنتي التي بلغت من العمر 16 عاما وابني، وبعد تحريات مؤلمة اكتشفت أن زوجتي تقدمه لهما على أنه خالها العاند من

الدول العربية بعد غياب 15 عاما! وواجهت زوجتي بما عرفت وانفجرت فيها ضربا وركلا وخنقا حتى كادت تلفظ أنفاسها بين يدي.. ولم ينقذها مني سوى وقوف ابنتي على حافة النافذة وتهديدها لي وأنا في قمة جنوني أنها ستلقى بنفسها منها إن لم أدع أمها.

ثم توالت الكوارث بعد ذلك وتدخل أهلها فتصادمت معهم صداما عنيفا، ووصل الأمر إلى أقسام الشرطة والمستشفيات إلخ.. وبعد أسابيع من المنازعات طلقتهما غير نادم عليها بعد أن نفذت آخر قطرة من حبي الكبير السابق لها، واتفقنا بعد أهوال - لا أريد الإطالة عليك بها - على أن تبقى مع البنت والولد في مسكن الزوجية وأن أدفع لها مبلغا كافيا لمتطلبات ابني وابنتي، على أن يكون لي حق زيارتهما في البيت والإشراف على تربيتهما ودراستهما..

وأجرت شقة صغيرة بالقانون الجديد في موقع قريب من بيت ابني وابنتي ونقلت إليها متعلقاتي وبعض الأثاث القليل، وتكتمت عن أبي وأمي خبر طلاقنا لزوجتي لكيلا أجدد أحزانهما، ولم أبح به لأحد من أخوتي ربما خجلا من نفسي أو خوفا من التنقيب عن أسبابه المشينة لي كرجل..

وأديت التزاماتي تجاه ابني وابنتي.. وانتظمت في الاتصال بهما تليفونيا كل يوم والتأكد من تلقيهما الدروس المطلوبة واستذكار دروسهما وحاولت خلال ذلك إقناع ابنتي بالحياة معي لكي أحميها من مؤثرات شخصية أمها عليها فرفضت ذلك بإصرار عجيب وهددتنى بالانتحار إذا أرغمتها على ذلك، وأصبح كل هاجسي هو حماية ابنتي وولدي وإنقاذهما من الضياع، فإذا رأيت ملابس ابنتي قصيرة نصحتها بعدم ارتدائها واشتريت لها ملابس طويلة كاسية لكنني بدلا من أن تساعدني أمها على ذلك كانت تنفجر في وجهي وتتهمني بأنني معقد وسوف اعقد البنت في حياتها، كما عقدتها هي، وشينا فشيننا بدأت لاحظ أن مشاعر ابنتي تجاهي قد أصبحت عدائية خاصة بعد أن اعترضت على كثرة خروجها وتأخرها في العودة إلى البيت! وفي كل زيارة لي لأسرتي يقع صدام جديد بيني وبينها لمثل هذا السبب، إلى أن حدث ما دفعني للكتابة إليك وأطار النوم من عيني خلال اليومين السابقين، فلقد ذهبت للاطمئنان على الولد والبنت في المساء فلم أجد ابنتي في البيت وسألت أمها عنها فاخترقت أسبابا واضحة للكذب لغيابها.. فاتصلت بكل صديقاتها بحثا عنها دون جدوى وبحثت عنها في النادي فلم أجدها وعدت للبيت وأصررت على الانتظار حتى تعود ورفضت كل محاولات أمها لإقناعي بالانصراف، وأخيرا وعند منتصف الليل لمحت من الشرفة سيارة تقف أمام العمارة وتنزل منها ابنتي بنت السابعة عشرة.. وهي تتبادل الضحكات العالية والكلام مع قائد السيارة فهرولت فوق السلام إلى أن لحقت بهما وفتحت باب السيارة وأخرجت منها قائدها وهو شاب رقيق لا يزيد عمره على 18 أو 19 عاما وانهلث عليه ضربا.. وصرخت ابنتي وهرولت صاعدة إلى البيت، فتركته وهرولت وراءها فإذا بها تغلق الباب وراءها وتعاونها أمها وترفض فتحه لي، وصحت العمارة كلها على الصراخ، وتدخل الجيران لإقناع الأم بفتح الباب مع طمأنتها بأنني لن أفعل شيئا وأخيرا فتحته وما أن دخلت حتى فوجئت بأخر مشهد

لا يود أن يراه أب في حياته وهو مشهد ابنتي وأمها وهما واقفتان متمرتان لي  
والأم تعلن لي بكل بجاحه

أمام الجيران أنه لا شأن لي بها ولا بابنتي وأنهما ستطلبان الشرطة لحمايتهما  
منى. ونظرت إلى ابنتي التي طالما احببتها ودللتها ولبيت لها كل مطالبها وأنا  
استجدي منها كلمة واحدة تنفي بها ما تقوله أمها على لسانها، فصدمت صدمة  
شديدة بها وصوتها يعلو أمام الجيران، ويؤكد كل ما قالته الأم المارقة لي وتصرخ  
أكثر من ذلك في طالبة منى تركها وشأنها وعدم عودتي إلى هذا البيت مرة أخرى  
لأنها لا تريد أن ترى وجهي ثانية.. لا هي ولا أخوها الصغير كما قالت!

وانعقد لساني من الصدمة وشعرت بانكسار شديد.. وسألته مترددا.. ألا تريدين  
حقا أن ترى أبك مرة أخرى؟

فأجابت: نعم لأنني قد كرهتك. وكرهت أمي وأخي وكل الناس من أجلك، وابتلعت  
ريقي بصعوبة ثم سألتها بصوت خفيض: وكيف ستعيشين إذا لم تريدينني في  
حياتك، فقالت صارخة إن أهل أمها سيتكفلون بها وبأخيها وأمها ولم اشعر بنفسي  
إلا والدموع تنهمر كالمطر من عيني وأحد الجيران الواقفين ينهر هذه الابنة بشدة  
ويطلب منها الصمت مهددا إياها بأنه هو الذي سوف يضربها إذا نطقت  
بكلمة أخرى، ثم يجذبني من ذراعي طالبا منى الخروج معه واستجبت ليد  
وغادرت الشقة ودموعي لا تتوقف.. وأوصلني الرجل إلى سيارتي وهو يعرض  
على أن يقودها بدلا منى وغادرت المكان وأنا لا أرى ما أمامي.

ورجعت إلى مسكني الخالي فلم أنم لحظة واحدة، ورقدت في فراشي مريضا بلا  
مرض وتعلق أملى الخائب بأن تتصل بي ابنتي تليفونيا وتعذر لي عما بدر منها  
وترجوني أن أسامحها وترجع إلى احضائي من جديد، فمضى النهار الثقيل دون  
أية كلمة أو إشارة منها ومضى اليوم الثاني كذلك وأنا عليل في فراشي.. ولا  
شيء حولي سوى الصمت وذكريات الجحود والانكسار والعار، وطوال الوقت  
أسأل نفسي: ماذا جنيت يا ربي لكي يكون هذا هو عاقبة حبي لابنتي وابني  
وخوفي عليهما من الضياع؟

لقد كنت ومازلت ابنا بارا بأبويه.. فكيف تعاقبني السماء بعقوق الأبناء وأنا الابن  
الذي لم يعص أبويه وحريص دائما على إرضائهما إنني لا أكل ولا أنام ولا  
أذهب للعمل.. ولا أعرف كيف سأواجه الحياة بعد أن انكرتني ابنتي، وسكت ابني  
الغلام فلم يندفع نحوى ليحتضني ويقول لمن شهدوا هذه المأساة إنني أب حنون  
وعطوف على ابنائي، وأنفق معظم دخلي عليهم إن قلبي ينازعني لأن أذهب إلى  
ابنتي هذه وأحاول استعادتها إلى احضائي مرة أخرى.. لكن خوفي من نفورها  
وكلماتها الجارحة يمنعني، إنني أستطيع أن أفعل الكثير بالقانون وأستطيع  
استعادة الشقة التملك في أي وقت وتقديم مسكني الصغير الحالي لمطلقتي  
الحاضرة لابني الصغير بديلا عنه كما أستطيع أن أقبض يدي عن ابنائي إلا  
لضروريات الحياة.. لكني لا أريد لهم أن ينزلوا عن مستوى معيشتهم السابق  
ولا أن يدفعوا ثمن خيانة أمهم، وتنكرها لحبي السابق لها وقد انذرتها بأنني سوف

استرد ابني وابنتي إذا تزوجت، فأكدت لي أنها لن تتزوج.. وأكدت لي أيضا لكي تزيدني هما وغما أن ولدي لا يريدان لها الزواج لكيلا أستردهما منها!

إن زوجتي السابقة لا تعينني الآن في شيء.. فلقد نضب معين حبي السابق لها تماما.. لكني حزين على ولدي.. فبماذا تنصحي أن أفعل لكي اتجاوز إنكار ابنتي وابني لي.. وأنسى ذكريات الموقف المؤلم الأخير لهما معي؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

من مواقف الحياة ما يزيد من إيمان المرء بها ويحببه فيها ومنها على الناحية الأخرى ما يبغضها إليه ويزهده فيها، والموقف المؤلم الأخير لابنتك الضالة هذه معك وإنكارها لك أمام الملام، من هذه المواقف التي يحق للمرء أن يحزن لها حتى النخاع، غير أن فهم حقائق الحياة قد يعين الإنسان على التخفف قليلا من بعض من أساء لها، وهذه الابنة الشاردة الجاحدة بالرغم من ادانتها بشدة لكل ما فعلت بحياتها وبك، هي في النهاية جانية وضحية في الوقت نفسه، فأما أنها جانية فيما تنكرت له ووجدته من حقك عليها كأب في أن تمنعها من تكرار مثال أمها الفاسد والانصياع وراء أهوائها بلا رادع من دين ولا قيم أخلاقية، وبما ارتكبه في حقك من مواجهتك بالرفض والكراهية والإنكار، وسوف تلقى إن لم ترجع عنه وتندم عليه جزاءها العادل عنه في الدنيا والآخرة.

وأما أنها ضحية في الوقت نفسه فلأنها قد نشأت في أحضان أم لم ترع حدود الله في حياتها وأبنائها وزوجها ولم تغرس فيها حب الأب واحترامه وطاعته والاعتراف له بحقه عليها في توجيهها وحمايتها من أنواع الحياة. ولعل لا أجاوز حدودي كثيرا إذا قلت لك أن شيئا من هذه المسؤولية الجسيمة إنما يقع عليك كذلك، باستسلامك الطويل السابق لإرادة أمها الذي لم يسهم في غرس المفاهيم الصحيحة في وجدان هذه الابنة منذ الصغر، كتغاضيك المزمع عن مقاطعتها لأبويك وإخوتك وأهلك وإبعادها لولديك عنهم، فضلا عن عصبيتها الزائدة وتسلسلها المستمر ومظهرها وسلوكياتها المتحررة طوال رحلة العمر معها. ولا عجب في ذلك فلقد أدى تسامحك الدائم معها ابتداء من ارتباطها بغيرك ثلاث مرات قبل خطبتك لها، إلى تسليمك لها بما لا ترضى عنه من سلوكيات طلبا للسلام العائلي معها، إلى إيهاام الابنة منذ الصغر بان الشخصية المؤثرة الحقيقية في حياتها ينبغي أن تكون هي شخصية الأم القوية المسيطرة وليست شخصية الأب التي لا تدور حولها فيما تراه وتلمسه حياة الأسرة، وما يقوله علماء الاجتماع بشأن طبائع الشعوب من تقليد الأمم الضعيفة للأمم القوية، قد ينطبق أحيانا على البشر فيصبح سلوك الأقوياء في مخيلة البعض هو القدوة التي ينبغي أن تحتذى مهما كان المثال خاطئا ومجافيا للحق والدين. وطريق التنازلات يبدأ دائما بخطوة واحدة.. تليها غالبا بقية الخطوات، ويخيل إلي أن بداية هذه المأساة المؤلمة في حياتك كانت في تغاضيك منذ البداية عن تحرر الفتاة التي اجتذبتك وعن عبثها المتكرر مع غيرك خلال فترة ارتباطك الأولية بها، ولأن المقدمة الخاطئة لا تقود إلى نتيجة منطقية صحيحة.. فلقد كان ما حدث بعد

ذلك في حياتك من استسلامك لهذه السيدة بدافع الحب الطاغي لها والضعف الدائم معها نذيرا بكل ما شهدته حياتك من أخطاء مأساوية بلغت ذروتها في جحود هذه الابنة الشريفة لك وإيلامها القاسي لمشاعرك كأب.

وإني ليخيل إلى أن حبك الطاغي لها طوال ارتباطك بها لم يكن المسؤول الأوحد عن ضعفك السابق معها ولا عن تنازلاتك المستمرة لها، وإنما كان للشعور الغامض بالنقص تجاهها بسبب اختلاف المستوى العائلي والاجتماعي نصيب، كذلك في تراجعك المستمر أمامها حتى لم تعد تخشى شيئا من جانبك ولا تجد على تصرفاتها أي قيد.

غير أنني لا أريد أن أزيد من آلامك وأنت في هذه المحنة القاسية، وإنما أحاول فقط أن أفسر لك بعض ما غمض عليك من معاناتك مع هذه السيدة، لأن «من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه، كما قال الإمام ابن القيم الجوزية.. ومن لا يتعلم من أخطائه لا أمل له في النجاة من شدائد الحياة.

ثم أصل بعد ذلك إلى تساؤلاتك المؤلمة في نهاية رسالتك وأقول لك أن الحكمة القديمة التي تقول إن من عق والديه عقه ولده، هي قول سديد حقا، لكنه ككل قاعدة لا تستعصى على الاستثناء، وعقوق ابنتك وأنت البار بأبويك واخوتك واهلك ليس سوى هذا الذي أعانت عليه ظروف نشأة هذه الابنة الشاردة بين أم متسلطة قوية الشكيمة ومتحررة من قيود القيم الدينية والأخلاقية، وأب مسالم يحاول قدر الجهد والطاقة تحجيم الآثار السلبية لقيم الأم المعنوية على أبنائها، كما أن برك بأبويك واهلك قد انعكس من الناحية الأخرى على جوانب مختلفة من حياتك كتوفيقك في عملك وتحقيقك لكل احلامك المادية خلال فترة زمنية قصيرة، فإذا كنت قد حزنت لعقوق ابنتك لك وتعلقت بالأمل في أن تأتي إليك نادمة، فنق بانها سوف تجيء بالفعل باكية ولكن ليس الآن وهي في عنفوان مراهقتها وحمقها وجهلها وغرورها بنفسها وبالحياء، وسيطرة قيم الأم الفاسدة عليها، وإنما بعد أن تلقنتها الحياة دروسها القاسية وتدرج بعد فوات الأوان أن كل ما يصيبها من عثرات الطريق هو الجزاء العادل لإكراها لأبيها وخروجها على حدود ربها.

ولهذا فإني انصحك يا سيدي بالا تمتهن نفسك مع هذه الابنة الجاحدة والا تستجدي مشاعرها الصخرية، لأنه لن يرضيها شيء سوى أن تترك لها الحب على غاربه لتفعل بحياتها ما تشاء متحررة من كل قيد، وبشرط أن تدفع أنت إلى جانب ذلك فاتورة الحياة اللذيذة السهلة الخالية من كل القيود.. فهل أنت على استعداد لأن تكون هذا الأب الذي لا يسأل ابنته المراهقة عما تفعل.. ويكافئها على ذلك بالإغداق عليها وتلبية كل مطالبها؟

إنني لا انصحك بالتخلي عن مسئوليتك المادية عن ابنك وابنتك لأنك مسئول أمام الله بالرغم من كل شيء عن توفير أساسيات الحياة لهما.. وإنما أطلبك فقط بأن تكتفى. في المرحلة الحالية وإلى أن تهدأ العاصفة. بتحمل نفقات حياتهما الأساسية على أن تربط بعد ذلك بين العطاء المادي الغامر لهما وخاصة بالنسبة

لهذه الابنة.. وبين التزامهما بالطريق القويم في الحياة والقيم الدينية والأخلاقية التي تروجو لهما أن ينشأ في ظلها.. فمن استجاب فله العطاء الأوفى بلا حدود ومن تنكر فعلى نفسه ما فعل.

وفي هذا الشأن فإني اتساءل: أين هؤلاء «الأهل» العظام الذين تدخلوا بينك وبين زوجتك السابقة من مسؤوليتهم كذلك عن حماية ابنتك مما تمضي إليه من طريق الضياع بلا أي محاولة من أمها لتقويمها، ولماذا لا يتدخلون هذه المرة لإلزام الحفيدة برعاية حدود ربها، وطاعة أبيها واحترامها له.

يا سيدي اصبر وانتظر.. ولا تيأس من ممارسة دورك كأب في رعاية ابنك وابنتك حتى يصلا إلى سن الرشد وشاطئ الأمان، فلسوف يظنان في حاجة إليك من الناحية المادية والنفسية والإنسانية مهما خيل لهذه الابنة الشريفة غير ذلك، وما تهديدها لك بأن أهل أمها سوف يتكفلون بها وبأخيها من الناحية المادية سوي قعقة بلا طحن.. لا يصمد للواقع العملي طويلا، كما أن هذه الابنة سوف تزداد احتياجا إليك مع مرور الأيام، ومع مجيء الوقت الذي تتلفت فيه كل ابنة باحثة عن أبيها لكي يقوم بواجبه الأبوي والإنساني معها ويضع يده في يد من سوف ترتبط به، ويتكفل بنفقات تربيته وإعدادها للحياة الجديدة..

فتماسك يا سيدي ولا تستسلم لضعفك الأبوي مع هذه الابنة الجاحدة إلى أن تجينك ذات يوم قريب تتلمس السبل إليك وتحاول محو ذكرى تنكرها المؤلم لك.

فأما حزنك وهمك بتخلي أبنائك عنك فأرجو أن تصفى منه غلامك الصغير الذي لا يملك من أمر نفسه الآن شيئا ويفزعه كأى طفل في مثل عمره أن ينتزع من بين أحضان أمه حتى ولو كان الحضان الآخر الذي ينتظره هو حضان أبيه العطوف، واستعن على أحزانك بالصبر والأمل في تعويض السماء لك، وبقول من لا ينطق عن الهوى - صلوات الله عليه - عن ابن مسعود ما معناه أنه «ما أصاب عبدا هم أو حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانا فرحا».

فاستعن بهذا الدعاء الكريم على أمرك وحبذا لو فكرت بعد فترة من النقاهاة النفسية المناسبة في أن تبدأ صفحة جديدة في حياتك، ترتبط فيها بسيدة ترعى حدود الله في حياتها وتعينك على أمرك وتعوضك عما لقيت من أحزان.



## 12- الحياة الجديدة

أنا شابة نشأت طفلة وحيدة لأبوين جمع بينهما العمل في مكان واحد، تزوجا وأنجباني.. وشاءت ظروف والدتي الصحية بعد مولدي ألا يكون لي إخوة، فعكف أبي على رعايتي وتعليمي وحين بلغت عامي الجامعي الأخير تقدم لخطبتي مهندس شاب يعمل بإحدى دول الخليج، ولم أر فيه ما يعيبه فرحبت به، ورجع خطيبي إلى عمله ومضى عام ثم عاد لإتمام الزفاف، وسافرت معه إلى البلد الذي يعمل فيه وودعني أبي وأمي اللذان لم انفصل عنهما من قبل بالدموع الغزيرة، ومضت الحياة بي في بيت زوجي هادئة بعد عواصف البداية المتوقعة بسبب اختلاف الطباع، وسلمت قيادي لزوجي باختياري احتراماً لنفسي بعد أن لمست فيه الصرامة في كل شيء، ومضت ثماني سنوات أنجبت خلالها ثلاثة أطفال ولم أرجع لمصر سوى مرتين فقط وضعت في الأولى مولودي الثاني، وودعت في الثانية أبي - رحمه الله وأثابه عني خير الجزاء - فقد كان نهراً من الحنان في حياة أسرتنا وكان يملؤها حبا ومرحاً طوال الليل، على عكس حياتي مع زوجي بعد ذلك، وفي أحد الأيام منذ حوالي السنة انقلبت حياتي رأساً على عقب، حين فوجئت بزملاء زوجي في الغربية يطرقون على الباب ويدخلون واجمين ليقول لي أحدهم وهو منكس الرأس: البقاء لله. فلقد رحل زوجي عن الحياة فجأة وبغير مرض..

ولا أستطيع أن أصف لك ما مررت به في هذه الفترة العصبية من حياتي، لكن زملاء زوجي أثابهم الله عني قاموا بكل شيء.. وعدت إلى القاهرة ودخلت بيت الزوجية الذي لم أدخله من قبل، حيث كنت في إجازاتي السابقة أرجع من المطار إلى مدينة أمي ويبقى زوجي في مسكن الزوجية بالقاهرة لتشطيبه وفرشه، فدخلت مسكني ومعني أمي وأطفالي ووالد زوجي الراحل، لأقيم في القاهرة التي لا أعرف أحداً فيها، وبدأت حياتي كأرملة شابة في الثلاثين من العمر وفي رقبتيها ثلاثة أطفال صغراهم ما زالت رضية على ذراعي وساعدني صهري في كل شيء خاصة في إجراءات المجلس الحسبي لأن لأولادي ميراثاً من أشقاء أبيهم ١٤ عاماً في الغربية، وبعد انقضاء شهور العدة زارني صهري وطلب محادثتي على انفراد، وقال لي إنه رجل واقعي ويعرف أنني لن أقضى بقية حياتي بلا زواج وأنا شابة جميلة وما دام الأمر كذلك فإنه يطلب يد لابنه الطبيب الشاب الذي يكبرني بعامين فقط، وشكرته على مشاعره وطلبت مهلة للتفكير في الأمر، وبعد تفكير عميق توصلت أنا وأمي إلى أن هذا هو الحل المثالي لمشكلتي خاصة أن عم الأبناء قد أعقد عليهم بحبه وحنانه حتى ذكرني بأبي وما كان يشهده بيتنا القديم من مرح وسعادة، وقبلت بالزواج منه، وجاء المأذون في هدوء وعقد قراننا، وأخذت أمي الأطفال ليقيموا معها بعض الوقت في بيتنا القديم، ورجع زوجي الجديد بعد توصيلهم فسألني أين أفضل أن ينام.. في حجرة أمي أم حجرة الأولاد، فأجبتته بأن عليه أن يبيت في حجرته هو أي في غرفة نومي، وتركني بعض الوقت لأنفرد بنفسي، وطال انتظاري له بلا جدوى وخرجت لأبحث

عنه فوجدته مستغرقا في النوم في حجرة الأبناء فتقبلت حياتي الجديدة معه على هذا النحو نظرا للظروف المحيطة بنا، ولاحظت بعد عودة أمي وأطفالي للحياة معنا أنه لا يتحدث معي ولا ينطلق على سجيته إلا في وجود أمي والأولاد فيضحك معهم ومعى، أما في غرفتنا فهو لا يتبادل معى سوى التحية والكلام الرسمي بغير أن ينظر أحدهما إلى الآخر وهو يتحدث إليه.

ورضيت عن حياتي بالرغم من ذلك، لكنني فوجئت ذات يوم بعد ثلاثة شهور من الزواج بصهري يطلب الانفراد بي ويهاجمني بشدة ويتهمني بأنني لا أرى الله في زوجي الجديد، وأني إذا استمررت على هذا الوضع مع ابنه فسوف يزوجه من أخرى ويحملني المسؤولية كاملة، وفوجئت بما قاله صهري ولم أتمالك دموعي لأنني لم أعود الكلام في مثل هذه الشئون الخاصة مع أحد، واكتفيت بالصمت والبكاء فانصرف، وانفردت بأمي فإذا بها هي الأخرى تهاجمني وحاولت الدفاع عن نفسي، فطلبت مني أن أحاول الكلام مع زوجي ولو لمرة واحدة حول حياتنا واستمرارها على هذا النحو، لأنه حرام شرعا أن تظل هكذا.

وانتظرت زوجي حتى رجع من عمله في المساء وسألته حين انفردت به عما إذا كان قد شكاني لأبيه فلم يجب، وسألته ما هو خطي معه بالتحديد لكي أعالجه.. هل هو قبولي الزواج منه دون أن أتأكد من أن هذا الزواج يعكس رغبته الشخصية وليس رغبة أبيه وحده، أم ترى أن خطي هو أنني لا أحاول الحديث معه عن نفسي وعنه بالرغم من أنه هو أيضا لا يحاول ذلك؟ وبكيت وأنا أقول له إنني لم أرفض أن أكون زوجة كاملة له لكنه هو الذي لم يحاول أن يتعامل معى على هذا الأساس.. فلماذا إذن يهتك سرى لأبيه؟ ولم يجب زوجي بكلمة وغادر الغرفة ونام مع الأطفال، وفي الصباح جاء إلى معتذرا بكلمة واحدة فقط هي «أسف» ثم خرج لعمله.. ومشت الأيام بعدها وهو لا يتحدث معى نهائيا.

إنني لا أدري يا سيدي ماذا أفعل، وأؤمن بما قاله لي صهري بأن حياتي الجديدة هذه فرصة لن أستطيع تعويضها إذا فقدتها لأن زوجي حنون للغاية على أطفالي وأمين على مصالحهم وهم يحبونه ويتقبلونه حتى أن مولودتي الرضيعة تنام في حضنه إذا عجزنا عن تهينتها للنوم، لكنني عاجزة من ناحية أخرى عن مبادرته بما يطلبونه منى لأنني ببساطة لم أتعلم ذلك، ولأن هذا الشأن إذا كان فطرة في المرأة، فإن عدم استخدام هذه الفطرة لفترة طويلة خاصة في ظروف جديدة يحيل هذه الفطرة إلى التقاعد فهل ما توصلت إليه صحيح وهو أن زوجي لديه الحرج نفسه الذي استشعره تجاهه لكن إلحاح أبيه عليه بأن يكون له حفيد منه قد دفعه لاتهامي بالمسئولية عن عدم تحقق هذا الأمل؟

وهل هو يريدني حقا أم أنه قد اختلق هذه المشكلة لكي يبزر لأبيه انفصاله عنى بعد أن يكون قد أرضاه بقبول الزواج منى في البداية؟ إنني لا أعرف أي شيء عن حياته قبل الارتباط بي وربما كانت هناك من اتفق معها على الزواج قبلي، وهو لا يتكلم وصمته الدائم يثير جنوني ولا يدع لي الفرصة لمبادرته بالكلام فأرجو أن تتصحنى بما أفعل لإنقاذ هذا الزواج من الانهيار لأنه لم يعد لي أب ينصحنى وأثق في رأيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

لا أفضل التفتيش في الضمانر أو الحكم على نيات الآخرين بلا بينة.. لكننا لو أخذنا بظاهر الأمور فلقد أتمس لك بعض العذر في تصورك أن زوجك قد قبل الزواج منك تحت ضغط أبيه للمبررات العائلية والإنسانية المألوفة في مثل هذه الظروف وهي رعاية أبناء الأخ الراحل وحمائتهم من الحياة مع زوج آخر للأم أو من حرمانهم من الأم وتشتتهم بين بيت جدتهم وبيت امهم إذا هي تزوجت رجلاً آخر، لكن الشقيق الذي قبل بهذه التضحية من أجل أبناء أخيه هو على الناحية الأخرى شاب له حياته الخاصة وأماله الشخصية واختياراته المختلفة فوجد نفسه حائراً بين تلبية نداء الأب وفاء للأخ الراحل، وبين نداء الحرية في اختيار شريكة حياته فأثر حلاً للمشكلة أن يقبل بالزواج بأرملة شقيقه على أن يحتفظ لنفسه في الوقت ذاته بحق الرجعة عنه وبعد أن يكون قد أرضى ضميره الشخصي أولاً وأباه ثانياً بقبول المحاولة.. فيحق له بعد اقتناع الآخرين بفشلها، أن يختار لحياته ويمضي بها في الاتجاه الذي يفضله، وهو احتمال قائم بالفعل يا سيدتي قد يرجحه لديك انفجار مشكلة العلاقة الخاصة بينكما بعد ثلاثة شهور فقط على الزواج وإشراك والد زوجك فيها على هذا النحو غير المألوف في أوساطنا العائلية.

لكننا كما قلت لا نستطيع أن نرجم بالغيب أو أن نحاسب الآخرين عما يضمرونه لنا في أعماقهم.. وإنما نملك فقط أن نحكم عليهم من أعمالهم وتصرفاتهم معنا.. فإذا سلمنا بذلك فعلى أقول لك، إن حرج الظروف الإنسانية الذي يحيط بزواجكما منذ البداية، قد يكون تفسيراً مقبولاً لعدم اقتراب كل منكما من الآخر على النحو المأمول خلال هذه الفترة القصيرة، والحق أن مثل هذا الزواج الذي تمليه على البعض الضرورة العائلية والإنسانية، هو في النهاية زواج خال من الاختيار الحر والمشاعر العاطفية، وهو أقرب لأن يكون شبيهاً بزواج المصلحة، مع الفارق الكبير في نوعها لأنها في مثل هذه الظروف تكون مصلحة إنسانية وعائلية أكثر منها مصلحة مادية.

والشركاء في مثل هذا الزواج لابد لهم أن يكونوا أكثر واقعية في التعامل معه، وأكثر استعداداً لمغالبة النفس على الاقتناع به، والصبر عليه إلى أن يتخلص من الظلال المأساوية به وتوفير كل السبل الضرورية لإنجاحه واستمراره، ما داموا قد قبلوا به ورغبوا فيه لأسبابهم الملحة.

ولست أريد في الحقيقة أن أشارك صهرك ووالدتك لومهما لك أو اتهامك بالمسئولية عن جمود العلاقة بينك وبين زوجك، كما أنني لا أتصور أيضاً أن أطلبك بأية «مبادرة» من جانبك في هذا الشأن شديد الخصوصية، لأن المبادرة فيه بحكم النشأة المحافظة والأعراف والتقاليد ينبغي أن تكون لزوجك وليست لك، وإنما أريد فقط أن أطلبك بإعطاء الإشارة لزوجك بانك ترحبين به حين ينجح في مغالبة حرجه الإنساني ويتخلص من شبح ذكرى شقيقه الذي قد يقف الآن حائلاً بينك وبينه وفي هذا الشأن فلقد أقول لك إن أوقاتاً ثمينة من العمر قد تضيع في الكبرياء والخجل.. وانتظار الخطوة الأولى من الطرف الآخر وأنت على أية

حال مطالبة على الأقل «باختبار» نيات زوجك الحقيقية تجاهك لكيلا يظلمك أحد إذا كان بالفعل يضمر في أعماقه الرجوع عن هذا الزواج والتظاهر أمام أبيه بأنه قد حاول بإخلاص إنجازه لكنك رفضت مساعدته على ذلك، وللمرأة فنونها الفطرية في إعطاء مثل هذه الإشارة الضمنية بغير أن يتعارض ذلك مع كبريائها وحيائها وتحفظها الذي نشأت عليه.. ولا شك في أن كلا منكما لابد أن يقتنع داخليا أولا بهذا الزواج لكي ينطلق من اقتناعه بضرورته إلى محاولة الحفاظ عليه وحمايته من الانهيار، وأنت يا سيدتي قد تكون مصلحتك العائلية والإنسانية في استمرار هذا الزواج أعمق وأكبر من مبررات زوجك للإقدام عليه.. وعلى قدر الحرص على الأشياء يكون الجهد المبذول للحفاظ عليها وحمایتها من الضياع، فشجعي زوجك على الاقتراب إنسانيا منك وليس عائليا فقط.. وحاولي التعرف عليه وعلى شخصيته الحقيقية وأماله في الحياة وأفكاره، وساعديه أنت أيضا على التعرف عليك وعلى أفكارك وسمات شخصيتك لكي تنشأ بينكما أولا العلاقة الإنسانية التي ترشحكما لفهم كل منكما للآخر واكتشاف شخصيته، وبالتالي تعاملي معه كشريك كامل للحياة فإذا واصل زوجك الابتعاد والنفور والصمت بعد كل ذلك، يصبح من حقك حينئذ الاقتناع بفكرة قبوله الزواج مؤقتا منك لإرضاء أبيه.. ويحق لك في هذه الحالة أن تدافعي عن نفسك أمام الجميع بانك كنت ضحية لمحاولة ابن لإرضاء أبيه على حساب مشاعرك وكرامتك الإنسانية وظروفك المؤلمة.. ولم تكوني الجانية ولا المسنولة عن انهيار مثل هذا الزواج.. والله معك.

## 13- الأسئلة القاسية

أكتب إليك بعد أن ضاقت بي الدنيا وأغلقت في وجهي كل الأبواب، فأنا سيدة في الثلاثين من عمري، شاعت لي أقداري أن أتزوج وأنا في التاسعة عشرة، من قريب لي مهاجر إلى كندا ويعمل هناك. وقد تزوجته في مصر وسافرت معه إلى مهجره، فوجدتني وأنا فتاة صغيرة قليلة التجربة في مجتمع غريب أعاني من ضغوط الغربة وافتقادي أهلي وبلدي، فلم تطل عشتري له أكثر من شهرين رجعت بعدهما إلى مصر وأنا أحمل في أحشائي ثمرة هذه العشرة القصيرة، وبعد أشهر من عودتي وضعت جنيني فكان طفلا جميلا ولد في غيبة أبيه ولم أر زوجي منذ عودتي من المهجر إلا مرة واحدة بعد تسعة أشهر من مولد طفلي، وفشلت محاولات التوفيق بيني وبين زوجي وأسهم أهله في ذلك بالقدر الأكبر، وظللت زوجة معلقة نحو خمس سنوات ثم حصلت على الطلاق.. وطويت هذه الصفحة من حياتي بخيرها وشرها، واحتضنت طفلي، وحاولت تعويضه عما ينقصه من رعاية الأب، وبعد فترة أخرى تزوجت من إنسان طيب، ظروفه مشابهة لظروفي وله ابن من زواج سابق يعيش مع والدته، وبدأت حياتي الزوجية الحقيقية معه، وأقام ابني من زواجي السابق معي، يتمتع بحناني ورعاية زوجي الذي يعطف عليه ويرى فيه صورة ابنه.

ولقد مضت السنوات هادئة وسعيدة حتى ظننت أنني قد نسيت أحزان الماضي، لولا شيء واحد هو طفلي من الزواج الأول القصير!

فلقد علم ابني عن طريق أهل أبيه أن له أبا على قيد الحياة لكنه لا يتصل به ولا يسأل عنه ولا يحاول رؤيته، فراح يسألني كثيرا عنه.. ويلح على بالأسئلة القاسية من نوع: لماذا لا يهتم بأمره؟.. ولماذا لا يتصل به تليفونيا ولو مرة واحدة في عيد ميلاده كل سنة؟ وهل هو يكرهه ولهذا فلا يهتم به ولا يسأل عنه؟ وإذا كان يكرهه فكيف كرهه وهو لم يره إلا وهو وليد صغير ولم يعرف إذا كان ولدا طيبا أم سيئا، ولماذا يسأل كل الأباء عن أبنائهم من أصدقائه حتى وهم على سفر ولا يسأل عنه أبوه أبدا، إلى غير ذلك من الأسئلة القاسية التي لا أعرف كيف أجيب عنها ولا كيف اطمئن خواطره بإجاباتي المفتعلة عليها.

وبعد أن كان هذا الطفل كالزهرة المتفتحة ويتفجر بالصحة والعافية، بدأ يذبل ويشحب حتى طفت به على الأطباء والاختصاصيين النفسيين لعلاجهم دون جدوى، ولسوف تسألني بالضرورة ولماذا لم تلجئي إلى أهل زوجك السابق وتطلبي منهم مساعدة طفلك في الاتصال بأبيه لكي تنشأ بينهما العلاقة الطبيعية بين الأب وابنه؟ وأجيبك على هذا السؤال بأن صفحات الرسائل كلها لا تكفي لكي أروي لك ماذا فعل هؤلاء الأهل، وهم كما قلت لك سابقا من الأقارب لكي يقطعوا كل صلة بين طفلي وأبيه، على الرغم من تأكيدي للجميع أنني لا أريد من وراء هذه الصلة أن يتحمل الأب أية مسئولية مادية عن ابنه، ولا أريد شيئا سوى أن

يشعر طفلي الذي يبلغ من العمر الآن تسع سنوات بأنه إنسان طبيعي له أب يهتم بأمره ويسأل عنه كغيره من الأبناء.

ولقد فشلت كل المحاولات للاتصال بهذا الأب، فلقد غير محل إقامته وعنوانه بعد أن تزوج من أجنبية وأهله في مصر يعتبرون عنوانه سرا حربيا لا يبوحون به لأحد مهما ضغط عليهم وناشدهم ولقد كتبت منذ شهر إلى السفارة المصرية في كندا وإلى القنصلية المصرية هناك، بل وإلى مالك العمارة التي كنت أقيم بها مع زوجي الأول، على أمل التوصل إلى عنوان هذا الأب.. بلا جدوى.

فهل تستطيع مساعدتي في التوصل إلى هذا الأب ومخاطبة أبوته وحثه على انقاذ ابنه مما يعانيه بالاتصال تليفونيا به ولو مرة كل بضعة أشهر أو إرسال بطاقة بريد له تشعره بأهميته لدى أبيه؟

إنني أرجو أن تجد لي حلا لهذه المشكلة حتى لا يضيع ابني من يدي، ومستعدة لتقديم كل الضمانات الكافية لعدم مطالبة زوجي السابق بأية أعباء مادية عن طفلي.. ولا عن الماضي ولا في المستقبل.. لأن كل ما يهمني هو سلامة ابني النفسية وليس أي شيء آخر..

فهل هناك أمل في ذلك؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

مازلت برغم خبرة السنين وكثرة ما شهدته وتعاملت معه من مشكلات البشر وأحوالهم العجيبة، عاجزا حتى الآن عن تصور كيف يمكن أن تهنا الحياة لإنسان يعلم أن له في مكان ما من الأرض طفلا لا يعرفه ولا يراه ولا يحاول الاتصال به والاطمئنان عليه، ناهيك عن تحمل مسؤوليته المادية والتربوية والإنسانية!

فإذا كانت قلوب بعض الآباء على هذه الشاكلة.. فكيف يحق لنا أن نقول عن الإنسان أنه أرقى الكائنات الحية.. وفي دنيا الأعاجم من الحيوانات من تمرض حتى الموت إذا انتزعت صغارها منها، أو حيل بينها وبين هؤلاء الصغار؟

وكيف تكون الوسيلة المقبولة لإغراء مثل هذا الأب اللاهي بالاتصال بابنه هي تقديم «الضمانات» له بأن أحدا لن يطالبه بتحمل مسؤوليته المادية عنه في الماضي أو المستقبل، وبعض الآباء الأسوياء يشعرون في أعماقهم بشيء من الحزن الغامض غير المفهوم، كلما كبر أبنائهم وازداد اعتمادهم على أنفسهم وقلت حاجتهم المادية والمعنوية إلى آبائهم؟ إن تبعات الأبوة مسئولية دينية أخلاقية لا يستحق من يتقاعس عن تحملها أدنى درجة من الاحترام الإنساني فما بالنا حين نتضاعل هذه التبعات في حالة زوجك السابق إلى أدنى حدودها، فتصبح مجرد إشعار طفله البريء بان له أبا كغيره من الأطفال يهتم بأمره ولو عن بعد.. ويقتطع من وقته الثمين بضع دقائق كل شهر ليتصل به تليفونيا أو يكتب له بطاقة بريدية؟

لقد قرأت ذات يوم قصة روسية قصيرة تركت في نفسي أثرا لم يمح منذ أكثر من ثلاثين عاما، وكانت عن طفل مات أبوه ويعيش مع أمه.. ويؤرقه هذا السؤال القاسي: لماذا لا يكون له اب كغيره من الأطفال ينتظره أمام المدرسة، و «يأمره» بالمحافظة على نظافة ملابسه، ويشترى له الهدايا الصغيرة ويتأكد من دخوله فراشه في الموعد المحدد للنوم، كما يفعل أباء الأصدقاء، واشتد حنينه إلى وجود مثل هذا الأب في حياته، فرأى في واجهة أحد المحال التجارية ذات يوم «مانيكان» على هيئة رجل يعرض بدلة للرجال، فدخل إلى المحل وسأل البائع هذا السؤال القاسي: كم يتكلف «شراء رجل» كهذا الرجل الوسيم المعروض في واجهة المحل؟

ولقد قلت مرارا أن في أعماق الأطفال الصغار «بوصلة» غامضة يتجه مؤشرها تلقائيا إلى الآباء والأمهات الذين تحول ظروف الأيام بينهم وبين الحياة مع الأبناء تحت سقف واحد، وأن كل ما قد يتوافر لهم من حنان الآباء البديل والامهات البديلات قد لا يحول في بعض الأحيان بين مؤشر هذه البوصلة وبين الاتجاه إلى الآباء والأمهات الحقيقيين تتلمس دفء التواصل الإنساني معهم ولو على البعد، فكيف يتعامى بعض الآباء والأمهات عن مثل هذا النداء المحروم، وكيف تطيب لهم الحياة وأبناؤهم البعيدون عنهم ينطوون لهم على مثل هذه المرارة التي يستشعرها طفلك تجاه أبيه؟ إنني سأبذل كل جهدي يا سيدتي لمحاولة التوصل إلى مقر إقامة والد طفلك في كندا، وحثه على تحمل تبعات أبوته الإنسانية تجاه ابنه، ولسوف أؤكد له إذا وفقني الله سبحانه وتعالى في ذلك ان أول من سوف ينكر عليه هذا التجاهل اللانساني لطفله في مصر، هو زوجته الأجنبية التي تشاركه الآن حياته، وأبناؤه منها ولسوف أستعين على ذلك بقراء بريد الجمعة من المصريين المقيمين في كندا.. وارجو ان تنجح جهودهم التطوعية في الاهتداء إلى هذا الأب وتذكيره بواجبه الإنساني تجاه طفله.. والله المستعان على كل أمر عسير.

## 14- الزيارة العصبية

أنا شاب من أسرة متدينة نشأنا أبي على القيم الدينية والأخلاقية، وشجعنا على التفوق في دراستنا، وصنع مستقبلنا بكفاحنا وعرقنا.. ولقد حققت لأبي أمنيته وتفوقت في مراحل دراستي، وتخرجت في كليتي متفوقا، وشعرت بالرضا عن نفسي وعن كفاحي وعن عملي، ثم التقيت ذات يوم بفتاة أعجبت بجمالها ورشاقتها وقوامها فطلبت منها موعدا لزيارة أسرتها والتقدم لخطبتها، وتحدد الموعد وأنا لا أعلم شيئا عن ظروفها العائلية والاجتماعية وهي لا تعرف شيئا عن ظروفنا، وذهبت في الموعد وحدي دون أهلي لأتعرّف أولا على الأسرة وأتّيح لها فرصة التعرف بي، وبعد ذلك اصطحب عائلتي معي للزيارة في المرة التالية..

وبعد التحيات والمجاملات المعتادة في مثل هذه الزيارة قمت بتقديم نفسي فذكرت اسمي وسنى وعنواني ثم كانت الطامة الكبرى هي عملي إذا ما أن تجرأت وأشرت إلى وظيفتي التي ظننت أنها ترفع من قدرتي وتشرفني، خاصة أنني شاب من أسرة مكافحة ولا أملك سوى مرتبي الذي اقتطع منه جزءا لمساعدة أسرتي، أقول لك إنني ما إن تجرأت وأشرت إلى هذه الوظيفة.. وهي أنني أعمل معيدا بكلية جامعية حتى انقلب جو الجلسة وفوجئت بوالدة الفتاة تصمصص شفاهها وتقول لي وكأنها قد وضعت يدها على جسم الجريمة: بتاع كتب يعني؟! في حين تنهدت فتاتي تنهيدة لم أفهم معناها، أما الأب فلقد القى على نظرة فاحصة ثم سألني: كم مرتبك؟

فأجبتة على سؤاله وشفعت إجابتي بحديث قصير عن الشيء الأهم في الزواج وهو العشرة الطيبة والمعاملة الحسنة وكيف أنني أعرف ربي جيدا والحمد لله، وأصلى وأصوم وسوف أتقي الله في زوجتي، فقطعت على والدة الفتاة حديثي بتذكيري بالمثل القديم الذي يقول إن الرجل لا يعيبه شيء سوى جيبه! وارتج علي الأمر وابتلعت ريقا وأنا أحاول أن أتلمس الإجابة المرضية للأب، فإذا بالأب يسألني: هل عندك شقة؟ فشغلني السؤال الجديد عن مثل الأم القديم وأجبتة بأنني لا أملك شقة في الوقت الحالي لكنني أتعشم خيرا بإذن الله وأمل أن أجد شقة مناسبة بإيجار معقول، أو أن أتقدم بقسيمة الزواج لأحد مشروعات الإسكان التي تقيمها الدولة للشباب والتي تشترط الزواج الحديث للحصول على شقتها، وذكرت الأب بأنني قد جئت للتعرف على الأسرة بهدف التمهيد لخطبة ابنته وليس للزواج منها في الحال، وبالتالي فإن الفرصة سوف تكون متاحة لنا للبحث عن شقة مناسبة بإذن الله، فما أن قلت ذلك حتى أجابني الأب بأن الزواج: شقة وجهاز.. وأن الأفضل لي ما دمت لا أملك شيئا من ذلك هو أن أواصل طريق العلم في الجامعة التي أعمل بها ثم أختتم حديثه بالعبرة القاطعة التي أعلنت نهاية الزيارة في حسم وهي: آنت وشرفت!

فبعد الخذلان لساني وخرجت إلى الشارع ذاهلا وسرت على غير هدي وأنا استرجع وقائع هذه الزيارة العصبية التي لم تستغرق سوى بضع دقائق، وأستعيد



ذكريات ليالي السهر الطويلة في المذاكرة والدراسة حتى تفوقت وعينت معيدا بالجامعة. وأسأل نفسي أكان تفوقي وعملي بالجامعة جريرة أعاقب عليها بالرفض والخذلان، أم هو شيء ينبغي لي أن أفخر به، وأتوقع التقدير والاحترام له؟ لقد كان أبي يا سيدي وأقسم لك على ذلك مديرا للإسكان بإحدى محافظات القاهرة الكبرى لكنه كان رجلا نزيها طاهر اليد، فرفض أن يتحايل على القانون وييسر لي الحصول على شقة في محافظته ولقد ربانا على النفور من الحرام، والقناعة والقيم الدينية ولست أكتب لك رسالتي هذه لكي أعتب على أبي في نزاهته وطهارة يده اللتين وضعاني في هذا الموقف المحرج أمام أسرة فتاتي، فالحق أنني أفخر به في أعماقي وأدعو له الله سبحانه وتعالى بأن يجزيه من إخلاصه في عمله وتمسكه بتعاليم دينه في حياته خير الجزاء، لكنني كتبتها لك لكي أحذر كل شاب «غلبان» مثلي من أن يتجرأ ويقدم على ما أقدمت عليه من حماقة حتى لا يصدف في واقعه وأحلامه وأخلاقه ومبادئه وقيمه وحبه لمن يحب.. فلقد صدمت أنا في كل ذلك لكنني على أية حال لم أياس واثق في أنني سوف أجد ذات يوم قريب من تقدر لي تفوقي وكفاحي وأخلاقياتي وترضى بفقرتي ولا تراه عيبا في وأخيرا فلقد كتبتها لكي يجد أولياء أمورنا حلا لهذه المعضلة الجديدة، فالدولة تشتترط الزواج لكي يحصل شاب مثلي على شقة من مساكن الشباب، وأسرة العروس تشتترط الشقة لكي توافق على الزواج، فماذا يفعل أمثالي من الشباب وهل رجعنا مرة أخرى إلى معضلة البيضة والدجاجة أيهما أقدم في الوجود؟ إنني أشكرك على قراءتك لهذه الرسالة وأرجو منك النصيحة.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لي ثمة نصيحة تقال لشباب أمين ومتدين ومتفوق دراسيا وأخلاقيا مثلك سوى ما قاله الفيلسوف الألماني «كانط» ذات يوم في موقف مشابه وهو: كن كاملا في عالم ناقص يكمل العالم تدريجيا على مر الزمن!

بمعنى أن افتقاد الإنسان المكافح والملتزم أخلاقيا ودينيا للتقدير في الوسط المحيط به لفترة من الزمن لا ينبغي له أن يهز قيمه ومثالياته ولا أن يؤثر على ثقته بنفسه وبجدارته لأن يحقق كل ما يستحقه من أهداف الحياة في الوقت المناسب، وإنما عليه ان يمضي في الحياة متمسكا بقيمه ومثالياته ومؤمننا في الوقت نفسه أن مجرد وجوده وامثاله في الحياة يفيدنا ويزيد من مساحة الخير والحق فيها تدريجيا ويقلل من مساحة القبح وفساد القيم والمفارقات المؤلمة في محيطها.

ولقد ذكرت في بداية رسالتك أنك قد التقيت ذات يوم بفتاة اعجبك «جمالها ورسافتها وقوامها» فتقدمت لأسرتها طالبا يدها. وكل المؤهلات التي اثارته إعجابك بهذه الفتاة ودفعته للتطلع إلى الارتباط بها كما ترى مؤهلات ظاهرية تتعلق بالشكل الخارجي للفتاة، وليس بشخصيتها أو تفكيرها أو القيم السائدة في محيطها العائلي، فإذا كان الشكل الخارجي يصلح في بعض الأحيان لأن يكون

عامل الجذب المبني الذي يدفع شابا للارتباط بفتاة، فإن ما يؤدم بينهما ويحول هذا الانجذاب السطحي إلى رباط يجمع بينهما ويرشحهما للحياة معا، هو تقارب رؤية كل منهما للحياة وتوافق نظرتهم إلى الأشياء الأولى بالاعتبار في حياتهما.. وتمائل القيم السائدة في المحيط العائلي لكل منهما.

ولقد التقيت بفتاة تختلف نظرتها ونظرة أسرتها إلى الزواج عن نظرتك أنت إليه وتختلف القيم السائدة في محيطها العائلي عن القيم السائدة في وسطك الأسري، فلا عجب إذن في أن تفترق بكما السبل من الزيارة الأولى. لكن ذلك لا يعني أبدا أنك لن تجد على الناحية الأخرى من تتفق رؤاهم للحياة مع رؤيتك، أو أنك لن تجد من يعملون في حياتهم الخاصة بهدى قيمهم الدينية ويرحبون بمن «يرضون دينه وخلقه» ولو لم يكن ثريا «وإلا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» كما حذرنا من ذلك الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه.

وبالرغم مما تعكسه رسالتك من مؤشرات مخيفة عن تراجع شرف العلم والأخلاق والدين والأصل العائلي الكريم بالمقارنة بشرف المال والقيم المادية عند الاختيار لدى بعض الأسر. فلقد قلت مراراً أن ذلك لا يعني أبداً إعلاء القيم المادية على بقية القيم الأخلاقية والدينية والعائلية لدى الأغلبية العظمى من الأسر، وأكدت مراراً أن من الأسر الفاضلة وهي كثيرة والحمد لله من لا تعدل بهذه القيم العليا أية قيم مادية مهما بلغ شأنها لدى الغير.

ولهذا فقد عجبت اشد العجب من أن تكون النقطة الفاصلة في حديثك إلى هذه الأسرة خلال الزيارة العصبية هي الإشارة إلى عمك كمعيد في الجامعة، ومن أن يكون رد الفعل العائلي لهذه الحقيقة التي تشرفك، هي التساؤل الأزدرائي من جانب أم الفتاة عن «الكتب» والنصيحة الجاهلة لك من الأب بأن تصرف نظراً عن الزواج وتواصل اهتمامك بطريق العلم، وكأن الكتب والعلم مرادفان لعدم الجدارة بمصاهرة مثل هذه الأسرة الكريمة.. وهي محصلة تسيء إليهما وليس إليك، لأن نفس هذه الأسرة ما كانت لتشير إلى الكتب والعلم مثل هذه الإشارة الإزدرائية لو كنت تملك من المال ما يمكنك من تلبية متطلبات الزواج على الفور، بغير كفاح وانتظار لعدة سنوات، بل لعلها كانت في هذه الحالة سوف تفخر بمنصبك العلمي وتضيفه إلى مؤهلات جدارتك بالفوز بمصاهرتها لأن التقويم في كلتا الحالتين قائم على اعتبارات مادية في الأساس وليس على نوع العمل أو الوظيفة، فإذا كان من حقه أن تستاء لهذه الإشارة المؤلمة فليس من حقه أن تحزن لها لأنها تعكس خللاً فاضحاً في قيم مثل هذه الأسرة وليس في قيمك أنت ولا في ظروفك أو وضعك الاجتماعي والعائلي..

وأما والدك مدير الإسكان الأسبق الذي رفض التحايل على القانون ليتيح لك الحصول على مسكن وعاش نزيها وظاهر اليد فمن حقه فعلاً أن تفخر به لأنه قد أورتك ما يعلو به قدرك لدى الأسر الفاضلة التي تمثل الأغلبية الصامتة في مجتمعنا، وليس لدى تلك الأسرة التي تقوم الرجال بما يملكون من مال وليس بأي شيء آخر.

فإذا كنت قد كتبت رسالتك هذه تنصح بها كل شاب مكافح مثلك بألا يكرر تجربتك  
فإني اتفق معك في جزئية واحدة منها وهي ألا يتقدم أي شاب إلى أية أسرة بغير  
أن يتحسس خطاه جيدا من البداية ويعرف أولا أي نوع من الأسر يتقدم إليها وأي  
قيم تسود في محيطها.. وبذلك يتجنب الشباب المرارات.. ويتفادون ما يهز  
قيمهم الأخلاقية ومثلهم العليا وثقتهم في أنفسهم.. وتجد كل المشكلات حلها  
ومنها معضلة الشقة وقسيمة الزواج!

## 15- كتم الأنفاس

أنا سيدة في الأربعين من العمر جميلة ورشيقة وأشغل مركزا مرموقا، وأريد أن أروى لك تجربتي لعلها تفيد الآخرين، فلقد تزوجت وأقصد تحملت زوجي عشرين عاما كاملة، أنجبت خلالها منه ولدين بلغ أحدهما الآن المرحلة الجامعية، وبلغ الأصغر المرحلة الثانوية.. أما أنني قد «تحملت»، فلأن عشرين عاما من عمري قد تبددت في العناء وأنا أحاول احتمال الحياة مع زوجي والصبر عليها.. فلقد كتم زوجي على انفاسي عشرين عاما كاملة.. قضى معظمها جالسا بالمنزل بالرغم من أنه موظف، لكنه لا يذهب إلى عمله سوى كل يومين أو ثلاثة أيام ولمدة نصف ساعة فقط، ثم يرجع إلى البيت قبل أن يستيقظ الأبناء من النوم، ويتفرغ نهائيا لكتم أنفاس كل من فيه.. ويتدخل في كل شيء وأتفه شيء.. كالكوب الذي ليس في مكانه والشباك المفتوح بلا ضرورة ولكي يجلس أمام التلفزيون من طلعة النهار إلى آخر الليل يراقبنا جميعا - وهو أمام التلفزيون - ويتسمع كل همسة تصدر عنا، ثم يطلق قذائف السباب والشتم، ويختلق المشكلات.. ويحول كل شيء إلى قضية لا تنتهي، وهو دائما في البيت لا يغادره إلا لصلاة الجمعة ولا يزور أحدا ولا يزار وليس له أصدقاء.. فضلا عن الوجه المتجهم ليل نهار.. واللسان السليط، وإهدار آدميتي وادمية الأبناء حتى أمام الغرباء، مما أدى إلى إصابة الأكبر بالوسواس القهري، وذلك بسبب خوفه الشديد من أبيه ومن لسانه، أما ابني الأصغر فلقد انطوى على نفسه.

عشرون عاما يا سيدي لم يخرج زوجي خلالها من البيت إلا نادرا، لم أفتح فمي خلالها للرد على إهاناته أو حتى لعتابه. ولم أجروا خلالها على فتح جهاز التلفزيون، لأنه وحده هو الذي من حقه فتحه وإغلاقه، وإذا رجع من الخارج ووجده مفتوحا أغلقه دون كلمة منه.. ودون همسة اعتراض مني وكل ذلك مع أنني امرأة عاملة ولى شخصيتي في عملي وناجحة وقد وصلت فيه إلى مركز مرموق بجدي واجتهادي، أذهب إلى عملي في التاسعة وأرجع في الثالثة بعد الظهر وأقوم بكل واجباتي كزوجة وأم وربة بيت.. من طهو وغسل وتنظيف.. إلخ.. وأجد في انتظاري دائما الوجه المتجهم والسخرية والتهمك كأنني المرأة الوحيدة في العالم.. وبالرغم من ذلك فلم أفكر في تحطيم بيتي وأسرتي لأنه لا مكان آخر لي يسعني ولا سند لي.

وبدلا من أن يقدر لي زوجي ذلك استغل ضعفي وقلة حيلتي وانعدام سندي وراح يهددني بالطلاق كل حين وبطردي من البيت مع أنني قد بددت كل ذهبي ومدخراتي في تلبية مطالب الأسرة واشتركت معه في دفع مقدم الشقة وثمن السيارة، وشاركته في كل شيء لكيلا ينهار البيت، وهو قابع في مكانه أمام التلفزيون يصحو من النوم ليسب ويشتم ويتصيد لنا الأخطاء ويقول لابنه الأكبر إنه يكرهه، ثم يرجع لمواصلة النوم!

والى أن تمادى زوجي في إهانتني وعدم احترام مشاعري كزوجة وطردي من صالون البيت أمام ابنة الجيران التي كانت تزورنا، فإذا بحبل الصبر الذي ظل يقاوم كل الضغوط على مدى عشرين عاما ينقطع فجأة، وإذا بي أهجرت البيت وأطلب الطلاق وأتمسك به وأنا بلا أية خطة للمستقبل.. ولا يشغلني شيء سوى التحرر من قيود الذل والمهانة، ثم فليفعل الله بي بعد ذلك ما يشاء.

ولقد طلقني زوجي بعد أن تنازلت له عن كل حقوقي المادية.. ولم يشأ هو أن يتركني مع ابني ويبحث لنفسه عن مكان آخر، فقبلت ذلك ورضيت بالتشرد بين بيوت الأهل، بديلا للذل والمهانة وكنتم الأنفاس الذي استمر عشرين عاما، ومن عجب أنني قد أصبحت في نظره وكما يصورني للناس المفترية التي لم تحفظ النعمة، ولم يعترف حتى لنفسه بخطأ واحد من أخطائه، وحرّم أولاده من وجودي معهم.. لكن كل ذلك لم يعد مهما بعد أن تنفست لأول مرة منذ عشرين عاما الصعداء.. وانزاح عن صدري حجر ثقيل.. لقد تركت البيت والسيارة والوضع الاجتماعي لكني تعلمت درسا ثميناً هو ألا يسكت الإنسان على خطأ.. وألا يصبر على ذل ولو كانت التضحية بمتاع الدنيا كلها هي الثمن. إنه يحاول الآن أن يستعيدني ويقول إنه قد ندم على ما كان، لكن الأوان قد فات لذلك والسلام.

ولكتابة هذه الرسالة أقول

لكل إنسان قدرته على الاحتمال التي لا يستطيع تجاوزها وإلا انهيار نفسيا وصحيا، او انفجر كالمرجل حين يشتد عليه ضغط البخار المكتوم، فيدمر كل ما حوله، والواضح يا سيدتي هو أنك قد بلغت نقطة الانفجار هذه بعد عشرين عاما من الصبر والاحتمال، وليس مهما هنا أي حادث عارض هو الذي أدى إلى الانفجار.. لأن اتفه الأحداث قد يتساوى في هذا الأمر مع أعظمها، ولأن المرجل حين ينفجر فإنه لا ينفجر بسبب ذرة البخار الزائدة على قدرته على المقاومة وحدها، وإنما بسبب الضغوط السابقة التي كانت تمور داخله قبل أن يتلقى إشارة الانفجار من هذه الذرة الزائدة، فإذا كان الدرس الثمين الذي خرجت به من تجربتك هذه هو ألا يسكت المرء على خطأ وألا يصبر على الإذلال إلى ما لا نهاية، فإن هناك درسا آخر لا يقل عنه أهمية يمكن استخلاصه كذلك منها، وهو أننا حتى في العلاقة بين الزوج وزوجته والأب وأبنائه إنما نحتاج لأن نعرف متى نتوقف عن الضغط المستمر على الغير قبل ان ندفعهم دفعا للانفجار في وجوهنا، وقبل أن تنقطع خيوط التواصل نهائيا بيننا وبينهم، كما نحتاج كذلك لأن نتعلم كيف نتيح لمن يعيشون معنا هامشا من الحرية الشخصية يتيح لهم التنفس بحرية لكيلا يستشعروا كتمنا لأنفاسهم.. ويضطروا لدفعنا بعيدا عنهم طلبا لنسمة من الهواء تحفظ عليهم حياتهم.

والحق أننا قد نحتاج في هذا الشأن لأن نستعير حكمة القنافظ في الاقتراب الآمن من الآخرين حتى ولو كان هؤلاء الآخرون هم الزوجة أو الزوج والأبناء. فلقد روى بعض الأدباء أنه قد شاهد في ليلة شديدة البرودة مجموعة من القنافظ تحاول التماس الدفء باقترابها الشديد عن بعضها البعض، فإذا أشواكها تؤذيها وتحول دون التصاقها فابتعدت عن بعضها البعض مؤثرة النجاة من اذى

الأشواك، فإذا بها تتأذى بالبرد الشديد فتعود للاقتراب من بعضها البعض مرة أخرى، ولكن بحكمة وبحيث تستشعر حرارة الأجسام وتتجنب في الوقت نفسه أذى أشواكها، وهكذا ينبغي أن نفعل نحن أيضا في حياتنا العائلية والاجتماعية فنقترب من الآخرين، ولكن بغير أن نغرس أشواكنا في أجسامهم فينفروا منا وبغير أن تؤذينا أشواكهم فننزل عنهم، ولقد كان أحد أسباب عجزك عن مواصلة احتمال الحياة مع زوجك إلى جانب الوجه المتجهم والتسلط الدائم.. والسبب المستمر، هو وجوده «الأبدي» بينكم كل ساعات الصحو في الليل والنهار وتدخله في كل شئون الحياة وتسلطه المستمر على الزوجة والأبناء وملاحقته لكم بالانتقاد والسباب وتسقط الأخطاء مهما بدت تافهة ولا تستحق التوقف أمامها، فكان أن شعرت جميعا بالاختناق، وأصيب الابن الأكبر بالوسواس القهري بسبب خوفه الدائم من الأب وانزوى الابن الأصغر متجنباً مصادر الأذى بقدر الامكان.. ثم كان ان انفجر مرجلك أنت فطلبت الطلاق دون أية خطة للمستقبل ودون أن يكون لديك البديل الذي يوفر لك المأوى الكريم.. فإذا كنا نطالب الزوج والأب العطف بأن يتيح لزوجته وأبنائه، بالرغم من عطفه وحسن معاشرته، هامشا معقولا من الحرية الشخصية يتيح لهم استشعار الخصوصية ويجدد الشوق إليه ويحفظ حرارة المشاعر بينه وبينهم، فكيف بمن لا يكون وجوده الدائم بينهم إلا نذيرا دائما بتكدير صفو الحياة عليهم وملاحقتهم بالسباب والإهانات وتصيد الأخطاء في كل حين؟

إن العطف يدفئ قلوبنا كما تدفئ النار اجسامنا على حد تعبير المفكر الفرنسي الكبير فولتير، ولقد خلا قلب زوجك السابق، كما تقول رسالتك هذه من العطف على الزوجة والأبناء.. فكية كان المصير؟ ومتى يتعلم هو الآخر درس التجربة فيحاول إصلاح الأخطاء واستعادة الأرض التي خسرها لديك ولدى أبنائه؟ وهل تقبلين العودة إليه إذا استشعرت حقا أنه قد تعلم من أخطائه، وأصبح أكثر استعدادا لأن ييسر الحياة عليكم، بدلا من أن يظلها دائما بهذه السحابة الثقيلة من التجهم والشقاق وتكدير الأوقات؟

أنا سيدة في الثامنة والعشرين من عمري.. أبكتني رسالة «نداء البراءة» للصبى الصغير الذي يبلغ من العمر 15 عاماً، وكتب رسالته إليه يناشدك التدخل لدى أمه وأبيه لإعادة جمع شملهما تحت سقف واحد من جديد بعد أن انفصلا بالطلاق ويعدك ويعد والديه إذا رجعا لسابق عهدهما بأن «يذاكر» هو وشقيقه الأصغر دروسهما جيداً ويحصل على درجات أكبر، ولقد دفعتني هذه الرسالة المؤلمة التي أرجو أن تنجح في تحريك مشاعر أم الصبى وتدفعها للعودة إلى زوجها السابق وولديها، لأن اكتب لك عن تجربتي الشخصية في الزواج والتي كادت أن تصل بي وبأطفالي الثلاثة إلى مثل هذا المصير، لولا أن هداني الله إلى الخير والحق.

فلقد تزوجت منذ تسع سنوات، وكان عمري حين تزوجت ١٩ عاماً وكان زوجي من سكان المنطقة التي نقيم بها وله مكانته العلمية المرموقة، ويكبرني بعشر سنوات، وقد اختارته أمي من بين كثيرين كانوا يتوددون إليها بهدف الفوز بي، فبدأت أمي تحدثني ليل نهار عن مميزات من دين وأخلاق وأدب ووسامة ومركز علمي الخ، وشاركتها صديقاتي الإعجاب به، فقبلت الارتباط به وأنا في الثامنة عشرة من عمري لكي تعلم صديقاتي أنني «الفائزة» دائماً بسبب جمالي الظاهر وخفة ظلي.. ولقد كان هذا الغرور يملؤني بغير أن يشعر به سواي، وبعد عام من الخطبة تزوجنا، ولم يكن الزواج بالنسبة لي في وقتها سوى ملابس جديدة وحرية في الخروج والنزهات الخ، وبعد رحلة شهر العسل رجعنا إلى بيتنا ففوجئ بي زوجي احضر حقيقتي استعداداً للذهاب إلى بيت أمي لقضاء فترة لديها، فطلب زوجي مني بهدوء أن أوجّل ذلك إلى وقت آخر، فإذا بي انفجر صياحاً وهياجاً وأقيم الدنيا ولا أقعدها، لمجرد عدم امتثاله لرغبتى في أن أرجع إلى بيت أمي بعد شهر العسل، ومن ذلك اليوم مضت حياتي معه في الطريق الخاطئ.. إذ كان يغار على بطريقة جنونية - وأنا أحاربه في كل شيء بشراسة شديدة.

ومضت سبع سنوات على زواجي أكملت خلالها دراستي الجامعية وأنجبت ثلاثة أطفال، وأنا في صراع شبه متصل مع زوجي، وأنكر على أمي ضغطها على للزواج منه وأتحدث بذلك أمامه مما ولد لديه انطباعات راسخاً بكراهيتي له، وهو يحاول من ناحيته الزامي بأشياء كثيرة.. وأنا أعارض في البداية بشدة ثم استسلم مضطربة وكارهة في النهاية فالزمني ارتداء الملابس المحتشمة، ولم يكن ذلك سهلاً علي، وأنا البنت الشقية المتبرجة التي كانت تسعد بتذلل الأولاد من أجل مجرد الحديث إليها، ومضت سنوات وأنا في هذه الحرب المتصلة مع زوجي ومن حين لآخر أغضب وأهجر بيت الزوجية إلى بيت أبي، ثم ارجع بلا شروط، وأشكو دائماً مما يفعله معي زوجي من تدقيق في كل شيء، ومنع من فتح الأبواب والنوافذ ونشر الغسيل بسبب غيرته الجنونية، ومن ملاحظته لنظراتي ونحن نسير في الطريق ومحاولته أن يعرف لمن تتجه هذه النظرات، حتى لأرفع صوتي عليه ونحن في الطريق وإلى جانب اعتمادي سياسة الرد عليه في كل شيء على أساس المساواة بيننا! حتى صار جميع أفراد عائلتي أعداء له مما

سمعوه منى عنه، وحتى بدأت أشعر بأنه لم يبق إلا أن يلجمني زوجي بلجام لاكون كالسائمة التي يسحبها وراءه بلا اعتراض، وفي غمار ذلك نسيت له كل شيء من حب وإخلاص وعطاء ولم أعد أذكر شيئا إلا معاناتي معه وصدامي المستمر به إلى أن كان يوم منذ عامين اشتد بي فيه الضيق والاكتئاب ووجدت في المسجد الذي أتردد عليه سيدة متدينة تتحدث بحرارة عن حق الرجل على زوجته، وواجب الزوجة في طاعته فيما لا معصية فيه للخالق فوجدت نفسي أشكو لها من زوجي وحياتي معه، ورغبتني في الانفصال عنه والتفرغ لتربية أطفالي الثلاثة وحدي، ونيتي في ألا أتزوج بعد ذلك أبدا، فابتسمت السيدة المتدينة في عطف ثم راحت تحدثني حديثا طويلا عن أهمية الوفاق الزوجي وفهم الزوجة لشخصية زوجها وماذا فعلت زوجة القاضي شريح التي سألت زوجها ليلة زواجهما عن طباعه ورغباته وعاداته لكي تراعيها، وكيف سألته عن يريدها أن تتحدث إليه ومن لا يريدها أن تفعل ذلك معه، ثم احترمت رغباته وطباعه فعاشت معه في وئام، وحدثتني عن نصائح الأعرابية لابنتها ليلة زفافها ومن بينها العبارة المشهورة: كوني له أمة يكن لك عبدا.

وخرجت من المسجد وقد أدار حديث هذه السيدة رأسي، ورحت أفكر فيه طويلا وبعد بضعة أيام من التفكير المستمر في ذلك قررت أن أجرب العمل به وأحكم على صدقه بالتجربة، فبدأت بعدم الرد على زوجي في كل كبيرة وصغيرة، كما كنت أفعل معه متصورة أن هذه هي المساواة بين المرأة والرجل، وتجنبت ملاحظاته ومشاكلته في كل شيء، فاكتشفت أن عدة أيام قد مضت بدون أن يحترق دمي وأعصابي بسبب توافه الأمور، ثم استجبت لرغباته دون معارضة لمجرد المعارضة والجدل، كما كنت أفعل كل مرة ثم استجيب في النهاية لما يطلبه وأنا كارهة فاكتشفت أنه لا يطلب مني ما يستحق «الحرب» لرفضه وإنكاره.. وإنما هي مجرد أمور بسيطة من طبيعة الحياة العائلية فوجدتني أتخلى بعد ذلك تدريجيا عن زينتي خارج البيت وهي التي كنت أحرص عليها بالرغم من الحجاب الذي ألزمني به منذ بداية الزواج، ووجدتني بدلا من ذلك أتفنن في زينتي داخل البيت، حتى أصبحت ارتدى أحدث خطوط الموضة والأزياء ولكن لزوجي وحده دون غيره من البشر، فإذا بي أجد زوجي الذي كنت أشكو لطوب الأرض من أنه جاف الطبع وقوى الشكيمة، يتحول إلى «خطيبي» الرقيق الناعم الذي ارتبطت به قبل سبع سنوات والذي ظننت أنه قد تبدل بعد الزفاف إلى شخص آخر، وكلما وجدت نتيجة إيجابية لكل تغير جديد في سلوكي معه ازددت عزيمة على المضي إلى آخر الشوط في التغيير، والإصلاح إلى أن وجدت زوجي وقد أصبح «عبدا» لي، ولست أجد في ذلك حرجا لأنني أنا أيضا قد أصبحت أمة له، فتعجبت له، وتعجبت أكثر لنفسي وأنا التي تمنيت ذات يوم الموت على الحياة معه.

وإني أنظر الآن إلى السنوات السبع الأولى من زواجي بألم وإنكار وأتمنى لو استطعت أن أشطبها نهائيا من حياتي.. فلقد بدأت حياتي الزوجية الصحيحة منذ عامين فقط حين أخلصت النية لله سبحانه وتعالى في إصلاح بيتي واتباع تعاليم ديني في معاملة زوجي والحفاظ على سعادة أطفالي، وحين أدركت أن قوامه



الرجل على المرأة ليست كما يقول العلماء قوامة تشريف وإنما قوامة تكليف، وافقنتع بأن طاعة الزوجة ليست امتهاناً لكرامة المرأة، وإنما جزء من طاعتها لربها، ومن حرصها على استقرار حياتها ونجاحها واستمرارها لأن السفينة التي يتنازع قيادتها اثنان يؤول مصيرها إلى الغرق، وأني لأعجب الآن أكثر كيف تطيع المرأة رئيسها في العمل والإناالت عقابه الإداري، ولا تطيع زوجها مع أن عقاب ربها أشد، ومع أن لزوجها عليها من الحقوق ما ليس لرئيس العمل بعضه أو شيء منه وأقول لتلك الأم التي أصرت على الطلاق من زوجها وهجرت ولديها في رسالة نداء البراءة، ولكل زوجة مثلها، إن الأوان لا يفوت أبداً لإصلاح الأخطاء فلا تظن امرأة أن الوقت قد فات للإصلاح، وإن المزارع يحرق الأرض ويبذر البذور ويرويها ثم ينتظر في صبر جنى الثمار وكذلك ينبغي للمرأة أن تفعل، وأن تصبر حتى تجنى حصاد زرعها، بل إنني أقول إن كل زوجة تستطيع خلال عام واحد من الزواج أن تعرف مفاتيح شخصية زوجها وماذا يحب وماذا يكره، فإن راعت ذلك صارت أسعد الزوجات، وإن كان زوجها صعباً فلتخلص النية لله وتبتغي بحياتها مع زوجها ورعايتها لأبنائها وجه ربها ولسوف يعينها الله على أمرها.. وتنظر كل زوجة إلى واجباتها كما تنظر إلى حقوقها وإذا قامت بواجباتها تجاه زوجها وأسررتها فسيكون ذلك سبباً مباشراً في تغيير زوجها، فإن لم يتغير فكفى بها رضاء ربها عليها، وأني أتذكر الآن جارتي التي كان زوجها يرجع إليها مخموراً كل يوم والناس يلعنونه، فستقبله في صبر وتغير له ملبسه وتدعو له بالهداية، فإذا بالهداية تنزل عليه بعد طول الانتظار من السماء، وإذا بها تفخر بين جاراتها بأن صبرها عليه هو الذي عالجه وشفاه، مع تمنياتي للجميع بالهداية والتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

هذا هو الفوز المبين حقاً يا سيدتي لأنه فوز بالسعادة الحقيقية، وراحة القلب والضمير واستقرار الحياة الزوجية، ونشأة الأبناء في حياة عائلية موفقة ترفرف عليهم فيها ظلال الحب والعطف والأمان.

لقد كنت تعتبرين نفسك «الفائزة» دوماً من بين صديقاتك لأنك تجمعين بين الجمال وخفة الظل، ويتذلل إليك الشبان الصغار من أجل الفوز بالحديث إليك، ولأنك فزت بمن نال إعجاب الصديقات والجارات دونهن وأنت في الثامنة عشرة من عمرك، لكن كل ذلك لم يكن من الفوز الحقيقي في شيء. وإنما تحقق لك ذلك حقاً حين أدركت حقائق الحياة وفهمتها على وجهها الصحيح.. وعرفت أن السعادة هي الغاية الثمينة التي تستحق أن يشقى الإنسان حقاً لبلوغها، فإن لم يبلغ شاطنها كان كل ما حققه من نجاح وفوز على الجبهات الأخرى، لا قيمة له دونها. فنهضت بإرادة قوية ونية خالصة لله سبحانه وتعالى لإنقاذ حياتك العائلية من الانهيار والحفاظ عليها ودفع الخطر عنها حماية لأطفالك الثلاثة ولنفسك التي تتوق للسعادة وزوجك الذي اختارك دون الأخريات. والإنسان يستطيع دائماً إذا أراد أن يراجع حياته وأفكاره ومعتقداته الراسخة التي تنعكس على أساليب تعامله مع الحياة والآخرين، وأن ينبذ منها ما تثبت له تجربة السنين فشلها في

بلوغ الغاية التي يستهدفها وأن يعدل أفكاره بما يسمح له باتباع أساليب مختلفة في التعامل مع الحياة عسى أن تقربه من غايته.. وتحميه من أشواك الطريق وهذا هو أهم الفروق بين الإنسان الذكي القابل للتطور وغيرهم من البشر الجامدين على أفكارهم وأساليبهم بالرغم من فشلها المروع في تحقيق أهدافهم في الحياة وهذا هو أيضا «علم الحياة» الذي قال عنه الأديب الفرنسي البير كامو أنه أصعب من كل العلوم والفنون.

ولقد كان قاسم امين يقول: إن أقل مراتب العلم ما يتعلمه الإنسان من الكتب والأساتذة، وأعظمها ما يتعلمه من تجاربه الشخصية مع الأشياء والناس.

فإذا كنت تبحثين عن سر السعادة الذي تكشف لك فجأة منذ عامين في لحظة تنوير كتلك التي هبطت ذات يوم سحيق على الحكيم بوذا وهو يجلس تحت شجرة المعرفة، فلعلني أستطيع أن أوجزه لك في عبارة مختصرة هي العودة إلى اتباع تعاليم الدين وقيمه ومعانيه السامية وأوامره ونواهيه في حياتك الشخصية، وعن اقتناع صادق نابع من النفس هذه المرة وليس مفروضا عليها من خارجها، فلقد كنت ترتدين الحجاب لكنك كنت تضيقين به في قرارة نفسك ولولا إلزام زوجك لك به لما ارتديته، ولهذا فإنه لم يغير الكثير من جوهرك وأفكارك وإن كان قد غير من مظهرك، أما حين راجعت أفكارك السابقة وقررت نبذ الخاطئ منها.. واقتنعت حقا وصدقا بما ارشدتك إليه تلك السيدة المتدينة من حقوق الزوج وواجباته، فلقد وجدت في نفسك شجاعة الاعتراف بالخطأ ونقد الذات، ووجدت لديك النية الخالصة لنبذ الأفكار الخاطئة التي اثبتت لك تجربة الأيام فشلها في تحقيق السعادة لك ولأسرتك واتباع أساليب مختلفة في التعامل مع حياتك الشخصية.

فإذا أضيف إلى ذلك فارق خبرة السنين وفارق النضج في بعد سبع سنوات من هذا الزواج المبكر في سن التاسعة عشرة، فلقد كان عدلا أن تزدادي فهما للحياة وقدرة على التعامل الصحيح معها.

والحق أنه ليست هناك امرأة أو رجل لا يرغب في إسعاد نفسه وشريكه في الحياة وأبنائه اللهم إلا إذا كان شخصا غير سوى لكننا قد نضل الطريق إلى هذه السعادة، وقد نتبع من الأساليب والأفكار والأعمال ما يبعدنا عنها بدلا من أن يقربنا منها.

والنهج الذي اتبعته مع زوجك يثبت لنا من جديد صدق الحكمة العربية القديمة التي تقول «لا يأبى الكرامة إلا لنيم».

وبمعنى أنه ينذر ألا يستجيب إنسان كريم لحسن معاملة آخر له وحرصه عليه ورعايته لحقوقه إلا بمثل ذلك كله من جانبه اللهم إلا إذا كان «لنيما» أي غير سوي!

ولقد ذكرني لقائك بتلك السيدة الفاضلة في المسجد وأثر حديثها المخلص لك في تصحيح بعض مفاهيمك السابقة بما قرأته ذات يوم للمفكر الكبير رجاء جارودي

من قوله: إنني أبحث في الآخر عما ينقصني لكي أصبح أكثر إنسانية!

فلقد وجدت لدى تلك السيدة ما كان ينقصك لكي تصبحي أكثر فهما للعلاقة الزوجية وحقوق الزوجة وواجباتها، وصادف ذلك لديك عقلا متفتحا لقبول الجديد الصالح من الأفكار ونية خالصة للعمل بهدئها، فكان لك ما حققت من سعادة ووفاء، وكان لك ما يحق لك أن تفخري به عن جدارة هذه المرة بين الصديقات وهو الفهم الصحيح للحياة!

## 17- إعادة الاختيار

لا أدري من أين أبدأ رسالتي.. فالحق أنني أحتاج لأن أرجع إلى الوراثة سنوات طويلة، لأروي لك عن جذور هذه القصة القديمة، فلقد كنت قد خطبت إنسانة بعد رحلة حب وصدقة شريفة وعفيفة، وقبل البدء في إجراءات الزواج نشأت ظروف لا إرادة لي فيها أرغمتني على عدم إتمامه. إذ فقدت نعمة الحرية وعشت وراء القضبان خمس سنوات كاملة لأسباب سياسية، وكان ذلك في أواخر الخمسينات وحتى منتصف الستينات، فانتظرتني خطيبتي ثلاث سنوات كاملة.. ولما لم تظهر أية بادرة أمل في انتهاء العمة، ينست من طول الانتظار ومعها كل الحق في ذلك، وتزوجت بمن طرق بابها بالطريق المشروع وأنجبت منه ثم انتهت بالنسبة لي سنوات السجن العجاف بما فيها من عذاب مادي ومعنوي، وخرجت إلى الحياة مرة أخرى، وبدأت أعيد ترميم حياتي من جديد فتزوجت من إنسانة طيبة عاشت معي وعشت معها في إخلاص متبادل وأنجبت البنين والبنات ووفقهم الله في حياتهم وتزوجوا جميعا، وعشت أنا وزوجتي بعد زواج الأبناء وتفرقهم في البلاد وحيدين يونس كل منا الآخر ونسعد بزيارات الأبناء المتباعدة واتصالمهم التليفوني بنا إلى أن رحلت زوجتي عن الحياة منذ سنوات، يرحمها الله، وعانيت حياة الوحدة، وخلال السنوات التي تلت فقدى لزوجتي عرض علي الزواج أكثر من مرة من فتيات صغيرات فلم أشأ أن أظلم إحداهن معي.. وقلت لنفسي رحم الله امرئ عرف قدر نفسه، فلقد تخطيت الستين ولا يجوز لي الزواج بفتاة صغيرة السن أو لم يسبق لها الزواج وذلك بالرغم من أن صحتي جيدة والحمد لله ولي عمل خاص يشغل فراغي بعد سن المعاش، وهكذا فلم أوفق إلى زوجة مناسبة لي بالرغم من حاجتي الشديدة إلى أنيس يونس وحدتي، إلى أن جمعتني الصدفة ذات يوم ببطللة القصة القديمة أي خطيبتي الأولى التي كان مقدرنا لنا أن نتشارك في حياة زوجية واحدة قبل أكثر من ثلاثين عاما، لولا تلك الظروف التي حكيت لك عنها ووجدتها تعيش وحيدة هي الأخرى في مسكنها بعد زواج الأبناء فجمعت بيننا مشاعر الوحدة التي يعانيتها كل منا في حياته ووجدتني أتساءل: ماذا يمنعنا من أن نقضى ما بقي لنا من العمر معا، وقد كبر الأبناء وتزوجوا وأنجبوا وانشغلوا بديارهم وحياتهم الخاصة؟ واتفقنا على أن يعرض كل منا الأمر على أبنائه ويستطلع آراءهم في الفكرة، فتناقشنا بالفعل معهم في ذلك، فكان منهم من رحب بها إشفافا علينا من الوحدة، وكان منهم من عارض وتشنج ضدها بحجة أنه لا يصح أن ننزوج ونحن في هذه السن، أما ما أعانيه أنا بعد وفاة زوجتي وما تعانيه هي بعد وفاة زوجها، فيكفي لاحتماله من وجهة نظرهم أنهم يطمنون علينا بالتليفون كل عدة أيام، وبالزيارة كل بضعة شهور نظرا لبعدها المسافات بيننا وبينهم علما بأن أبنائنا جميعا موفقون والحمد لله في زيجاتهم وحياتهم الشخصية وليسوا في حاجة مادية إلينا، ولسنا نحن أيضا في حاجة مادية إليهم، ولقد اتفقنا حين لم نصل إلى حل يرضي جميع الأطراف ويحفظ المودة بيننا على أن نحتمك اليك فأرجو أن تحكم بيننا بالحق وتشير علينا بما تراه عادلا في هذا الموضوع.

إنني أعرف أن مشكلتنا هذه قد يستخف بها البعض أو يسخرون منها.. لكنها مشكلة حقيقية لمن يعانون من الوحدة مثلنا وقد يؤول الحال إلى دور المسنين بحجة أن الوضع الاجتماعي للأبناء لا يسمح بغير ذلك، فأرجو أن تحكم بيننا وبين المعارضين من أبنائنا مع رجائي لك ألا تسيئ الظن بنا إذ إننا نعرف جيدا حدود الله ونرعاها حق رعايتها حتى أي إذا حادثتها تليفونيا أو حادثتني فإنه حتى الكلمة الخطأ نتحسب لها فنتحاشاها فماذا تقول لنا؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

يسخر من المجروح من لا يعرف الألم كما تقول الحكمة القديمة، ولأنه ليس هناك على وجه الأرض من لم يعرف الألم، أو من يضمن لنفسه ألا يعرفه ذات يوم، فمن الرحمة دائما أن نتعامل مع هموم الآخرين بما يستحقه من احترام حتى ولو بدت للبعض أهون من غيرها من هموم الحياة، وعلى هذا الأساس فليس من حق أحد أن يستخف بمشكلتك هذه أو يسخر منها، وليس من حق المعارضين من أبنائك أو أبناء هذه السيدة أن يحتكروا الحكمة لأنفسهم دونكما أو يصدروا الأحكام القاطعة عليكما بأنكما تستطيعان تعويض إحساسكما الشديد بالوحدة بسؤال الأبناء عنكما تليفونيا من حين لآخر، وزيارتهم لكما كل بضعة شهور.

ذلك أنه لا أحد يملك أن يحكم على عمق احتياج الإنسان الذي يكابد الوحدة في حياته إلى الرفقة والإيناس سواه، فإذا قرأه على دفع أشباح الوحدة عنده بالزواج المشروع، واهتدى إلى شريك ملائم له في الحياة، فليس من العدل أو الرحمة أن يعترض معترض على رغبته المشروعة هذه، بأسباب تتعلق بظروف المعترض وحده وليس بظروف الراغب في الزواج ودون أي اعتبار لعمق احتياجه الإنساني إليه.

فنحن لا نستطيع أن نحكم على أبنائنا وأمهاتنا بأسبابنا الشخصية واعتبارات وضعنا الاجتماعي بغير أن نتوقف لحظة لنتساءل عن هؤلاء الآباء والأمهات في أن يحيوا ما بقى لهم من عمر في هناء وسعادة دون خروج على الشرع أو الأعراف السائدة وإلا كنا أبناء أنانيين نطالب هؤلاء الآباء والأمهات بالتضحية باعتباراتهم الشخصية إلى مالا نهاية ومن أجل ما نراه نحن ملائما لوضعنا الاجتماعي، حتى ولو كابد هؤلاء الآباء والأمهات الوحدة المؤلمة واشتدت بهم الحاجة إلى الرفقة والإيناس ولقد كنت على استعداد لأن أتفهم دوافع المعارضين من الأبناء على هذا الزواج لو كنت قد اخترت فتاة صغيرة السن للارتباط بها وانت في هذه المرحلة من العمر أو فتاة من وسط عائلي أو اجتماعي لا يتناسب مع أوضاعك العائلية والاجتماعية.. لكنك لم تفعل ذلك ولا تلك السيدة الفاضلة التي ترغب في الارتباط بها قد فعلت شيئا منه، وإنما أعاد كل منكما اختيار صاحبه الذي كان قد اختاره بالفعل لمشاركته رحلة الحياة قبل 35 عاما ثم تدخلت الظروف القاهرة ففرقت بينكما، مما يعني توفر كل شروط الكفاءة في العمر والوضع العائلي والاجتماعي بينكما، فماذا يضير المعارضين من الأبناء في أن تترفق بكما

الأقدار فتعيد الجمع بينكما بعد 35 عاما من الافتراق لكي يسكن كل منكما إلى صاحبه ويقضى إلى جواره ما بقي له من العمر؟ إن الأبناء الرحماء بأبائهم وأمهاتهم هم الذين لا يطالبونهم بتضحيات لا مبرر لها ولا تسمح طبيعة العمر باحتمالها أو مكابدة عنائها واني لأرجو أن يعيد هؤلاء المعترضون النظر في موقفهم من هذا الزواج الذي يدفع عنك وعن هذه السيدة، ألم الوحدة وأحزان فقدان الرفيق وخلو الحياة من حول كل منكما بعد زواج الأبناء وانشغالهم بدنياهم، وخير هؤلاء الأبناء من يتنازل عن اعتباراته الاجتماعية الهينة نسبيا بالمقارنة مع احتياجك أنت وهذه السيدة للإيناس، ويسحب اعتراضه على زواجكما ويسعد بسعادتكما واطمننان جانب كل منكما بالآخر، فيفوز برضاكما عنه وعرفانكما له.. وخلو نفس كل منكما من المرارة تجاهه.

فلقد ترفقت بكما الأقدار وسمحت لكما بالالتقاء من جديد واستكمال القصة القديمة التي وادتها الظروف القاهرة في حينها، أفلا يدعو ذلك المعترضين من الأبناء إلى مشاركة هذه الأقدار الرحيمة ترفقها بكما.. فلا يكدرون عليكم صفو الحياة بهذا الاعتراض الذي لا مبرر له؟.

## 18- الإجابة غير المرضية!

أنا زوجة عمري ٢٤ عاما وأم لطفلين جميلين، وقد تزوجت عقب تخرجي مباشرة في الجامعة، وأعمل بوظيفة محترمة يتمناها الكثيرون وعلى خلق ودين وأؤدي فرائضي الدينية وأرعى الله في زوجي وبيتي وعملي، فأجتهد في العمل وأتمتع فيه بالكفاءة والسمعة الطيبة، وأقوم في البيت بكل الأعمال المنزلية وحدي وأعد لزوجي كل ما يحب من طعام وحلوى وعصائر أقدمها له مزينة بالديكور الجميل، وأجعل له مائدة الطعام كالحديقة الغناء، وأعتنى بالطفلين عناية كاملة إلي جانب عنايتي التامة بنفسي في البيت من حيث تسريحة الشعر والملابس الجميلة وطلاء الأظافر والعطور الفواحة.. إلخ.

أما زوجي فهو يكبرني بعشرين عاما أو يزيد، لا أعرف على وجه التحديد، لأنه يفرض الغموض والسرية على كل بياناته الشخصية كما لو كانت سرا حربيا غير قابل للنشر، كما أنه حاصل على مؤهل متوسط ويشغل وظيفة عادية وليس له أي دخل خارجي، وقد اكتشفت ذلك أخيرا فقط، كما أنه يعول والدته التي تقيم معنا من حين لآخر وتتنقل بين بيوت بناتها كما تشاء، ولا تجد مني كلما جاءت إلا كل احترام ومحبة وتلبية لكل طلباتها، ولقد منحني الله نعمة الجمال والرشاقة والأناقة.. ولست أمدح نفسي بقولي هذا، ولكن بماذا أصف الشعر المسترسل والوجه الحسن والقوام الملفوف سوى بذلك؟ ومع هذا فإن زوجي لا يحبني ولا يقبل على صداقتي والخروج معي في المناسبات والرحلات، ويحاول دائما الانتفاص من شأني والتهوين من قيمة ما أقوم به من تضحيات، وما أبذله من مجهود داخل وخارج البيت، مع العلم بأنني لا أكلفه ما لا يطيق ولا أطلب منه شيئا لأن مرتبه محدود، ومرتبتي يمكنني والحمد لله من شراء ما أريد بالتقسيط المريح، كما أن زوجي ينصرف عني تماما حتى أصبحت أشعر بأنه مضطر للاستمرار في هذا الزواج، ولقد ألححت عليه بالسؤال عن سبب هذا السلوك تجاهي، وأنا الزوجة المخلصة التي تتفاني في إسعاده، وفي جلب السعادة إلى المنزل بروح المرح والمحبة ونشر الجمال والزهور ونباتات الزينة في أرجائه ولكن دون جدوى، وكلما طلبت منه أن يفسر لي سر عدم رضائه عني، ويكشف لي عن عيوبتي لأقوم بإصلاحها يتركني ويذهب دون إجابة، وذات يوم أصررت على أن أحصل منه على إجابة، وخيرته بين أمرين.. إما أن يشعرني بالاهتمام ونسعد معا، وإما الطلاق، فقال لي أن إجابته لن تسعدني ولن ترضيني فأصررت على سماعها، فقال لي إن أنفي طويل وأن هذا هو ما ينفره مني ومن الخروج معي!

فقلت له أنني أعلم أنه طويل بعض الشيء، لكنني أسأله هل هو غير متناسق مع وجهي، فأجابني بالإيجاب! فعارضته على الفور بأنني مستعدة لأن أجرى له عملية تجميل لكي أرضيه، وفي اليوم التالي شغلني موضوع أنفي طوال اليوم ورحت أسأل كل زملائي في العمل وأقاربي عن رأيهم في أنفي، وهل هو طويل بالفعل إلى هذا الحد، فكانت إجابة الجميع أنه ليس طويلا ولا كبيرا، وإنما هو متناسق مع ملامح وجهي الجميل وعيوني الساحرة!

ولم أكتف بذلك وإنما ذهبت إلى أحد أطباء التجميل لاستشارته فكان رأيه أن أنفي مثالي وجميل، ونصحتني بالأدع زوجي يدخل الشك في جمالي إلى نفسي، ولفت نظري إلى أن زوجي يريد إضعاف ثقتي في نفسي لأنشغل بأنفي عن الفوارق التي بيننا كفارق السن وفارق المؤهل.. إلخ..

ورجعت إلى زوجي وأبلغته برأي الطبيب ورأى زملائي في العمل وأقاربي في أنفي، فهز رأسه ولم يقتنع! وأصبح بعد ذلك بدلا من أن يقول لي كل يوم صباح الخير، يضع أصبعه على أنفه ويضغط عليه لأعلى ولأسفل ثم ينصرف دون كلام، وحتى حين ذهبنا إلى المصيف عن طريق عمله لمدة أسبوعين، أمضى معنا أسبوعا واحدا ورجع إلى القاهرة بحجة أن لديه عملا فيها وتركتني وحيدة مع الطفلين حتى آثار عليه سخط زملائه الذين كانوا معنا في المصيف، وسمعت تعليقاتهم وكانت من نوع: كيف يترك كل هذا الجمال وهذه الأخلاق ويرحل؟

أو كيف يترك زوجة شابة صغيرة وطفلين صغيرين في مدينة غريبة عليها ويسافر؟ وساعدني كثيرون في رعاية الطفلين حتى لا أشعر بالغربة في المصيف الذي اختاره هو لنا عن طريق عمله..

فماذا أفعل يا سيدي؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

بداية التسلل إلى عقل اية امرأة هو إطراء جمالها والمبالغة في إظهار الإعجاب به.. كما أن بداية الاجترار على مغاللتها هو رضاها عن هذا الإطراء وسعادتها به واستزادتها منه!

ولهذا فإنني أوفر حديثي عن موقف زوجك منك، لكي أقول لك أنك بسؤالك للرجال من الزملاء والأقارب عن رأيهم في أنفك، وضمنا في جمالك، هو اقتراب من الخطر ينبغي لك أن تتنبهي له، وما كان أغناك عنه بسؤال الصديقات والقريبات عما تريدين السؤال عنه، إذا كان هناك حقا ما يستدعي إجراء «استفتاء عام» لأراء الغير فيه، وإذا كنت أخذ عليك ابتهاجك بأراء الرجال في أنفك وجمالك، فإنني ألفت نظرك فقط إلى الحكمة القديمة التي تقول، إنه لا يعجب بفستان امرأة من يدفع ثمنه! ومغزاه أنه لا يعجب بامرأة غالبا إلا من لا يكلفه الإعجاب بها شيئا.. وقد يعده تكلف الإعجاب بها بأمل مرغوب في فوز قريب! فاحترسي يا سيدتي لأنك تحومين الآن من حيث لا تدريين حول الحمى.. ورسولنا الكريم صلوات الله عليه وسلامه يقول لنا ما معناه: إن من يرتع حول الحمى يوشك أن يخالطه، وأن من يخالط الريبة يوشك أن يجسر» اي يجسر على ارتكاب ما يآثم به ففعل زوجك «يسعد» الآن بانه قد أوشك على أن يعرضك بجهله وقصر نظره وإعراضه عنك لمخالطة الحمى، والتعرض للإغراءات، إذ إنه لم يكتف فقط بتجاهل مشاعرك والإعراض عنك والتقصير في أداء حقوقك الإنسانية عليه.. وإنما رغب أكثر من هذا في أن يبرر ذلك بعذر هو أقبح من الذنب، وهو التعريض بأنفك والتشكيك في ثقتك في نفسك كأنثى، وفي نصيبك من الجمال الذي ترينه أنت



سابغا وموفورا إلى جانب ما تكيين لنفسك من صفات ومزايا لا حصر لها والرجل حين يعرض بجمال زوجته ويشعرها بإنكاره لهيئتها.. ويشككها في جمالها وفي نفسها كأنثى، فكأنما يغيرها بذلك على «اختبار» هذا الجمال والتحقق منه في مرآة غيره من الرجال، ولأنه لا يعجب بفتان امرأة من يدفع ثمنه كما قلت، فليسوف تجد دائما من «ينبهر» بهذا الجمال مهما يكن متواضعا أو قليلا، ومن يسارع بإعلان إعجابه به و«الرثاء» لهذه الزوجة المظلومة التي لا تجد ما تستحقه من تقدير لجمالها لدى شريك حياتها فتكون هذه هي البداية!

ولهذا فإنني أقول لزوجك إن إعراضه عنك بلا مبرر مقبول خطأ بالغ في حق زوجته وفي حقه هو كرجل، أما تبرير هذا الإعراض بمثل هذا المبرر السخيف فهو أكثر من جريمة لما له من أثر نفسي سيئ على الزوجة.. قد يوردها موارد الخطأ في محاولتها «للتأكد» من صحة رأي زوجها فيها!

ولن أقول لمثل هذا الزوج مرة أخرى أين تخفت زوجتك بأنفها الطويل حين ارتبطت بها وانجبت منها الطفلين؟ وإنما سأقول له فقط إنه إذا كان يكرر خطأ بعض الأزواج حين يميلون لإشعار زوجاتهم بالنقص لكي يضعفوا شوكتهن في التعامل معهم، فإن زوجتك كما تبدو لي من رسالتها منزوعة الأشواك، ولا تحتاج منك لمثل هذا السلوك، أما إذا كان يفعل ذلك لكي يشغلها عن فوارق السن والمؤهل والوظيفة بينهما، فإنني أقول له إن الرجل هو الرجل في علاقته بزوجته أيا كانت مؤهلاته ومؤهلاتها، وإن من خبث الطوية أن ينطوي المرء لمن تشاركه حياته على مثل هذا الإحساس بالنقص تجاهها والرغبة في سلبها ثقتها بالجداره ومن واجبه في كل الأحوال ألا يعرض عن زوجته أو يتجنب الخروج معها لمثل هذه الأعذار القبيحة..

أما نصيحتي لك أنت يا سيدتي في النهاية فهي أن تكفي عن استجداء «شهادة» الرجال لك بالجمال، تجنبنا للمزلق والشبهات، وأن تستعيني على زوجك بوالدته لكي تحثه على حسن معاملتك.. وبالأهل من جانبك لنفس هذا الهدف، فإذا فشلت كل الجهود معه.. فإن التهديد الجدي بالانفصال عنه قد يكون منبها له إلى ما هو غافل عنه.

## 19- الضغط المعنوي

أنا سيدة في الثامنة والعشرين من عمري على قدر من الجمال وجامعية، ومن أسرة ميسورة، وقد تعرفت منذ عشر سنوات على شاب يكبرني بخمس سنوات من أسرة كريمة ووالده رجل أعمال، فجمع بيننا الحب.. وتخرج في كليته ومارس الأعمال الحرة وتخرجت أنا أيضا، وتقدم لطلب يدي وتزوجنا بالرغم من المصاعب التي واجهتها من أسرتي.. وبدأنا حياتنا الزوجية معا منذ ثماني سنوات وسعدنا بها وازداد حب كل منا للآخر.. غير أن الشهور مضت ولم تظهر في الأفق أية بشائر للحمل والإنجاب، فبدأنا رحلة الطواف على الأطباء بعد عام من زواجنا، فإذا بالأقدار تخبيئ لنا مفاجأة غير متوقعة، فيعرف زوجي من الطبيب أنه لن يستطيع الإنجاب.. وصارحني زوجي بهذه الحقيقة فور علمه بها.. وأبدي لي رغبته في أن يعفني من الارتباط به لكيلا يحرمني من الأمومة فرفضت أنا هذه الرغبة بشدة.. وأكدت له أنني أريد أن أعيش حياتي إلى جواره إلى اليوم الأخير فيها، فهو يحبني بإخلاص، كما أنه إنسان محبوب من كل من حوله ويتمتع بسمعة طيبة، وعشنا حياتنا معا. لكن شيئا مهما كان قد تغير في شخصيته بعد أن تكشفت له الحقيقة، فلقد أصبح عصبي المزاج، وأصبحت طلباتي منه تثير المشاكل بيني وبينه لأنه بدأ يشعر بأنني أضغط بها عليه بسبب مسألة الإنجاب إلى أن غضبت منه ذات يوم وتركت بيتي إلى بيت أسرتي والتف حولي أهلي وأحاطوني اهتمامهم ومعاملتهم الطيبة فشجعني ذلك على الابتعاد عن زوجي لفترة أطول، وبعد فترة من الاتصالات بين أسرتي وزوجي ومحاولاته للصلح وافقت على العودة إلى البيت بشروطي التي رفضها من قبل، وكنت أعرف أنه سوف يقبل بها في النهاية لأنه يحبني، ومضت بنا الحياة هادئة بعد ذلك لمدة 3 سنوات ثم غضبت مرة أخرى ولجأت إلى بيت أهلي وراح زوجي يحاول بكل طريقة ممكنة إعادتي إلى البيت فكانت أسرتي تنصحنني بالتروي وبأن أفكر بعقلي وليس بقلبي الذي يحبه بجنون، خاصة أنه من النوع المحب المخلص وكريم إلى حد الإسراف في بيته ويفعل كل صغيرة وكبيرة لإرضائي، وبعد محاولاته التي طالت هذه المرة عدت إلى منزلي مرة أخرى بشروطي وشروط أسرتي وهي أن نحاول إجراء بعض الفحوص والعمليات التي تساعدنا على الإنجاب، وقبل زوجي، وأجرينا الفحوص رغم تكاليفها الباهظة واكتشفنا أن هناك بعض الأمل وأجرينا عملية حقن مجهري وبعد نجاح العملية طبيا تخلق داخلي أول جنين لي، لكن إرادة الله كانت فوق كل شيء ولم يكتمل الحمل، وأثر علينا ذلك بالفعل وضافت بنا الحياة حتى وصلت إلى طريق مسدود، وبلغ بي الحال إلى أن طلبت منه الطلاق، فرفض لأنه كان متفائلا بالمستقبل، أما أنا فلم تعد لي طاقة على الصبر والتفائل، وصممت على طلب الطلاق بالرغم من محاولاته المستميتة للاستمساك بي، وكانت نصيحة أسرتي لي أنني ما دمت أرى في الطلاق خيرا لي فإنهم لا يمانعون فيه لأنهم يريدون راحتني نظرا لأنني الابنة الوحيدة المدللة.. وحين ينس زوجي من عدم استجابتي لمحاولاته وافق على الطلاق وكان كريما معي في طلاقي لأنه متدين ويخشى ربه..

وبعد الطلاق حاولت أن أشغل نفسي بعمل فوفقتني الله في عمل جيد، ولقد مضت الآن عدة شهور على طلاقي وأعيش في بيت أسرتي والقى منها المعاملة الكريمة، لكنني بالرغم من ذلك كنت انتظر من زوجي أية محاولة أخرى لاستعادتي لأنني أشعر بالفعل أنه تنقصني نفسي وتنقصني أشياء كثيرة بالرغم من التفاف أسرتي حولي، فأنا أشعر الآن بوحدة قاتلة وأريد أن أعود إلى زوجي لكن كبريائي يمنعني من هذا، وأنا أعلم أنه يحبني وهو من قراء هذا الباب وأرجو أن توجه له ندائي.. فلقد أصبحت مطلقة معذبة بنار حبي لزوجي الذي تنازلت عنه بسهولة، وإذا كانت هناك نصيحة فإني أرجو أن تنصحنها بها وأسأل الله أن يغفر لي ولزوجي ما فعلناه من أبغض الحلال.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لو كنت تحبينه «بجنون» حقا كما تقولين عن نفسك، لما رغبت أبدا في مفارقتك لمجرد فشل عملية الحقن المجهري في حل مشكلة الإنجاب لديكما، ولما سددت عليه كل أبواب الرجاء حتى لم يجد بدا من التسليم برغبتك في الطلاق وهو كاره، لقد أسرفت على نفسك هذه المرة يا سيدتي في ممارسة الضغط المعنوي عليه لكي يستجيب لشروطك في كل خلاف بينكما، وتعاملت مع تجربة الطلاق، كما تعاملت من قبل مع تجربتيك السابقتين في هجره واللجوء إلى بيت أهلك والاستمتاع بحدبهم عليك، في الوقت الذي يبذل فيه زوجك المساعي لاسترجاعك ويقبل في النهاية بكل شروطك، فلعلك قد تصورت حتى بعد أن تمسكت بالطلاق منه وحصلت عليه أنه لن يمضي وقت طويل حتى يكون قد بدأ محاولات استعادتك، وتجددت الاتصالات بينه وبين أسرتك وراجعك الأهل في هذه العودة.. فتتمنعين قليلا في البداية ثم تملين شروطك التي لا بد أن يقبل بها لعودتك إليه للمرة الثالثة وكل ذلك ليس من الحب العاقل أو الجنوني في شيء.. فمن يحب إنسانا لا يفرط فيه.. ولا يستمرى الضغط المعنوي عليه الذي يصل أحيانا إلى حد ابتزازه عاطفيا لإخضاعه وإملاء الشروط عليه.. ولا يغني كذلك في تقدير نفسه فيرى أن من حقه أن يتمرد بتدليل ويهجر ومن واجب من يحبه أن يسعى.. ويتدلل.. يمتهن نفسه لكي يستعيده.

لقد كان الرجل أمينا معك منذ البداية وصارك بحقيقة حالته الصحية، ورغب في إعفائك من الارتباط به لكيلا يحرمك من الأمومة، ورفضت أنت ذلك لكن شيئا قد تغير في علاقتكما بعد اكتشاف هذه الحقيقة فأصبح كما تقولين عصبي المزاج، ويستشعر في طلباتك منه شبهة الابتزاز المعنوي له بحالته الصحية وقبولك للحياة معه دون إنجاب، فأين الخطأ في ذلك يا سيدتي ومن الذي يتحمل مسنوليته؟ هل يتحمله هو، وهو الذي لا ذنب له في أقداره، ولم يخف عنك شيئا منها؟ أم تتحملينه أنت وقد استشعرت فيما يبدو أنك قد أصبحت الطرف الأقوى في العلاقة فاستمرت الهجر وإملاء الشروط، وانتظار السعي من جانبه لإرضائك واستعادتك؟

لقد أثبتت لك التجربة هذه المرة أن هناك حدودا لما يقبله المحب على كرامته ولو كان متيما بحب الطرف الآخر.. وراغبا فيه بكل جماع نفسه كما اثبتت لك أيضا ما سبق أن أكدته مرارا من انه لا قيمة لنا إلا لدى من يحبوننا ونحبهم ويحرصون علينا ونحرص عليهم وأنا نفقد الكثير من أسباب الجدارة الشخصية إذا نحن أسرفنا في الضغط على هؤلاء فضاقوا بنا وتحرروا من أسرنا، فنعرف حينذاك اننا بالنسبة للآخرين لسنا سوى بشر من البشر لا نتميز عنهم بشيء.. ولا نستشعر معهم العزة أو تقدير الذات.

فأية كبرياء هذه التي تقولين بعد كل ذلك أنها تمنعك من العودة إلى زوجك مع أنك - كما تقولين - تفتقدينه وتفتقدين نفسك بعد انفصالك عنه؟

ولماذا تنتظرين ان تجيء خطوة الإصلاح هذه المرة أيضا من جانبه وهو الذي لم يخطئ في حقك ولم يرغب في انفصالك عنه ولم يقصر في محاولة إرضائك طوال عشرته لك؟

إن الأمانة تطالبنا إذا اخطأنا في حق أحد بان نعترف له بهذا الخطأ ونعتذر له عنه.. فلماذا لا تعترفين له بخطئك في حقه واعتذارك له عنه، ورغبتك في استئناف الحياة معه على أسس جديدة لا ضغط نفسيا فيها ولا ابتزاز!

أم ترى أنك ما زلت تريدين - بعد ان ذقت مرارة الوحدة والفشل. ان يرجع إليك من موقع الضعف واستجداء المشاعر الذي تفضلينه له!

يا سيدتي إما أن تعدلي من أفكارك عن العلاقة الزوجية، وتسلمي بأقدارك في عدم الإنجاب تسليما حقيقيا وليس مفتعلا وتكفي عن ممارسة لعبة القوة والضغط المعنوي على شريكك السابق وتستأنفي علاقتكما برضا صادق عن حياتك معه.. ودون أي إحساس داخلي لديك بمسئوليته عن أي نقص في حياتك ولا بأنه مطالب بأن يعوضك عن هذا النقص بالاستجابة بكل رغباتك وطلباتك، وإما أن تدعيه لنفسه وأقداره.. وتبدئي أنت حياة جديدة مع غيره.. والسلام!

## 20- الكنز المفقود!

أنا رجل تجاوزت الخمسين من عمري، تزوجت منذ عشرين عاما من فتاة تصغرنى بعشرة أعوام، وبالرغم من أن زواجنا كان تقليديا إلا أنها كانت وما زالت الحب الأول والوحيد في حياتي، فلقد رأيتها لأول مرة في إحدى المناسبات وأحببتها من النظرة الأولى، وجدتها جميلة وراقية وهادئة تلفت النظر برشاققتها وأناقتها وابتسامتها الدائمة وصوتها الهامس فبت ليالي عديدة لا أفكر إلا فيها، وبغير أن تشعر هي بشيء جمعت عنها كل المعلومات الضرورية، فعرفت أنها من أسرة طيبة ومعروفة بكرم الأخلاق والدين، فتقدمت إلى أبيها طالبا يدها، وسعدت بقبوله لي وتحفزت لإتمام الزواج في أقرب وقت، فلم تشترط هي أو أبواها أية شروط مما تخوفت أن تعجز إمكاناتي عن تلبية، وكان مطلب أبيها الوحيد مني هو أن أحسن معاملتها لأنها أقرب أبنائه إلى قلبه وأحقهم بالعطف، وتم زفافنا سريعا، وشعرت بأنني قد أطبقت بيدي على نجمة زاهية من نجوم السماء، وملك حبها على كياني، أما هي فلم أجد لديها التجاوب العاطفي بنفس القدر الذي ينشده أي زوج في زوجته، ووسوس لي صديق شكوت إليه حالي أنها ربما تكون مشغولة بغيري - لم أطق احتمال الفكرة وواجهتها بذلك في هدوء، فأجابتنني في حياء بأننا قد تزوجنا سريعا ولم يكدي يعرف أحدنا الآخر، وأنها تحتاج لبعض الوقت لكي تألفني، ثم لامتنى باكية على مفاتحتي لصديقي بما يجب أن يكون من صميم أسرارنا الشخصية.

ومضت الأيام وبدأت أتأكد من أن زوجتي التي أحببتها بكل ذرة من كياني من ذلك نوع من البشر الذي يفضل تأمل القمر على الهبوط على سطحه وأنها خيالية وحالمة وتسعد بأن تستكين بين ذراعي كالقطعة الوديعه، ولا تسعد إذا تطور الأمر يننا لأكثر من ذلك ، وكنت رجلا في الثلاثين من العمر يحب زوجته بقوة ويرغب فيها بشدة فهداني تفكيري لأن افتعل الخلاف والغضب منها بسبب وبدون سبب، لعل ذلك يحرك مياها الهادئة مع أنها لم تكن تقصر في حق من حقوقي ومساهمة بمرتبها كله في بيتنا وتسعى لإرضائي وتعتبر رضائي عنها جنتها في الآخرة، لكني فيما يبدو كنت أعاقبها على حبي الزائد لها وجاء الأبناء ورعتهم زوجتي بحبها وعطفها وحنانها فتقدموا في مدارج العمر والتعليم واستووا أبناء طبيين ناجحين ومنذ سنوات حدث ما لم أكن أتوقعه، ففقدت قدرتي كرجل، ولم أفقد الرغبة التي ظلت مشتعلة في داخلي لا تهدأ وتفوق قدراتي كرجل وكزوج لامرأة يأبى الزمن أن يترك آثاره عليها فضلا عن اهتمامها الدائم بملبسها وشعرها وتغيير لونه من حين لآخر بالرغم من ارتدائها الحجاب.

وكان اكتشافني لما حرمتني منه أقداري صدمة قاسية لي، أما هي فقد ظلت على عهدي بها خجولة وتستحي من أن تفاتحنني في الأمر ومضت سنتان دون أن تنبس ببنت شفة.

ثم مضى عام ثالث ما بين محاولاتها للتهرب منى والتشاغل بالأبناء عنى، وما بين تجاهلي لدمعتها الصامتة عقب محاولاتي الفاشلة معها. ثم لاحظت أن عصبيتها قد بدأت تتزايد وشعرت بالإشفاق عليها، وقررت التماس العلاج لحالتي وشجعتني هي على ذلك وهي تقول لي ضاحكة أننا قد اقتربنا من السن التي ينبغي فيها أن نكون صديقين نستمتع بصحبتنا وأوقاتنا معا وأن من واجبنا أن نتدرب من الآن على ذلك، وفشل العلاج لأسباب مرضية أعلمها جيدا وتدركها هي تماما وهي الجامعية المثقفة، لكنني وجدتهى أحملها مسؤولية هذا الفشل واتهمها بأن عدم تجاوبها العاطفي معى هو سبب إحباطى، والتزمت زوجتى الصمت وأغرقت نفسها في عملها وتفانت في القيام بواجباتها المنزلية ومساعدة الأبناء في دراستهم، ومرت ثلاث سنوات أخرى ازداد خلالها الخلاف بيننا وازدادت أيضا محاولاتي لإهدار أدميتها، وبالرغم من ثقتهى بها وتأكدي من أن مجال عملها ليس به رجل واحد، فلقد رحمت أضايقها بتعليقاتى السخيفة فى غدوها ورواحها كأن أتساءل مثلا عن تصبغ له شعرها وتحرص من أجله على رشاقتهى وقد أصبحت ابنتنا عروسا؟ أو أذكرها بأنها قد كبرت فى السن ولم تعد تعينى رشاقتهى.. إلخ، ونسيت فى غمار ذلك أنها تقوم وحدها بكل الأعباء المنزلية وشئون الأبناء الذين بلغوا مرحلة المراهقة، وأصبحت لهم مشكلاتهم، ثم تملكنى الشيطان ذات يوم وافتعلت معها خلافا حادا فلم تتجاهله هذه المرة كعادتها مع الخلافات المفتعلة السابقة، وإنما ارتفع صوتها لأول مرة فإذا بيدي تمتد إلى وجهها الذى طالما عشقته فأصفعها بعنف لا أدرى كيف قدرت عليه، فيزداد صراخها وتهتف طالبة الطلاق ومعلنة أنها لن تعيش معى بعد اليوم، وبعدها بأربعة أيام تركت البيت لأول مرة منذ تزوجنا دون علمى، ولجأت إلى أهلها وانقلبت الدنيا رأسا على عقب.. ولم أعرف وقتها ماذا قالت عنى لكنى كنت مؤمنا بأنها لا بد أن تكون قد باحت بما لا أحب أن يعرفه أحد عنى. ووجدتهى أضع العراقيل أمام طلاقها، فطالبتها بالتنازل عن كل حقوقها المادية ووافقت هى على ذلك، وانتزعت منها الأبناء وأوهمتهم بأنها قد طلبت الطلاق لكي تتزوج من رجل آخر ولم أسمح لها بالاتصال بهم، ولعب أصدقاء السوء دورهم حتى اقتنعت أنا نفسى بصحة ما فعلت ورحمت أشى بها حتى تركت هى عملها.. ولقد مضت شهور الآن وأصبح أبنائى يسألوننى لماذا قلت لهم إن أهمهم ستتزوج رجلا آخر وهى لم تفعل ذلك؟

إننى أعلم أننى قد أخطأت: لكنى تائب ونادم الآن ولقد باعت كل محاولاتي مع أسرتها بالفشل ولا أمل لى فى الالتقاء بزوجهى السابقة على انفراد لأنها لن تقبل ذلك، كما أننى أعلم جيدا أنها لن تتزوج فلماذا لا تعود إلى إذن؟ إننى أريد زوجتى وأشعر بأنه لا غنى لى عنها وأبنائى يضيعون ولن يحسن تربيتهم سواها، والله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء فلماذا لا تغفر لى وتصفح؟ إننى سوف أرد إليها كل حقوقها ولن أضايقها مرة أخرى ولن أفرض نفسى عليها وسأتعهد لها ولك بذلك إذا رغبت أنت فى مقابلهى، ولقد علمت أنها تعاني أزمة صحية حاليا وأريد أن أكون إلى جوارها لأثبت لها ولو لأول مرة كم أهتم بها وأتعذب من أجلها.. وهى من قارئتك وأريد أن نستأنف حياتنا الزوجية معا مرة أخرى ونؤدى فريضة الحج معا ونرعى أبنائنا، فأنا والله أحبها ولن

أطلب منها مقابلا لهذا الحب لأن سعادتي في حبها، وسامح الله كل من زين لي الشر حتى هدمت بيتي وفقدت إنسانة يندر أن يجود الزمان بمثلها في طيبة قلبها وطفولتها وسذاجتها التي كان يجدر بي أن أنعم بها لا أن أستغلها فيها ولقد مضى وقت كاف لمراجعة النفس وأيقنت أنني قد أضعت الكنز الذي كان بين يدي.. فهل توجه إليها كلمة لعلها تسمعها منك ويتحقق الأمل على يديك؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

قد تستطيع المرأة خاصة إذا كانت قد نالت بعض حظها في الزواج والسعادة، أن تصبر على ما يطرأ على قدرة زوجها من تغير مع التقدم في مراحل العمر وأن تتواءم مع أوضاعها الجديدة وتتلمس سبل التعويض النفسي عما ينقصها في أوجه حياتها الأخرى مع زوجها وبناتها، ولكن بشرط ألا يضاعف زوجها من معاناتها بما يطرأ عليه هو أيضا من اضطرابات نفسيه تزيد من شقائها بما طرأ على قدرته من تغير.. وتصبح عليها احتمال الحياة معه إلى ما لا نهاية.. ذلك أن الآثار النفسية السلبية لما يطرأ على الرجل تكون عادة أكثر خطرا على علاقته بزوجته من التغير الفسيولوجي الذي طرأ عليه. إذ يرافق هذا التغير غالبا توتر مكتوم في علاقة الزوج بزوجته، فإذا نحينا جانبا الآن ما قد تستشعره الزوجة في أعماقها من نقمة صامته على الزوج لما تتصوره من مسئوليته عما تعانيه من نقص وتعبيرها عن ذلك أحيانا في بعض التصرفات السادية العابرة، او بازدياد حدة مزاجها وسرعة تهيجها العصبي في بعض الأحيان، فإن ما يعانيه الزوج من آثار نفسية سلبية بعد أشد خطرا على علاقته بزوجته من ذلك، إذ قد يدفعه شعوره بالنقص تجاه زوجته وبما جد عليه من ضعف الثقة بالنفس وبقدرته على السيطرة على زوجته إلى محاولة «اختبار» هذه القدرة مرارا وتكرارا وطمأنة النفس إلى أنه لم يفقد أسباب الجدارة في نظر زوجته، فيكون التعبير عن ذلك أحيانا بافتعال الخلافات واتخاذ المواقف المتشددة معها، وإثبات الذات على حسابها، كما قد يلجأ بعض المبتلين إلى حيل نفسية أخرى كحيلة الإسقاط، وإتهام الزوجة بالمسئولية الحقيقية عما طرأ عليه هو من تغير ومحاولة إقناع الزوجة بذلك لتشاركه بعض إحساسه بالذنب تجاهها، وتنطوي هي الأخرى على بعض الإحساس بالذنب تجاهه، فتتساوى الكفتان وتتواصل الحياة!

وهو نوع من الدفاع عن النفس عن طريق الهجوم على الغير فضلا عما قد يصاحب ذلك عادة من غيرة جنونية من الزوج على الزوجة ومحاولة يائسة لاحتوائها وسد المنافذ حولها.. تخوفا مما تصوره له وساوسه وضعف ثقته بنفسه من أنها قد تلجا إلى محاولة تعويض ما ينقصها في حياتها الزوجية من مصادر خارجية.

والمحصلة دائما لكل هذه الأوهام والهواجس والتوترات النفسية هي اضطراب العلاقة بين الزوج وزوجته وحلول الشقاق وتكرار الأزمات، حتى لتتراجع لدى الزوجة في كثير من الأحيان أهمية ما تفتنقه في علاقتها الخاصة بزوجها بالمقارنة بهما الأكبر وهو اضطراب حياتها معه وتوترها وكثرة خلافاتها.

وكل ذلك ليس من الحكمة في شيء، فهذا التغيير الذي قد يطرأ على الزوج في أي مرحلة من مراحل العمر ليس نهاية الحياة بالنسبة له أو لزوجته، ومن الممكن في كثير من الأحيان أن تستمر الحياة بينهما في أمان رغم نواقصها إذا أحسن الزوج فهم شخصية زوجته وجاهد نفسه ليتغلب على الآثار النفسية الضارة للتحول الجديد في حياته وحاول بإخلاص تعويضها عما ينقصها بالحب والرعاية والعطف والعطاء العاطفي وحسن المعاشرة.. ذلك أن استمرارها معه بعدما جد عليه من تطورات دون أية رغبة منها في الانفصال عنه، إنما يعني أنها قد اختارت استكمال مشوار الحياة معه دون اعتراض على أقدارها واقداره.

ويبقى بعد ذلك أن يعينها هو بحسن معاشرته لها وزيادة عطائه العاطفي لها على استمرار الحياة بينهما وليس بإعسارها عليها واضطرابها وتوترها.

ولقد صبرت زوجة نبي الله أيوب على بلاء زوجها 18 عاما كاملة، لم تهن خلالها ولم تضعف ولم تكل من خدمته ورعايته وعلاجه والعمل لإطعامه حتى لقد قصت شعرها كله لتشتري له بئمنه طعاما، فكان أن كشف الله سبحانه وتعالى عنه غمته وطال به العمر، كما جاء في العهد القديم حتى عاش بعد كشف الغمة مائة وأربعين سنة، ورأى بنيه وبنى بنيه إلى أربعة أجيال وما أكثر ما صبرت زوجات فضليات على مثل ذلك ورضين بأقدارهن وتلمسن التعويض في ابنائهن وحسن معاشره أزواجهن لهن.

لكنك يا سيدي لم تعن زوجتك على احتمال حياتها معك.. بحسن الصحبة وحق الرعاية والعطف، وإنما استسلمت لكل الآثار النفسية الضارة لما ابتليت به، فافتعلت الخلافات معها ولاحتقتها بالتعليقات الجارحة.. وأذيتها بالضرب، فأنفجرت فيك لأول مرة وطلبت الطلاق منك وأصرت عليه، وبدلا من أن تعينها على مراجعة نفسها بكرمك معها في الطلاق وحرصك على صورتها أمام أبنائها. فلقد أعسرت عليها ولم تكن سلسا ولا كريما معها في طلاقك لها وحرمتها من الاتصال بأبنائها ولاحتقتها بالوشايات في عملها حتى اضطرتها لتركه.. فبماذا تريدني أن أقنعها بندمك على ما كان وصدق رغبتك في التكفير عنه؟

إن الاعتراف بالخطأ لا يكفي وحده لكي يعفينا من اللوم إن لم نبادر بتصحيح الأخطاء ورد الحقوق المتعلقة بها.

وفي قصتك هذه فإن الندم الحقيقي على ما فعلت بزوجتك إنما يتحقق بأن تبادر بإثبات صدق الرغبة في الإصلاح والتكفير برد حقوقها المادية التي حرمتها منها مقابل الاستجابة لطلاقك لها، وبأن تسمح لها بالاتصال بأبنائها دون إعانت عليها في ذلك، بغض النظر عن قبولها للعودة إليك أو رفضها لها، وبأن تقوم بتصحيح الصورة التي شوحتها لها في أذهان أبنائها وجهة عملها، وبعد ذلك كله فلننتظر ونأمل في أن تنتهي الأجواء ذات يوم قريب لمناقشة عودتها إليك.. ذلك أن كل هذه الخطوات هي من قبيل إبراء الذمة تجاه زوجتك السابقة وإثبات حسن النية، أما عودتها إليك فإن الأيام وحدها هي التي ستختبر قدرتها على مقاومة نداء ابنائها إليها.. ونداء حبك الطاعي لها وإن غدا لناظره قريب.





## 21- الصفحة البيضاء

أنا أم لفتاة في سن العشرين جميلة وعلى خلق ودين تؤدي فرائضها، وترعى الله في حياتها ومتفوقة في دراستها وتعاملني وتعامل أباه وأخوتها بكل العطف والحب والاحترام، وكغيرها من البنات فلقد راحت منذ شارفت سن الشباب تحلم بفتى الأحلام الذي سيجيئ من عالم الغيب ويحقق له قلبها وتشاركه رحلة الحياة، وما إن وصلت إلى عامها الجامعي قبل الأخير حتى تقدم لخطبتها شاب يعمل عملا مهنيا، وتتوافر فيه مواصفات فتى الأحلام الذي تحلم به، وقمنا بدورنا في الاستعلام عنه وعن أسرته فجاءت المعلومات مطمئنة، فالأسرة محترمة والشاب متزن وكلامه جميل ومعقول، فشعرت أنا وزوجي بالارتياح له ولأسرته، غير أن ابنتي لم تشعر من الوهلة الأولى بنفس هذا الارتياح تجاهه، وأعطيناها المهلة الكافية للتفكير في الأمر، وفي نهايتها قالت لنا بأمانة إنها لا تنكر عليه شيئا. لكنها فقط لا تشعر بالارتياح الكامل له ولا تدرى لذلك سببا ولأنها تخشى ربها فلقد خشيت أن تظلمه بالرفض لغير سبب واضح واستجابت لرغبتنا في إعطائه الفرصة لأن يقترب منها وتكتشف فيه مزاياه، وهكذا تمت الخطبة وبعد فترة قصيرة منها طلبت أسرة الشاب عقد القرآن، وعارضت ابنتي في البداية تعجل عقد القرآن، ثم وافق في النهاية بالرغم من تخوفها من بعض المؤشرات التي ظهرت عليه خلال فترة الخطبة كإحساسها بأنه يكذب كثيرا، ومضت الأمور في طريقها الطبيعي وبدأنا في إعداد الجهاز وبدأنا نتردد كثيرا على الشقة التي ستكون عش الزوجية لوضع الأثاث والمفروشات إلخ. وكلما اشترينا شيئا جديدا حملناه إلى الشقة المغلقة ووضعناه فيها.. إلى أن اكتملت الشقة تماما من الأثاث والسجاد والستائر وأدوات المطبخ والفضيات.. إلخ ولم يبق إلا إتمام الزفاف بعد أسبوعين وكان آخر ما اشتريناه تلفزيونا ملونا، فاقترح زوجي أن نحمله من المحل إلى الشقة مباشرة وسأل ابنتنا التي كانت معنا عن مفتاح شقتها وأجابت بأنه معها فتوجهنا بسيارة زوجي إلى الشقة المغلقة ونحن في غاية السعادة والابتهاج ونتبادل الرأي حول المكان الأمثل لوضع التلفزيون فيه، وفتحت ابنتي الشقة ودخلنا إليها.. وبدأنا في وضع التلفزيون فإذا بنا نسمع كلاما وضحكات مكتومة.. وتوجسنا شرا وتصورنا أن بالشقة لصا يسرق محتوياتها وتجولنا في غرفها بحذر إلى أن فتح زوجي باب غرفة النوم فإذا بنا نرى خطيب ابنتي الذي سيزف إليها بعد أسبوعين فقط ومعه زميلة لها بالجامعة، سبق أن ترامت إليها أنباء عن علاقته بها وواجهته بذلك فأنكرها إنكارا تاما!

ولم تحتمل ابنتي الطيبة الموقف المشين وهرولت خارجة من الشقة و.. واجهت أنا وزوجي هذه اللحظة العصبية.

وبعد أهوال لا داعي لذكرها استدعينا أهله وروينا لهم ما حدث فعقد الخجل والذهول ألسنتهم، وطلبنا منهم أن يطلق ابنهم ابنتنا على الفور، ولم يلحوا علينا كثير للعدول عن مطلبنا لإحساسهم بالخزي مما فعل ابنهم.. لكنه رفض الطلاق وطلب إعطائه فرصة أخرى «لإصلاح نفسه» ولأنه متمسك بابنتي

الصفحة البيضاء التي لم يخط فيها أحد حرفاً من قبل كما قال! وأصرت ابنتي ووالدها على طلب الطلاق بلا أي تفاهم، وقامت ابنتي بعمل توكيل لوالدها لإتمام الطلاق في غير حضورها لكيلا ترى هذا الشاب مرة أخرى، وبعد محاولات عديدة تم الطلاق، ووجدت ابنتي نفسها مطلقة وهي في سن العشرين من عمرها وبلا ذنب جنته سوى أن حلمت كغيرها من الفتيات بفتي تشاركه حياته ومشاعره، وقد سجلت في صفحتها البيضاء هذه الزيجة التي لم تتم، وأصبحت مطالبة إذا تقدم لها شاب آخر بأن تفسر له لماذا طلقت قبل الزفاف.. وما هي الأسباب.. وقد يقتنع بذلك.. وقد تراوده الشكوك تجاهها وتتساءل ابنتي الآن: ما ذنبي في كل ما حدث؟! وماذا تقول للأهل والأصدقاء والجيران إذا سئلت عنه وقد استسلمت للحزن والاكتئاب وامتعت عن الذهاب إلى كليتها واعتزلت الزيارات العائلية.. وراحت تقضي معظم وقتها في حجرتها صامتة مكتنبة وتتجنب مقابلة الضيوف، وتهرب من أبيها وأختها حين يدعونها للسمير معهم.

إن قلبي ينزف دماً حزناً على ابنتي وأرجو منك أن توجه إليها كلمة تدعوها فيها إلى الخروج من حجرتها والعودة إلى الجامعة لتحصل على شهادتها هذا العام وتقدم لها النصيحة بأن ما حدث لها لا يعني انتقاص فرصتها في الزواج الموفق ولا بد أن الله سبحانه وتعالى سوف يعوضها عن هذا الظلم الذي تعرضت له بلا سبب وشكراً لك مقدماً.

ولكاتبه هذه الرسالة أقول:

يختلف تفاعل الإنسان مع الكثير من مواقف الحياة باختلاف زاوية الرؤية التي يرصدها منها. وفي حالة ابنتك فلقد استسلمت للحزن والاكتئاب لأنها قد تفاعلت مع التجربة المحزنة التي تعرضت لها وفقاً لزاوية رؤية واحدة رأت من خلالها أنها قد تعرضت لأذى نفسي كبير بلا أي ذنب جنته في هذه المحنة، وشعرت بالظلم لأن صفحتها البيضاء مع الحياة والزواج قد نقشت عليها سطور هذه التجربة الفاشلة، وأصبحت مطالبة بتقديم تفسير لها للغير ولمن يتقدم للارتباط بها في المستقبل، فضلاً عن إحساسها بالمهانة ومرارة الغدر والخيانة ممن توسمت فيه الوفاء لها والرغبة الصادقة في تكريس مشاعره وعواطفه لها دون غيرها من الفتيات.

ولا شك في أنها محقة في كل ما تشعر به من ألم وظلم وجرح للكرامة الإنسانية في هذه المحنة القاسية.. لكن ماذا عن زاوية الرؤية الأخرى لنفس هذه المحنة.. وعن الجانب الآخر الإيجابي فيها؟

لقد تعرضت ابنتك يا سيدتي لأذى معنوي كبير في هذه التجربة.. وخسرت بعض الخسائر النفسية والمعنوية المحققة فيها.. لكن هذه المحنة من زاوية أخرى قد أكدت لها أن أقدارها قد ترفقت بها فكشفت لها عن الجوهر الحقيقي الفاسد لمن كانت ستشاركه رحلة الحياة قبل أن يحفر في صفحتها البيضاء أثراً أعمق غورا من أثر التجربة الفاشلة، وقد يتعذر محوه أو علاجه في المستقبل بغير خسائر

جسيمة. إنها محبوبية الأقدار كذلك وليست ضحيتها فقط كما تتصور الآن فلقد شاعت لها اقدارها الرحيمة ان تثبت من صدق مشاعرها المبدئية بعدم الارتياح لهذا الشاب قبل أن يدخل بها وتنجب منه وتتشابك خيوطها معه ويتعذر فضاها بغير ان تدفع من حياتها وأمانها وأيامها ثمنا فادحا، ولا عجب في ذلك لأن من لم يتورع عن خيانة زوجته التي ستزف إليه بعد أسبوعين فقط على فراش الزوجية، لم يكن ليتورع غالبا في المستقبل عن خيانتها والعبث مع غيرها بعد بنائه بها، وكان الأرجح ان تعاني معه الكثير والكثير من كذبه وعبثه وخيانتته لها بعد الزواج والإتجاب.. فلماذا لا تلتفت إلى هذا الجانب الإيجابي في محنتها وتشكر ربها كثيرا عليه؟

أما تحسبها بتسجيل هذه الزيجة الفاشلة عليها واضطرارها لاتخاذ موقف الدفاع عن نفسها بشأنها مع من سوف يرتبط بها في المستقبل، فهو ثمن قليل لهذه المحنة التي تلطفت فيها الاقدار بها فحجمت خسائر كثيرة بالنسبة لها، ولا يقارن هذا الثمن القليل بالآخر الفادح الذي كانت ستدفعه من حياتها واستقرارها وأمانها في المستقبل لو كانت قد ارتبطت بهذا الشاب، وما أكثر الزيجات التي تتعرض للانهيار قبل إتمامها، وتجربة ابنتك يا سيدتي في النهاية ليست تجربة زواج فاشل وإنما هي تجربة خطبة لم يقدر لها النجاح والاستمرار حتى ولو كان قد عقد قرانها على ذلك الشاب خلالها، وبالتالي فإن صفحتها مع الزواج ما زالت بيضاء من غير سوء والحمد لله. وستظل كذلك إلى أن يجمع الله بينها وبين من يستحقها ويقدر لها مزاياها في القريب العاجل بإذن الله.

ونحن في النهاية نعرف الخير بالشر والطيب بالخبيث والأمين بالخائن أي بمقارنة القيم والأشياء بأضدادها، ولولا وجود الشر في الحياة لما أدركنا قيمة الخير ولما أعليناه عليه.. فلتهون إذن ابنتك على نفسها، ولتخرج عن صمتها وعزلتها.. ولتطلق لسانها من عقاله بالشكوى من سوء حظها الذي عرضها لهذه المحنة العابرة في حياتها وبالشكر لربها أن أنقذها من حياة زوجية لم تكن لترشحها إلا للتعاسة والمعاناة، فذلك خير وأفضل من مكابدة الصمت وكنم المشاعر والخواطر التي تمور داخل النفس وتترك أثرا سلبيا سيئا على الصحة النفسية. فالصمت هو قمة الانفعال كما يقول لنا أحد علماء النفس المحدثين، وأكثر اللحظات إثارة للانفعال في حياتنا هي اللحظات التي يبلغ من انفعالنا لها ألا نجد ما نقوله فيها من كلمات، ولهذا فإني أدعو ابنتك إلى الخروج عن صمتها ومن عزلتها وإلى المشاركة من جديد في مباراة الحياة بخبرة أفضل ببعض أسرارها.. وإيمان أكبر بجدارتها بأن تنال كل ما تستحقه من طيبات الحياة وبثقة أعمق بان تعويض السماء لها عما تعرضت له سوف يمحو تلك السطور الباهتة من صفحتها.. ويحل مكانها سطورا مضيئة بالسعادة والتوفيق في المستقبل القريب بإذن الله.

## 22- قبل البداية!

أرجو أن يتسع صدرك لما سوف أرويه لك وأطلب منك المشورة فيه فأنا فتاة في السابعة والعشرين من العمر.. وأواجه مشكلة لا بد لكي تعرف جذورها أن أروي لك القصة من البداية.. أو على الأصح من قبل البداية وقبل أن أجيء إلى الحياة، فلقد تزوجت أمي وهي في التاسعة عشرة من عمرها من شاب من أصل ريفي كان يعمل بمدينةنتنا، وسعدت أمي بزواجها منه بالرغم من صغر سنها.. غير أن سعادتها به لم تطل كثيرا فلقد مضى عامان من الزواج بغير أن تنجب وراح أبي ينغص عليها حياتها ويحملها مسئولية ذلك، ثم أذن الله لها بعد ذلك بالحمل وتوقعت هي أن تنتهي متاعبها بالحمل والولادة لكن الأقدار خيبت ظننا، فلقد وضعت حملها فإذا به أنثى، وأبي يريد لنفسه ولدا يحمل اسمه ويخلد ذكره في الدنيا، كما قال لها، ومن ثم فإنه لم يفرح بالمولودة الجديدة، وازداد إساءة لأمي وتغليصا لحياتها، وبعد عامين آخرين جئت أنا للحياة فكنت - على حد قول أبي لأمي وقتها - «المصيبة الثانية» التي ابتلى بها بعد مصيبته الأولى، وكثرت مشاجراته مع أمي ومعايرته لها بعدم إنجاب الولد وتجهمت الحياة في وجه أمي.. لكنها لم تيأس - بالرغم من ذلك - من تكرار المحاولة على أمل أن تحقق لزوجها أمله.. وتستقر حياتها معه بلا أكرار وحملت مرة ثالثة.. ووضعت حملها بعد عام ونصف العام من مولدي، فإذا به «بنت ثالثة».. فكان ذلك هو نهاية القصة بالنسبة لأبي.. وما إن علم بنوع المولود الجديد حتى ترك أمي في المستشفى وحيدة وأرسل إليها، وهي ما زالت في ضعف الولادة، بورقة الطلاق.. فبكت حتى جف دمعها كما روت لنا.. وخرجت من المستشفى إلى بيت أهلها تحمل رضيعتها على ذراعيها.. ولم نجد نحن من يرعانا بعد ذلك سوى أخوالي وأهل أمي.. وبعد فترة ليست طويلة راح أخوالي يضغطون على أمي للزواج مرة أخرى لأنها ما زالت صغيرة السن، وقبلت أمي تحت هذا الضغط بالزواج من قريب لها.. واقترنت به بالفعل وانتقلنا للحياة معها ومعه فلم تمض بضعة شهور حتى كانت قد حملت للمرة الرابعة، ووضعت حملها فإذا به - يا سبحان الله - ولدان توأم! بدلا من ولد واحد.. وسعدت أمي بهذين الولدين كثيرا واختلط مرحها بهما بالأسى على ما لقيته في حياتها السابقة من ظلم أبي لها واتهامه لها بعدم إنجاب الذكور، ومعاقبته لها على ذلك بالطلاق، ومضت الحياة بنا وتقدمنا في مراحل العمر، وكلما روت لنا أمي شيئا جديدا عما لاقته من أبي خلال زواجها الأول، ازداد كرهنا له، خاصة أنا، حتى لقد تمنيت ذات يوم لو استطعت أن أغير اسمي في كل أوراقى الرسمية لكيلا أحمل اسمه.. وبالرغم من عطف زوج أمي علينا ورعايته الأمانة لنا إلا أن ذلك لم يعوضنا أبدا عن ذلك الشيء الجوهري الذي فقدناه ونحن صغار، حين فقدنا الأب وافتقدنا وجوده في حياتنا ونهوضه بمسئوليته عنا، ومضت بنا الأيام وتقدم لأختي الكبرى شاب ناجح وتزوجته. وجاء الدور على كما يقولون فرفضت الزواج نهائيا، لأنني قد كرهت الرجال في شخص أبي ولم أعد أتصور أن يضمني بيت واحد مع أحدهم.. ورحت أرفض الخطاب واحدا بعد الآخر دون أسباب واضحة، حتى اضطرت أمي بعد أن

ينست منى إلى تزويج أختي الصغرى التي كانت تؤجل زواجها إلى ما بعد زواجي، ورحت أنا أبحث عن سبب لما فعله بنا أبي فلم أجد له عذرا من الناحية الدينية ولا من الناحية العلمية، فلقد قرأت للإمام الراحل الشيخ الشعراوي أنه في الوقت الذي كانت فيه الدنيا كلها تتهم النساء بأنهن مسئولات عن إنجاب الإناث دون الذكور جاء القرآن فأكد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الرجال والنساء من نطفة الرجل وأنه لا دخل للمرأة في ذلك، ثم جاء العلم الحديث فأكد أن تحديد النوع يأتي من جانب الرجل وليس المرأة.. فلم أجد بعد ذلك أي عذر لأبي فيما فعل بأمننا وبنا ورحت أدعو الله عليه في صلواتي ليلا ونهارا.. وأمل أن يصيبه دعائي حيث يكون لأننا لا نعلم أين هو ولا إذا كان حيا أم ميتا.. فهل أنا مخطئة في كراهيتي هذه لأبي.. وفي كراهيتي لجنس الرجال ورفضي للزواج.. إنني أرجوك أن تناشد كل الرجال ألا يظلموا زوجاتهم وبناتهم لكيلا يحكموا عليهم بالتعاسة والشقاء طوال العمر.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كان الفيلسوف البريطاني برتراند راسل يقول، إنه لكي تعيش سعيدا في حياتك عليك أن تحسن «اختيار» أجدادك وبالرغم من السخرية الواضحة في هذه العبارة، فإن مدلولها العلمي صحيح وهو أن الكثير من سماتنا الجسدية والنفسية تحددها العوامل الوراثية التي تسجننا إلى حد كبير في سجن الجسد، الذي نولد به، وسجن الطبع الذي يتشكل من العوامل النفسية الوراثية والعوامل المكتسبة من بيئتنا العائلية وتجاربنا الشخصية. ويبدو أننا مطالبون كذلك لكي نحيا حياتنا في سعادة أن نحسن أيضا اختيار آبائنا وأمهاتنا وأن نختار لأنفسنا طفولة سعيدة آمنة ترشحنا لمواجهة الحياة بتكوين نفسي سليم واستعداد طبيعي للسعادة.

ولأننا لا نستطيع للأسف اختيار أجدادنا وآبائنا وأمهاتنا وطفولتنا، فإن مسئولية الآباء والأمهات عن توفير هذه الطفولة السعيدة لأبنائهم تظل دائما هي خير ما يقدمونه لأبنائهم من عطايا وخير ما يرشحونهم به للحياة السوية الآمنة في المستقبل.

وحالك خير مثال على ذلك يا أنستي، فأنت تدفعين الآن ثمنا غالبا لسوء تقدير أبيك وجهله بحقائق الحياة ونكوصه عن الرضا بأقداره وتقايسه عن تحمل مسئوليته الإنسانية عن بناته، ولقد تفتحت مداركك للحياة وانت تنطوين في أعماقك على أسوأ ما ينطوي عليه طفل في طفولته وهو إحساسه الباطني بأنه عبء ثقيل على الحياة وأحد أسباب شقاء أمه أو أبيه بحياته بدلا من أن يشب وبدخله الإحساس السليم بأنه هبة الأقدار الغالية لأبويه، وموضع الإعزاز والحب الغامر من كليهما ولقد كان من الممكن أن ينحسر أثر هذا الإحساس المؤلم عليك إلى أقصى حد ممكن لو لم تكن والدتك قد أسرفت في تنبيه هذا الإحساس لديك ولدى أختيك، بالإسراف في رواية ذكريات مأساتها الشخصية مع أبيك، وتعميق إحساسك باثر «النوع» على تحطم حياتها الزوجية الأولى،

والتركيز على عمق الجرح الذي خلفه هذا الأب الجاحد في حياتها وحيات بناتها، إذ تفاعلت كل هذه المؤثرات مع إحساسك المؤلم بافتقاد الأب الراعي المسئول عن بناته في حياتك وأثرت على تشكيل نظرتك السلبية للرجال والزواج، وتحول الرجل في أعماقك إلى رمز لقهر الأنثى وإيلامها والتخلي عنها ورغبتك في عقلك الباطن في تجنب التعرض لهذا القهر الذي لمست أثره المؤلم على حياة والدتك وحياتك وحيات أختيك فنفرت من جنس الرجال وأصبح الزواج لديك قرينا لتعرض الأنثى للإيذاء المعنوي والقهر والشقاء.

ولقد علمتنا تجربة الحياة أن الأبناء حين يكونون شهداء على التعاسة الزوجية لأبويهم فإنهم يتفاعلون مع ما يشهدون عليه من شقاء سلبا وإيجابا فيورثهم في بعض الأحيان مثل هذا الأثر السلبي، الذي يعجزون معه عن التفاعل السليم مع مؤثرات الحياة أو يورثهم في أحيان أخرى الرغبة الحارة في السعادة الشخصية في حياتهم الخاصة والتمسك بما حرموا منه في طفولتهم وصباهم من أسبابها والحرص على أن يجنبوا أبناءهم مرارة التعاسة والخوف من المستقبل التي تجرعوها هم في حياتهم.

ولقد اختارت لك الأقدار هذا الأثر السلبي دون الآثار الأخرى وتعمق لديك الإحساس بالخوف من ان تتعرضي في المستقبل لقهر الرجل الذي تعرضت له أمك في الماضي مع أن تجربتها الثانية في الزواج قد نجحت وحققت لها ولكن الأمان والاستقرار، فلماذا ثبتت عينك على تجربتها الأولى مع أبيك وحده؟ ولماذا لم تجد تجربتها الثانية في الوفاق الزوجي ما ينبغي أن يكون لها من أثر إيجابي على رؤيتك للرجل والزواج؟ ولماذا أيضا لا تأملين في تكرار تجربتي شقيقتيك في الزواج السعيد والتعامل مع صنف آخر من الرجال؟

إن الأمر على أية حال لم يخرج بعد عن نطاق السيطرة ومن الممكن دائما أن يعدل الإنسان من أفكاره الخاطئة في أي مرحلة من العمر بمراجعة هذه الأفكار واختبار منطقيتها وبالحوار الهادئ العقلاني مع النفس.

فإذا سلمت بينك وبين نفسك، بأنه لا ذنب لأحد في ضيق أفق والدك ولا في تخليه عن مسئولية بناته، وأدركت أن البشر جميعا ليسوا أشباها متماثلين في أفكارهم ورؤيتهم للحياة، واسترجعت ما قاله الأديب والشاعر الألماني جوته من أنه يندر أن نجد بين أوراق الشجر ورقتين متماثلتين تمام التماثل، ويندر أيضا ان نجد بين البشر اثنين تتفق آراءهما وأساليب تفكيرهما تمام الاتفاق، إذن لأدركت أنه لا يمكن أبدا تعميم حكم سليم على كل الرجال أو كل النساء اعتمادا على تجربتنا الشخصية مع واحد منهم أو واحدة منهن، أو حتى مع بعض هؤلاء وهؤلاء.

فضعي الأمور في نصابها الصحيح، وتخلصي من خوفك المرضي من الرجال والزواج ولو تطلب ذلك الاستعانة بخبرة الطبيب النفسي، وتعاملي مع الحياة بالإيمان الصحيح بخيريتها، بالرغم مما يزعجنا من بعض مظاهر الشر فيها،

ولسوف ترشحن نفسك بذلك للتفاعل الإيجابي معها ولخوض تجربتك الشخصية  
فيها والابتهاج بها.



## 23- الملابس الكاملة

أنا سيدة متزوجة في السابعة والعشرين من عمري لي أختان ونشأنا في ظل أبي وأمي في بيت سعيد يشع بالمرح والتفاؤل والحيوية، فكان والدنا أبا لنا وأبا لا مثيل له في حنانه وطيبة قلبه، وكان لنا يوم أسبوعي نخرج فيه معا كلنا للنزهة، ويحب كل أفراد عائلتنا زيارتنا في بيتنا ولم نشعر ذات يوم بأية مشكلة بين أبي وأمي، وعلى حين كانت أمنا توجه كل جهدها لوظيفتها التربوية ولأعمال البيت، فقد كان والدي يعطينا من وقته الكثير ويسمع لنا ويساعدنا في حل مشاكلنا بعد عودته من عمله، ثم مضت الأيام في طريقها وتزوجت أنا وسعدت بحياتي وتزوجت شقيقتي التي تليني ووفقت في زواجها والحمد لله وخرج أبي إلى المعاش وكذلك والدتي فتقبلت أمي حياتها الجديدة بلا تدمر، أما أبي فإنه لم يستطع تقبل الفراغ بسهولة وبحث عن عمل والتحق بشركة قطاع خاص لبعض الوقت غير أنه لم يعمل بها طويلا، ولم يستطع التأقلم مع ظروف العمل بالقطاع الخاص ولا مع طريقة المعاملة فيه فتركه ورجع للبيت، وأصبح أبي، الذي كان شغلة للنشاط والحيوية قبل فترة قصيرة حبيس مقعده المفضل بغرفة المعيشة طوال الوقت يصحو من نومه مبكرا كعادته فيرتدى ملابسه الكاملة، كما كان يفعل أيام العمل ويخرج إلى السوق ليشتري بعض متطلبات البيت ويرجع بعد نصف ساعة أو ساعة على الأكثر فيجلس في مقعده المفضل بلا حراك ولا حديث ولا ممارسة أي هواية ولا تجاوب مع أي شيء، يمسك بالصحيفة فلا يقرأ فيها شيئا باهتمام وإنما يتصفحها سريعا ثم يلقي بها جانبا ويجلس أمام التلفزيون فلا يتابع شيئا فيه ولا يتجاوب مع شيء كأنما لا يراه، ولا يزورني في بيتي ولا يزور أختي المتزوجة في بيتها ولا يجامل أحدا في مناسبة ولا يزور مريضا ولا يتكلم مع أحد في شيء مفيد، ويظل مرتديا ملابسه الكاملة بالجاكيت والكرافتة والحذاء والجورب حتى الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر، ثم يستريح قليلا وينهض فيخرج لمدة ساعة أخرى في المساء ويرجع فيظل بملابسه الكاملة إلى أن ينام.

وهكذا تمضي أيامه في صمت شبه تام وكآبة وعزوف عن كل شيء، لقد حاولنا مع أمنا كثيرا أن تشجعه على الحياة بدون عمل فتزيد من مساحة الكلام معه وتشرکه في بعض اهتماماتها المنزلية وتأخذ رأيه في بعض المسائل ولو اضطرت لافتعال ذلك افتعالا، ولكن دون جدوى، لقد خيم الصمت على بيتنا، الذي كان يفتح بالمرح والحيوية من قبل، وأنا وشقيقتي المتزوجة حزینتان على حال أبي بالرغم من أننا لا نعاني المشاكل مع زوجينا والحمد لله. وأتمنى أن توجه كلمة إلى أبي تساعد بها على تقبل حياته الجديدة خاصة أنها ليست مشكلته وحده وإنما مشكلة كثيرين من الرجال الذين يزجون إلى المعاش فتخلو حياتهم من العمل والهوايات ويستسلمون للكآبة

ولكاتبة هذه الرسالة أقول

الفارق الجوهرى بين نظرة البعض منا فى عالمنا الشرقى إلى مرحلة انتهاء الخدمة الحكومية أو العمل الوظيفى ونظرة الرجل إليها فى الغرب بصفة عامة، هو أن الرجل هناك ينظر إلى مرحلة التقاعد باعتبارها «المكافأة» التى ترقبها طويلا لكي ينعم معها بالراحة وجمال الأوقات وممارسة الهوايات وزيارة الأماكن التى لم يتح له سابق العمل زيارتها، والاهتمام بالعلاقات العائلية والإنسانية التى حال الانشغال بالحياة العملية من قبل دون توجيه الاهتمام الكافى بها، وتدوق الأشياء على مهل واستجلاء معانيها بعمق لم يكن متاحا له من قبل خلال سباق الحياة اللعين، فى حين ننظر نحن أو بعضنا على الأقل إلى هذه المرحلة من العمر باعتبارها «عقابا» قدريا أنزلته بنا اللوائح الإدارية التى لم تسمح لنا بالاستمرار فى مواقعنا إلى النهاية، وإيدانا بانتهاء الدور وفقد الاعتبار وانفضاض طلاب المصالح وأصحاب الرجاءات من حولنا بعد فقدنا قدرتنا السابقة على النفع والضرر.

وهذا هو أسوأ ما يفعله المرء بنفسه أن يعتبر مرحلة الراحة بعد عناء العمل الطويل «عقابا» قدريا له، وليس مكافأة له على سابق عطائه للحياة والعمل والأسرة.. والا يستمتع بهذه المرحلة الذهبية من العمر التى يسمونها فى الغرب Sugar Age أو سن السكر فيدرب نفسه على التنفس الهادئ المنتظم بعد اللهاث الطويل وراء الأهداف وعلى تذوق الأشياء والمعاني والعلاقات الإنسانية بعمق أكبر والاستمتاع بها وبحياته الجديدة فى ظلها.. إن مرحلة المعاش ليس كما يتعامل معها البعض منا مرحلة انتهاء الدور فى الحياة العملية وانتظار الرحيل الأبدى وإنما هى مرحلة الحياة على مستوى العمق الإنسانى بعد الحياة على المستوى الأفقى خلال رحلة العمل السابقة.

وأكثر الناس تواؤما معها وسعادة بها هم من يراجعون رحلتهم السابقة مع الحياة العملية ويرضون عنها وعن عطائهم خلالها ويرون أنفسهم جديرين بالراحة الإيجابية وتعويض ما فاتهم الاستمتاع به من الصداقة الإنسانية والعلاقات الأسرية وممارسة الهوايات المفيدة، فضلا عن العبادة باستغراق أكبر وتامل أعمق، والرغبة فى إفادة الحياة بوجودهم فيها، ابتداء من تقديم المساعدة بالجهد والرأى لمن يحتاج للمساعدة من الأهل والأقارب والأصدقاء، إلى الكلمة الطيبة التى تصدر عن الناس فيسعد بها الآخرون.

إن كثيرين من العقلاء يعتبرون هذه المرحلة من العمر هى أثنى مراحل العمر التى يتحقق لهم فيها الفهم الصحيح للحياة والاستمتاع الحقيقى بثمراتها لكن والدك فيما يبدو يا سيدتى مازال يعتبر خلو حياته من العمل «عقابا» قدريا له لا يتقبله برضا.

ولو أحسن إلى نفسه لراجع قائمة صداقاته القديمة وعلاقاته العائلية التى تقطعت بسبب مشاغل الحياة والعمل وبعث فيها الدفء من جديد، ولأقنع نفسه بان كل شيء فى الحياة جدير بالاهتمام به والتجاوب معه، والانفعال به، ولبدأ بتوجيه قدر أكبر من الوقت والجهد للعبادة ومحاولة درس القرآن واستجلاء معانيه السامية أو بممارسة القراءة المتعمقة فى الدين والحياة والأدب والعلوم

الإنسانية، لكي يكتشف عالما سحريا جديدا سوف يعجب لنفسه كيف غاب عنه من قبل، ولعرف أن الإنسان يحتاج لكي يعرف بعض ما ينبغي له أن يعرفه في الحياة لأكثر من عمر واحد من بدايته حتى نهايته.. لقد قال الشيخ الجليل محمد الغزالي يرحمه الله وهو في الخامسة والسبعين من عمره في بعض كتبه إنه ما أحب أن تنتهي حياته قبل تلك السن بخمسة عشر عاما أو عشرين، وإلا لما كان قد أدرك ما أدركه خلال تلك المرحلة المتأخرة من عمره، ولما كانت معارفه قد أثريت كما أثريت خلالها ولما نفع الآخرين بعلمه، كما نفهم في هذه المرحلة من العمر، ومن قبل قال الفيلسوف الفرنسي رينوفيه وهو في الثمانين من عمره: سأترك الدنيا قبل ان أقول كلمتي النهائية فيها، لأن ما أريد قوله لن يتسع له العمر للأسف وهذا أشد أحزان الحياة إثارة للشجن!

إن فقد الاهتمام بالأشياء والأشخاص والمعاني هو الموت الحقيقي من قبل مجيئه وكل إنسان يستطيع أن يحتفظ بقدرته على الاهتمام بالحياة وان يقول كلمته في الدنيا، فإذا لم يكن فيلسوفا ولا عالما في الدين فإنه يستطيع على الأقل أن تكون كلمته في الدنيا هي السعي في سبيل الخير ومحاولة فهم الناس والصفح عنهم.. كما قال كاتب أمريكي وهو في السبعين من عمره.. والكلمة الطيبة صدقة كما يقول لنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.. فكيف يستطيع إنسان أن يقول إنه لم يعد له دور في الحياة بمجرد انه قد بلغ سن التقاعد؟!

## 24- السنوات الجميلة

بالرغم من أنني قارئة مستديمة لبريد الجمعة إلا أنني ترددت طويلا في الكتابة إليك، حتى قرأت رسالة الجوانب المضيئة فشجعتني على أن أروي لك قصتي مع الأيام، فلقد روى لك فيها كاتبها الشاب كيف فقد أمه وهو طفل صغير فاحتضنته جدته وأصبحت أما بديلة لها.. ثم لقيت وجه ربه وتكررت تجربة اليتيم الأليمة في حياته وانتقلت حضانتها إلى زوجة أبيه فكانت لحسن الحظ ممن غرس الله سبحانه وتعالى الرحمة بالأيتام في قلوبهن، فرحمته وعطفه عليه وأحسن رعايته. فإذا به يفقدها هي الأخرى ويستشعر مرارة اليتيم من جديد، وكان أن تركت عليه تجربة الأيام بصماتها في مرض بالكبد، وضعف في السمع الخ، ولقد رددت عليه مهونا وداعيا إياه إلى التمسك بالإيمان بالله والرضا بقضائه وقدره، والأمل في الغد، واختتمت كلمتك له، بأن لدى الإنسان ميلا غريزيا للثناء للنفس، وأن هذا الميل قد يكون له ما يبهره في بعض الأحيان، وقد لا يكون هناك ما يدعو إليه، لكنك ترى أن رثاء هذا الشاب لنفسه عن حق وله ما يبهره وأريد أن أروي لك قصتي لتحكم على هذا الميل لدي وترى إذا ما كنت محقة فيه أم مغالية في إحساسي به في بعض الأحيان فأنا فتاة في الثالثة والعشرين من عمري وحين كنت طفلة في التاسعة من عمري ذهبت إلى الشاطئ مع أبي وأمي وشقيقتي في إجازة وخلال لهوى مع أخي فوق الرمال لاحظت أمي شيئا غريبا استوقفها في ظهري.. وأسرت لأبي بملاحظتها وشكوكها فاتهمها بالوسوسة والخوف المبالغ فيه على أطفالها لكن أمي لم يهنأ لها بال حتى قامت بعرضي على أحد الأطباء فطلب إجراء العديد من التحاليل والأشعات، وفي النهاية قال لوالدتي أنها أم ممتازة لأنها قد لاحظت شيئا قد تفوت ملاحظته على الكثيرين، وصارحها بأنني مصابة بعيب خلقي في العمود الفقري عبارة عن اعوجاج في بعض فقراته من الأسفل إلى الأعلى وأنها حالة نادرة لكنها تتطلب إجراء جراحة عاجلة لعلاجها وإلا فإنها سوف تتفاقم ويزداد الاعوجاج وينتهي بالتفاف العمود الفقري حول الرئتين والوفاة.

وانهارت أمي حين سمعت ذلك، وأرادت أن تتأكد من صحته فعرضتني على أربعة أطباء آخرين أكدوا لها صحة هذا التشخيص وحذروها من التأخر في إجراء الجراحة، وانتهى الأمر باختيار أحد الجراحين لإجراء العملية ودخلت المستشفى قبل موعدها بأسبوع لإجراء المزيد من الفحوص والتحليل، وذات يوم جاءت إلى الممرضة التي كانت ترعاني في المستشفى. واصطحبتني معها وفي الطريق عبر ممرات المستشفى نظرت إلى بإشفاق ثم سألتني: هل تحفظين الفاتحة؟ وأجبتها بالإيجاب فطلبت مني أن أقرأها وأكرر قراءتها طوال سيرنا في الممرات، وفي إحدى الغرف طلبت مني الممرضة خلع ملابسني، وارتداء قميص أبيض ووضع «يونيه» من البلاستيك فوق رأسي وفعلت ما طلبت ثم قادتني إلى غرفة أخرى يسودها اللون الأخضر في الحوائط والأثاث، ويقف بها رجال يرتدون معاطف خضراء اللون ابتسموا جميعا في وجهي ثم اقترب مني أحدهم وطلب

منى أن يرى يدي فمددتها له فوخزني بإبرة في كفي الصغيرة، ولم تمض دقائق حتى كنت قد غبت عن الوعي لفترة لا أدريها، وأفقت من غيبيتي فوجدت أبي وأمي حولي وهما يبتهلان إلى الله حمدا وشكرا على سلامتي، وعرفت أنه قد أجريت لي الجراحة المطلوبة ووجدتني لا أقوى على تحريك قدمي واستمر الحال هكذا شهرا كاملا وتبين أنني قد أصبت بشلل مؤقت وغادرت المستشفى وأخي يدفعني أمامه على الكرسي المتحرك، وأمضيت أيامي حبيسة البيت أجلس في الشرفة أرقب الأطفال وهم يلعبون ويجرون في الشارع ولا أعرف سببا لعجزني عن أن أفعل مثلهم، وقبل أن يتمكن اليأس والاحباط مني جاء أبي وأمي لي بطبيب متخصص في العلاج الطبيعي، فراح يعلمني على مدى ثلاثة شهور بصبر وإخلاص المشي كما يعلم الإنسان طفلا يبدأ عامه الثاني، إلى أن استطعت المشي بالفعل وسعدت بذلك كثيرا لكن ذلك لم يكن نهاية المعاناة وإنما بدأت رحلة أخرى من العذاب فلقد قام الجراح بوضع شرائح معدنية ومسامير لسند العمود الفقري بعد الجراحة، ولم يتقبل جسدي هذه الأجسام الغريبة فكانت خلاياه صديدا حول الجرح وداخله، وتطلب الأمر إجراء ٨ عمليات جراحية أخرى لي على مدى حوالي 5 سنوات، كان آخرها لتكسير عظام الحوض وأخذ أجزاء منها لسند العمود الفقري حتى لا يقوم الجسم بإفراز صديد جديد حوله، وشاءت الأقدار لي في آخر هذه العمليات أن تقع زجاجة صبغة اليود من يد الطبيب المساعد، فيسقط السائل الحارق على وجهي ورقبتي ويصيبها بالحروق، وعانيت بعد ذلك ألما قاسية في الظهر والحوض والوجه والرقبة، وتوفى طبيبي المعالج إلى رحمة الله وافترقنا إخلاصه ودرأيته بحالتي، ومضى بعض الوقت حتى تعرف خالي بالمصادفة على طبيب شاب يدرس نفس هذه الحالة، فتولى علاجي وأنقذ حياتي حين أخرج من جسدي ١٣ غرزة بخيوط الجراحة كان من المفترض أن تتحلل داخل الجسم، لكنها لم تتحلل واستمرت رحلة العذاب هذه منذ اللحظة التي شكت فيها أمي في سلامة ظهري إلى أن أذن الله بالشفاء وانتهاء المعاناة خمس سنوات كاملة استغرقت أجمل الأعوام من سن التاسعة إلى الرابعة عشرة، وحرمت طولها من النوم الطبيعي بسبب ما عانيته من آلام، فإذا سكنت الآلام بعض الشيء أطار النوم من عيني بكاء أمي وابتهاال أبي إلى الله داعيا لي بالشفاء، كما لم يغب عن مخيلتي أبدا ولن يغيب إلى النهاية وجه أخي وهو يضرب رأسه في الحائط تألما وضيقا حين رأى وجهي محترقا بسبب صبغة اليود وطوال هذه الأعوام الخمسة لم أتخلف عن مواصلة الدراسة، وبعد انتهائها بسلام اجتزت الثانوية العامة والتحقت بكلية نظرية مرموقة ووفقتي الله في النجاح والحصول على شهادتها بتقدير جيد جدا، وكان ذلك من فضل الله وبفضل أبي وأمي اللذين لم يدخرنا وسعا في رعايتي وعلاجي في أفضل المستشفيات وعرضي على أكبر الأطباء، فإذا كنت قد أسيت لشيء في كل ما لقيت من عناء، فعلى أنني لم أستمتع بالسنوات الجميلة في حياة كل ابنة - أو ابن، فلم استمتع ببراءة الطفولة ولا شقاوة سنوات المراهقة، ودخلت مرحلة الشباب والدراسة الجامعية وأنا أخشى العلاقات الاجتماعية حتى لا أضع نفسي موضع تساؤل قد يجرني أو يجرني، كما لم أفكر في الارتباط بأي شاب حتى لا أثير موضوع الجراحات مع أحد، إلى أن ساق

القدر لي وأنا في السنة النهائية بالجامعة زميلا لي في نفس القسم عبر لي عن إعجابه بي وانبهاره بهدوني ورقتي وصارحني برغبته في الارتباط الرسمي بي، ففتح بذلك باب الأمل أمامي، ودعم ثقفتي به وشجعني ذلك على أن أروى له قصتي مع الجراحات التي أجريتها واستقبل هو كل ذلك بهدوء تام، لكن والدته قابلت رغبته في الارتباط بي بإعلان الحداد العام وعارضت اختياره لي وإصراره على الارتباط بي بشدة متناهية واتهمته بأنه يحب فتاة قد تكون عاجزة أو معوقة ولم يكن ذلك صحيحا لأن هذه الجراحات أجريت لي منذ عشر سنوات ولم يكن من الرحمة أو العدل أن تعاقبني على ما لا ذنب لي فيه، كما أهانتني والدته سامحها الله وأهانت أسرتي بدلا من أن تقدر لأبي وأمي ما بذلاه من جهد في رعائتي وعلاجي وإسعادي وصورت الموقف على أنني قد نصبت لابنها فخا وقع فيه باستدراري لعطفه لكي يرتبط بي، وانتهى الأمر بأن عجز هذا الشاب عن تحمل ضغوط أمه عليه، فاعتذر لي عما سببه من آلام وغادر البلاد كلها للعمل في الخارج.

فإذا كنت قد وجدت في نفسي القدرة على أن أروى لك قصتي هذه فلكي أقدم لأبي وأمي أطال الله عمريهما بعض ما يستحقانه من شكر وعرفان لما قدماه لي من عناية واهتمام وحنان لو ظللت بقية العمر اشكرهما على ما قدماه لي فلن أفيهما بعض حقهما على، ولا أملك إلا أن أدعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظهما من كل سوء ويهبهما الصحة وطول العمر، وكذلك لكي أقول لك ولقرائك أن الإيمان بالله وقوة الإرادة، كانا السر الحقيقي فيما أنا فيه الآن من نعمة الصحة والتوفيق في الدراسة، والحياة السعيدة بين أبي وأمي وأخي حفظهم الله لي، كما أنني لست ساخطة على أقداري ما دامت إرادة الله سبحانه وتعالى هي التي اختارتني لهذا الاختبار الصعب، وها أنا الآن في أتم صحة وعافية وقد حققت الكثير من النجاح في حياتي العملية، وما زلت أتشوق للمزيد فإذا كنت أشعر ببعض الأسى على السنوات الجميلة التي ضاعت في المعاناة والألم فأني أرجع إلى نفسي من جديد وأرى الجوانب المضيئة حولي من حب أبي وأمي وأخي لي وتوفيق الدرسي.. وأحمد الله على كل شيء.. وأرجو رحمته وفضله والسلام عليكم ورحمة الله.

ولكاتبه هذه الرسالة أقول:

إذا كنت تأسين على سنوات العمر الجميلة التي تبددت في المعاناة والآلام، فليسوف تهديك الأقدار الرحيمة ما هو أجمل منها في قادم الأيام بإذن الله، وليسوف تنهال عليك جوائز السماء فتمسح على كل الأحزان وتعوضك عن كل ما قاسيت من آلام، ولا عجب في ذلك يا أنستي، فانت تملكين كل مؤهلات السعادة والتوفيق في الحياة إن شاء الله. ومن أهمها هذه النفس الرضية الراضية بأقدارها وبكل ما تحمله إليه أمواج الحياة، وهذا القلب العطوف الذي يتسع لحب الأبوين والأخ الوحيد ويذكر لهم كل ما قدموه له.. ويتفاعل بالحياة بالرغم مما شهدته رحلة العمر من بعض الأحزان.

كما أنك يا آتستي قد دفعت ضريبة الألم مبكرا واستوفيت حتى الآن نصيبك من المعاناة، وكل ذلك لابد له أن يرشحك لنيل نصيبك العادل من السعادة والهناء، ولم يبق لك إلا انتظار الأقدار السعيدة والتهيو لاستقبالها قريبا بإذن الله، ولسوف تكون سعادتك حقيقية كما كانت آلامك من قبل حقيقية ولسوف يكون احتفاؤك بها واستشعارك لكل لمحة من لمحاتها صادقا ومضاعفا بإذن الله، لأننا نعرف الأشياء بأضدادها وندرك قيمة الصحة حين نمتحن بالمرض، وقدر الأهل حين يغيبون عن حياتنا، ويزداد إحساسنا بقيمة السعادة حين نكون قد تجرنا من قبل كؤوس الشقاء، فأما أهم ما يرشحك لنيل سعادتك المستحقة، من بعد إيمانك بربك ورضاك بأقدارك، فهو هذا الإحساس الغامر بالعرفان لأبويك والإدراك العميق لقيمة ما قدماه إليك من حب وعطف ورعاية واهتمام، فهذا البر بالأبوين والوفاء لهما من أهم مؤهلات السعادة والتوفيق في الحياة، ونادرا ما نعم إنسان بهما في حياته إذا كان قلبه قد خلا من البر بأبويه والعطف عليهما، فإن صادف أحد الجاحدين لأبائهم وأمهاتهم بعض مظاهر التوفيق في الحياة، فإنما لكي يملئ الله سبحانه وتعالى له، قبل أن يأخذه ذات يوم أخذ عزيز مقتدر، أو قبل أن يذيقه مرارة ما أذاقه هو لأبويه من مرارة الجحود على أيدي أبنائه من الجاحدين، فيندم حين لا ينفع الندم، ويرجو لو كان العمر قد طال بأبويه ليصلح ما أفسده بجحوده لهم.

ولقد ذكرتني كلماتك الطيبة عن أبويك، وإحساسك النبيل بأنك لو قضيت العمر تلهجين بشكرهما على ما قدماه إليك لما وفيتهما بعض حقهما عليك، بما قيل عن أوفي الطيور بأبويه وهو طائر الهدد الجميل، فلقد قيل عنه أنه إذا شاخ أبواه حمل إليهما الطعام وراح يزقهما - أي يضع الطعام بمنقاره في منقاريهما. كما كانا يفعلان معه صغيرا، وكما يفعل هو مع صغاره، وزعمت بعض الأساطير أن التاج الذي يحمله على رأسه هو رمز لبره بأبويه ووفائه لهما، فقد قالت الأساطير أن أمه قد ماتت في الزمن القديم وحملها على رأسه حتى واراها التراب فكافأه ربه على بره بأبويه بان منحه تاجا من الريش يزدان به ويكون رمزا لوفائه.

فهنيئا لك يا ابنتي بتاج الوفاء الذي تحمليه الآن على رأسك وهنيئا لك بما سوف يرشحك له من سعادة وتوفيق في الحياة بإذن الله. فإذا كانت تجربة الارتباط الأولى في حياتك قد خلفت وراءها بعض الجراح، فلعل الأقدار تدخرك لمن هو أحق بك وأقدر على إسعادك من الجميع، وعسى أن تكرر هوا شيئا وهو خير لكم الله وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون، صدق الله العظيم.. ولسوف يأتيك ما هو في علمه وحده سبحانه حين يأذن بذلك.. إن شاء الله

## 25- المثل الأعلى

أنا شاب في الثالثة والعشرين من عمري نشأت بين أبوين طبيين مكافحين وأنا أصغر أخوتي حيث تكبرني أختان ثم الأخ الأكبر.

وكان والدي موظفا حكوميا صغيرا بمدينة القريية من القاهرة وتفتحت عيني للحياة فوجدت كل شيء في محيط أسرتنا يدور حول محور أخي الأكبر الذي يتقدم في الدراسة بنجاح وتتعلق به آمال أبي في أن يراه ذات يوم رجلا له شأن فاعتدت منذ صغرى احترام شقيقي هذا ورضعت حبه مع لبن أمي، ورأيت أبي لا يكف عن الإشادة باجتهاد أخي وجديته ورجولته المبكرة ويدعوني أنا وشقيقي لاتخاذ مثل أعلى لنا في الحياة، ويوما بعد يوم أثبت أخي لأبيه أنه عند حسن ظنه به بالفعل فحصل على الثانوية العامة بمجموع كبير، ورشحه مكتب التنسيق للالتحاق بإحدى كليات القمة، وأشفقت أمي على أبي من احتمال نفقات الدراسة المكلفة في هذه الكلية وتساءلت: كيف ستواجهها الأسرة، ومرتب أبي لا يكاد يكفي للنفقات الضرورية فإذا بالجواب يجيء من شقيقي الوسطى التي تلي هذا الأخ في السن، فتعلن لأبي أنها لا ترغب في مواصلة الدراسة لأنها لا تميل إليها وتفضل أن تعمل بالشهادة الإعدادية لتساعده في نفقات الحياة، وحاول أخي الأكبر للأمانة إقناعها بالاستمرار في الدراسة، مؤكدا أنه سيتدبر أمره في القاهرة حين يلتحق بكليته لكنها أصرت على قرارها، وبالفعل توقفت أختي عن الدراسة التي لم تكن موفقة فيها ونجح أبي في إلحاقها بوظيفة مؤقتة في المصلحة الحكومية التي يعمل بها بمرتب بسيط، ونجحت هي في العثور على عمل كسكرتيرة بعيادة أحد الأطباء بعد الظهر، والتحق أخي بكليته وأراد أبي أن يترفق بأختي فاكتفى بمساهمة أختي بمرتبها من الوظيفة الصباحية في نفقات الأسرة، وترك لها أجرها عن الوظيفة المسائية لتنفق منه على نفسها وتدخر بعضه لجهازها حين يجيء ابن الحلال، وشدت الأسرة الأحزمة على بطون أفرادها لكي توفر لأخي نفقات الدراسة، وراح أبي ينتقل من عمل إضافي إلى آخر ليزيد دخله ويشترى لابن الأكبر الملابس اللائقة وأدوات الدراسة والكتب الغالية. وكل ذلك ونحن سعداء ونحلم باليوم الذي سيتخرج فيه شقيقنا ويحقق آمال الأسرة فيه، ولم يخيب أخي ظنوننا فقد راح ينتقل من سنة إلى أخرى بنجاح، وكلما رجع إلينا في الإجازات أنحنى على يدي أبي وأمي يقبلهما، واحتضن شقيقي الوسطى والصغرى، وقبل رأسي وأكد للجميع اعترازه بهم واعترافه بفضلهم عليه.

وحصل شقيقي على شهادته المرموقة وأدى الخدمة العسكرية وعين في وظيفة ممتازة وتخففت الحياة في أسرتنا من بعض جفافها وشدتها، وسعد أبي بما حققه أخي سعادة طاغية، غير أن سعادته هذه لم تطل كثيرا إذ توفاه الله فجأة وهو عائد من عمله المسائي وبكيناه كثيرا وكان أكثرنا حزنا عليه أخي الأكبر.

وكنت عند وفاة أبي استعد لدخول امتحان الشهادة الإعدادية فترزلت حياتي، وكانت النتيجة أن فشلت في الامتحان واستاء لذلك أخي الأكبر وعنفني بشدة



ووعده بان أبذل أقصى جهدي في السنة المقبلة، وفعلت ذلك بالفعل ودخلت الامتحان ونجحت فيه بمجموع ضعيف، ولم يعد من سبيل أمامي سوى اختصار طريق التعليم والالتحاق بمدرسة متوسطة.. وغضب مني أخي لذلك كثيرا وخاصمني بعض الوقت، لكنه نسي غضبه بعد فترة، حين استعطفته أمي على، ومضت الأيام بنا ونحن نتدبر حياتنا بصعوبة بمعاش أبي ودخل أختي الوسطى، ثم جاء عريس لها وقبلت به لأنه زميلها في العمل فرفضت أمي أن توافق عليه قبل أن يرجع أخي ويقرر ما يراه في شأنه. وبعد بعض المداولات وافق عليه أخي وهو كاره لأن وظيفته صغيرة ومرتبته ضئيل وشهدت هذه الفترة من حياتنا بعض المشاكل العائلية، فلقد اشتكت أختي من سوء معاملة أخي لخطيبها.. وقالت إنه يتكبر عليه ويشعره بأنه غير كفاء لمصاهرتة، لكن الأمور مضت في طريقها في النهاية، وتزوجت أختي بإمكانات بسيطة وشعرت ببعض المرارة تجاه أخي لأن مساعدته لها كانت أقل مما قدمته هي له، ودافع هو عن نفسه بأنه مازال في بداية مشواره وأيدته أمي في ذلك ونهت أختي عن الشكوى. أما أختي الصغرى فقد واصلت تعليمها حتى حصلت على الثانوية العامة والتحقت بمعهد فوق المتوسط بمدينةنتنا وفي هذه الأثناء فاجأنا أخي الأكبر بأنه قد تقدم إلى زميلة له في العمل من أسرة عالية المستوى، دون أن يصطحب أمه وأخوته معه في طلب يدها، مكتفيا في ذلك بقريب لنا من بعيد يعمل بالقضاء!

وحزنت أمي لتجاهلها في هذه المناسبة التي كانت ترقبها لتسعد بها وشعرت شقيقتاي بالمرارة والإهانة. أما أخي فإنه لم يزد على أن قال في ضيق إنه فعل ذلك لكي يوفر علينا مشقة السفر للقاهرة!

لكن الإشارة لم تخف على أحد، وأحسنا جميعا أن شقيقنا الأكبر الناجح لا يرانا لانقين اجتماعيا لمصاحبتة في خطبة فتاة من أسرة راقية.

وأكدت الأيام لنا بعد ذلك توجساتنا فلقد مضى في بقية الخطوات بغير أن يدعونا لمشاركته فيها، إلى أن حل موعد الزفاف، فدعانا إليه، ورأينا مسكن الزوجية الذي كان قد حصل عليه قبل عامين لأول مرة وشهدنا أثاثه الجميل، وعرفنا أنه يعمل بمكتب مهني بعد الظهر، وإن الله قد أكرمه على اجتهاده ويسر له طريقه، وذهبنا إلى حفل الزفاف فوجدنا أنفسنا فيه غرباء لانعرف أحدا ولا يعرفنا أحد وانزويانا في ركن من الصالة في خجل وانتهى الزفاف وسافرنا في الليل عاندين إلى مدينتنا، ورجع أخونا وعروسه إلى مسكن الزوجية.

ومضت الأيام فلاحظت أمي تباعد زيارات أخي لنا.. وتعمدته أن يجيء وحيدا بدون زوجته كل مرة، كما لاحظت أيضا أنه قد كف يده عن مساعدتها بأي مبلغ بحجة أنه مدين ببعض ديون الزواج ومضت الأيام في طريقها فأصبح العام الطويل يمضي دون أن يجيننا أخي مرة واحدة، ودون أن يسأل عنا، وأصبحت الصلة الوحيدة بيننا وبينه هي المكالمة التليفونية كل شهرين أو ثلاثة، وحصلت أختي الصغرى على شهادتها فوق المتوسطة وأكرمها ربها بالعمل وبدأت تساعد نفسها، ثم جاءها خاطب مناسب فطلبت مني أمي الاتصال بأخي ودعوته للحضور لمقابلة الخطيب والتفاهم معه، واتصلت به في بيته، فأجابني في ضيق بأنه

مشغول ولن يستطيع الحضور قبل شهر أو شهرين وأبلغت أمي الرسالة فاكتابت وأوصتني بالأبلاغ اختي بها، وبعد ثلاثة أيام طلبت مني السفر إلى القاهرة ورجاء أخي أن يرجع معي ليقابل خطيب أختي ولو مدة ساعة فقط ثم يرجع لحياته مرة أخرى، وأعطتني أمي عشرين جنيها لمصاريف السفر، وركبت الأتوبيس للقاهرة وتوجهت إلى بيت أخي وطرقت الباب ففتحته لي زوجته وحييتها بمرارة ففوجئت بها تسألني في تجهم من أنت؟

وصدمت للحظات لكنني التمسيت لها العذر لأنها لم ترني سوي في الزفاف، وقدمت لها نفسي، فرحبت بي في تحفظ وقادتني للصالون ثم اختفت داخل الشقة وجلست وحيدا انتظر لمدة نصف الساعة دون أن يظهر أحد، وأخيرا جاء أخي مرتديا البيجامة والروب ومتجهم الوجه فتهللت لرؤيته وهممت باحتضانه وتقبيله لكن جموده منعني من ذلك، وحييته فرد التحية باقتضاب وسألني عما جاء بي فأبلغته الرسالة وأنا في قمة الحرج والارتباك فقال لي إنه لم يكن هناك داع لحضوري من مدينتي لهذا الغرض وحده، وأنه سيحاول إكراما لأمننا أن يأتي بعد أسبوعين، ثم سألتني هل معك نقود للعودة؟

فأجبتة بالإيجاب فنهض وقادني إلى باب الشقة وهو يطلب مني إبلاغ تحياته لأمي وأخوته، وينصحني بالسفر على الفور قبل أن تتوقف المواصلات! وغادرت مسكنه وأنا في قمة الخجل والاضطراب.

ورويت لأمي ما حدث فبكت وطلبت مني أن أسامحه.. لكنني طمأنتها إلى أنني لست حاقدا على أخي أو غاضبا منه، لأنه أخي في النهاية.. وفي مقام والدي مهما فعل.

وجاء أخي لمقابلة خطيب أختي الصغرى.. ولم تجرؤ أمي بالرغم من كل شيء على معاتبته على شيء لأنها ضعيفة معه واكتفت بالترحيب به، وانتهى الموقف بالموافقة على الخطيب والاتفاق معه على التفاصيل.

وتجرات أمي فطلبت من أخي بعض المساعدة في جهاز أختي لأنها عملت قبل عدة شهور فقط ولم تدخر الكثير فأشار برأسه متجهما أنه سيفعل ما تسمح به ظروفه وخلال فترة إعداد الجهاز أرسل أخي مساعدته وكانت مبلغا أقل بكثير مما توقعته أمي لكنها بالرغم من ذلك دافعت عنه بأن عليه مسئوليات كبيرة خاصة بعد أن أنجب طفلا.. واقترضت أمي وأختي الصغرى من كل أقاربنا، وقامت أختي الوسطى بعمل جمعية ادخار من أجل أختها رغم ظروفها القاسية وكثرة أعبائها كأم لطفلين وتزوجت في النهاية وتنفسنا الصعداء وخلال ذلك كنت قد حصلت على شهادتي المتوسطة.. والتحققت بالخدمة العسكرية وجاء تجنيدي في موقع قريب من القاهرة فأمضيت فترة التجنيد كلها معتمدا على ما تعطيه لي أمي من نقود قليلة وعلى ما أحصل عليه بالعمل في مقهى مدينتنا خلال أيام الإجازات، ولم أفكر مرة واحدة في اللجوء إلى أخي. وفضلت أكثر من مرة حين لا أجد وسيلة مواصلات في الليل، المبيت في محطة السكة الحديد انتظارا لقطار الصباح، على أن أذهب إلى بيته للمبيت فيه تخوفا من إحراجه أو من جفاء

المقابلة منه ومن زوجته وانتهت فترة الخدمة العسكرية بخيرها وشرها ووجدت عملا مؤقتا في مدينتي بمائة وخمسين جنيها في الشهر وحمدت الله سبحانه وتعالى على ذلك خاصة وقد خلا بيت الأسرة على وعلى أمي بعد زواج الأخت الصغرى، وأصبح معاش أمي ومرتبتي كافيين لنفقات الحياة، ولقد كان من الممكن أن تستمر حياتنا هادئة لولا أن أمي والأختين لا يكففن عن الشكوى من تباعد أخي الأكبر عنا.. ومرور الشهور الطويلة دون أن يسأل عنا بمكالمة تليفونية في بيت الجيران، أو يصل رحمه معنا، ودون أن نزوره بالطبع لأننا جميعا قد تعلمنا الدرس ووعيناه كما مرضت أمي بالسكر والضغط والمرارة، وقمت والحمد لله بخدمتها وعلاجها ووقف معي في كل أزمة صحية لها زوجها شقيقتي اللذان لا يتأخران عنى إذا طلبتهما في أي وقت من الليل أو النهار، ولقد أصبح لأخي طفلان عمر أكبرهما 6 سنوات وأصغرهما خمسة أعوام ولم نرهما إلا ثلاث مرات طوال عمريهما وبعد إلحاح شديد من أمي على أخي لكي يحضرهما معه لساعات.. أما زوجته فلم تدخل بيتنا المتواضع في مدينتنا ولا بيت أختي الوسطى أو الصغرى، والأمر الذي دعاني للكتابة إليك هو أنني قد ارتبطت بفتاة متدينة من جيراننا أحببتي بالرغم من ظروفنا البسيطة وأحببتها، ووالدها مدرس بالتعليم ورجل متدين وفاضل وقد رحب بي مبدئيا رغم علمه بأنني لا أملك شيئا ولا أستطيع توفير مسكن آخر سوى مسكن أمي، وكان شرطه الوحيد لكي يقبل إعلان الخطبة هو أن يجيء أخي الأكبر مع أمي والأختين لكي يطلب يد ابنته منه. ووعده بذلك واتصلت بأخي وأبلغته بما حدث فرد على بجفاء يسألني ولماذا الاستعجال؟ ومن أين ستتوافر لك نفقات الشبكة والمهر والزواج؟ ثم طالبني بتأجيل التفكير في الزواج نهائيا لعشر سنوات على الأقل لكي أبنى نفسي وبعدها يحق لي أن أفكر فيه، وفشلت في إقناعه بالحضور واتصلت به بعد ذلك فتحدث معي بجفاء أشد وأكد لي رفضه الحضور وقال لي إنني إذا كنت مصرا على الخطبة فلأتقدم بدونه إلى والد فتاتي مع أنني أكدت له أنني لا أريد شيئا منه سوى الحضور بسيارته إلى مدينتنا لبضع ساعات يقابل خلالها والد فتاتي ويطلب يد ابنته منه، فيشعرنى بأن لي أبا أتشرف به بعد والدي يرحمه الله.

وأقسمت له أنني لن أطالبه بأي شيء آخر بعد ذلك، فأنا رجل وأعمل وقد رجعت إلى العمل في المقهى في المساء كل يوم لكي أدخر ثمن الشبكة، ووالد فتاتي لا يرى في ذلك أي بأس ويقول لي إن كل عمل شريف يستحق الاحترام.. وإن الكفاح في الحياة شيء جميل.

ولست أريد من أخي هذا سوى ألا يخذلني أمام والد فتاتي ويشعره بأنني مقطوع من شجرة وليس لي «كبير» يرجع إليه ويرتبط معه بكلمة.. إنني أرجو أن تقول له إنني وأمي وشقيقتي نحبه مهما بعد عنا، وإذا كان هو لا يفخر بنا بسبب ظروفنا البسيطة التي لا نذب لنا فيها فإننا نحن نفخر به لأنه أخونا أولا، ولأنه ثانيا قد اجتهد وحقق لنفسه ما يستحقه ولكل مجتهد نصيب.. ونحن راضون بنصيبنا في الحياة ولا نحسده على نصيبه منها لأنه كافح واجتهد لكي يحصل على ما يريد لكنه لا يصح أن يتكبر علينا ويبتعد عنا لمجرد أننا بسطاء

الحال، فنحن أهله الذين يسوؤنا كل ما يسوؤه ويسعدنا كل ما يسعده، ونخاف عليه من أي سوء لأن الدم لا يتحول إلى ماء أبدا يا سيدي، فهل تستطيع أن تقول له ذلك! وهل تستطيع أن تقول له إنني شاب ومن حقي أن ارتبط بفتاة تحبني وأحبها مثلما ارتبط هو بزوجته، ولا يحرمني من هذا الحق إنني موظف بسيط الحال ولست جامعيًا ومهنيًا ناجحًا مثله لأن لي في النهاية قلبًا يخفق ويحب الخير له ولكل الناس ولا يحمل حقدًا لأحد وهل تستطيع أن تقول له إنه من الخير لي ولأمي ولأخوتي أن يجيء لمقابلة والد فتاتي ويتنازل عن شرط السنوات العشر هذا لأن فتاتي لن تنتظرنني كل هذه السنين الطويلة وأعاهد الله وأعاهدك أنني لن أكلفه جنيهاً واحداً من نفقات زواجي!

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

شقيقك الأكبر يا صديقي يتحسب لأن يضع يده في يد والد فتاتك فيصبح مسئولاً من الناحية الأدبية على الأقل، عن وفائك أنت بما سوف يرتبط هو به معه من التزامات مادية بشأن الشبكة والمهر وما إلى ذلك من شئون الزواج. لكن ذلك لا يبرر له أبداً أن يجحد حقك عليك كشقيق أصغر له في أن يكون معك حين تطلب يد فتاتك ولا أن ينكر عليك حقك المشروع في أن يخفق قلبك بحب فتاة ترغبها وترغبك وتقبل بكل ظروفك، وتبدى استعدادها للصبر عليك إلى أن تتدبر أمرك، فالارتباط المشروع ليس حكراً على الحاصلين على الشهادات الجامعية المرموقة الذين يعملون عملاً مهنيًا مربحاً كأخيك، وإنما هو حق لكل شاب شريف يرغب في إعفاف نفسه ويكافح بإخلاص للارتقاء بحياته ويعتمد على طاقته وشبابه في تحقيق أماله، ولا ينتظر من الآخرين أن يكافحوا نيابة عنه لتحقيقها له، ومادامت فتاتك ترغب فيك وتتفهم ظروفك ووالدها يرحب بك ويشجعك على كفافك فماذا يضير هذا الأخ الأكبر في أن يشرفك أمام أصهارك الجدد، ويشعرهم بكرامتك الإنسانية وعزتك العائلية في مثل هذه المناسبة الجليلة في حياتك؟

إن الإنسان تشتد حاجته إلى أهله في مناسبتين أساسيتين من مناسبات الحياة هما الزواج والموت. وذوو الفضل والرحمة هم الذين ينهضون بغير دعوة لموازرتهم والوقوف إلى جانبه في كل من هذين الموقفين.. وفي مثل ظروفك فإن هذه الموازنة التي تتطلع إليها من أخيك هي موازنة معنوية وأدبية في المقام الأول مهما اشتدت هواجسه هو من احتمال تورطه في بعض الأعباء المالية، إذ إنه حتى ولو صدقت هذه الهواجس بعد حين ووجد نفسه مضطراً لمساعدتك في بعض هذه الأعباء، فماذا يقض مضجعه إلى هذا الحد في ذلك، ولقد كانت مساعدته لأخته التي أسهمت إسهاماً مباشراً في تدبير نفقات تعليمه وتخرجه في كليته المرموقة أقل كثيراً مما كان يقتضيه الوفاء والواجب العائلي أن تكون عليه مساعدته لها، وكانت مساعدته لأخته الصغرى التي تحملت مع بقية الأسرة جفاف الحياة وشد الأحزمة على البطون لكي يصنع هو نجاحه، أقل من القليل الذي كان يرجى منه، فكيف ستكون إذن مساعدته لك لو اضطرت الظروف لها

وأنت الرجل الذي يكافح بشرف ليتحمل مسؤولياته.. وتؤكد له من الآن أنك لا تنتظر منه شيئا!

إنه لو فعل ذلك.. لما كان ذلك تفضلا منه، وإنما وفاء بحقكم عليه وقد شاركتم جميعا في صنع نجاحه، بتحملكم لقسوة الحياة سنوات عصبية توجت خلالها معظم موارد الأسرة إليه خلال فترة دراسته الجامعية وفيما قبل ذلك أيضا.. فما وجه العجب وقد من الله عليه بفضلته في أن يعين أخا مكافحا له على أمره ولو كان ذلك من زكاة ماله والأقربون أولى دائما بكل معروف من غيرهم!

وما هذا التعالي والجفاء والتكبر الذي يعاملكم به وكأنه قد خرقت السماء طولا لمجرد أنه قد انتشل نفسه باجتهاده من ظروفكم البسيطة ورقى درجة من درجات السلم الاجتماعي!

وكيف تكون الأم والإخوة هم من يستشعرون هذا التكبر والغرور في أخيه المرموق، وهم أحق الناس بحبه واعتزازه بهم وعطفه عليهم؟ إن شقيقك هذا قد يصلح لأن يكون «مثلا أعلى لكم» في الاجتهاد والكفاح ومغالبة الظروف القاسية للارتقاء إلى حياة أفضل.. لكنه لا يصلح أبدا لأن يكون مثلا أعلى لأي أحد في البر بالأبوين وصلة الأخوة وصلة الرحم وفضيلة التواضع والفهم الصحيح لحقائق الحياة، ذلك أنه إذا كان التكبر مذموما على إطلاقه مع كل البشر تواضعا لله سبحانه وتعالى، واعترافا له بأنه وحده سبحانه وتعالى من يحق له التكبر دون بقية خلقه، فإنه على الإخوة والأقربين ليس مذموما فقط وإنما إثم كبير لأنه يمزق الرحم التي أمر الله بها أن توصل ويغرس المرارات والأحقاد في أعماق أحق البشر بصفاء نفوسهم تجاه بعضهم البعض وبتوادهم وتراحمهم وتعاطفهم.

إنني أحبب فيك صفاء قلبك تجاه أخيك بالرغم مما نالك منه من مجافاة وإبعاد، لكني على الناحية الأخرى لا أفهم سر هذا الضعف الغريب في التعامل معه من جانب والدتك التي لم تجرؤ حتى على معاتبته على سوء استقباله لك حين زرتة في بيته، ولا على تحريمه بيته عليك وعليكم جميعا وكأنما قد خرج من جلده وأصبح شخصا آخر لمجرد تحسن أحواله الاجتماعية والمادية عنكم، ولو لامته والدتك على هذا التجافي الذي يبديه نحوكم لما حق له أن ينكر عليها ذلك، ولو غضبت عليه وحرمته من رضاها عنه لاستحق هذا العقاب المعنوي كل الاستحقاق ولربما نغص الإحساس بالذنب تجاهكم عليه حياته، ورده إلى الطريق القويم فتخلصوا جميعا من هذا الضعف والانكسار تجاهه. وتعاملوا معه كما تتعامل الأم مع ابنها والأخ والأخت مع أخيه، ولست أطلبكم بمقاطعته.. وحاشاي أن أنصح بقطيعة رحم وإنما أطلبكم فقط بمعاتبته ومحاسبته محاسبة الأخ لأخيه والأم لابنها مهما علا قدره عن مجافاته لكم وإبعادكم عنه وعن طفليه وزوجته.. كما اطلبكم أيضا بإشعاره باستغنائكم المادي النهائي عنه لكي تهدأ هواجسه مادام قد رضى لنفسه ذلك فلربما يعيد النظر في موقفه منكم ويظمن قلبه إلى إنكم إنما تحتاجون إليه إنسانيا فقط كما يحتاج هو إليكم عسى أن يفيق من غفلته قبل فوات الأوان ويدرك أنه مهما طاول الجبال طولا فإن مصيره

في النهاية إليكم وإلى مقابر الأسرة في مدينتكم حيث لن يقوم به وينتخب عليه ويتلقى العزاء فيه بعد عمر طال أم قصر.. سواكم.

لقد أحقنتني رسالتك هذه وما رويته فيها من مظاهر تكبر أخيك على أقرب الناس إليه وإبعاده لهم عنه ومجافاته لهم وتغطرسه عليهم، فتساءلت أي شيء في الوجود يبرر للإنسان أن يعتز بنفسه بعض هذا الاعتزاز ويستشعر الكبر والتعالي على أصله؟

لقد روى لنا ابن القارح في رسالته إلى أبي العلاء المعري التي رد عليها شاعر المعرفة برسالته الشهيرة: رسالة الغفران، إن زاهد الكوفة ابن السماك قد دخل على الرشيد وفي يده كوب من الماء يهم بشربه، فسأله الرشيد أن يعظه، فأشار السماك إلى كوب الماء في يد الخليفة وقال له: رأيت لو قدر الله عليك العطش ثم قال لك لن أمكنك من شرب هذا الكوب إلا بنصف ملكك، أكنت فاعلا ذلك؟ فقال الرشيد: نعم، فقال ابن السماك: أشرب هناك الله. فلما شرب قال له: رأيت يا أمير المؤمنين لو قدر الله عليك فقال لك لن أمكنك من إخراج هذا الكوب إلا بملكك كله أكنت فاعلا ذلك؟ فقال الرشيد: نعم. فقال له زاهد الكوفة: إذن.. فاتق الله في ملك لا يساوى إلا إخراج بعض الماء!

فإذا كان هذا ثمن ملك هارون الرشيد الذي كان يقول للسحابة الهائمة في السماء: أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك فأى «معجزة» حققها شقيقك في حياته لكي يرى في نفسه ما يدعو به إلى الاستعلاء بها على أمه وإخوته وأهله؟

يا صديقي الشاب لقد قلت لشقيقك كل ما يعقل الحرج قلمك عن أن يقوله.. فإن لم يكن كل ما قيل كافيا لأن يعيده إلى رشده وإنسانيته، فلن يجدي معه قول آخر.

وانصحك في هذه الحالة أن ترجو والد فتاتك الرجل المتدين الفاضل أن يتنازل عن شرط التعامل مع شقيقك هذا ويكتفى بك وبوالدتك وشقيقتيك وزوجيهما ففيهما الكفاية كل الكفاية، إذا أبي أخوك لنفسه هذه «الكرامة» التي تكرمونه بها وتعلون بها من قدره أمام الآخرين.

فجزاء من يأبى لنفسه مثل هذه الكرامة.. أن يحرم منها.

وحسبه ما يعميه غروره وتكبره عن أن يعتز بمن يعتزون به يتشرفون بالانتساب إليه ويعتبرونه نجم الأسرة الوحيد أن يحرم نفسه بيده من مثل هذا الإحساس الإنساني الثمين، ذلك أننا في النهاية لا قيمة حقيقية لنا إلا لدى من يحبوننا ويعتزون بنا وتنطوي صدورهم لنا على مشاعر الحب والإكبار والإعزاز، وفيما عدا هؤلاء فلسنا بالنسبة لغيرهم سوى ذرات سابحة في فضاء الكون السحيق.. لا يشعرون شعورا حقيقيا بها ولا يفتقدونها إذا غابت.

فكيف يباعد ذو قلب حكيم من لا قيمة له إلا لديهم ويقرب من لا يساوى لديهم في الميزان الحقيقي شروي نقيير؟

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

# متميزون للكتب النصية





## الفهرس:

المقدمة..

1- صوت من السماء..

2- الضوء المبهر

3- النفس الممرورة

4- عودة الثقة

5- بداية القصة

6- شاطئ الحكمة

7- سنوات الحرمان

8- جمال الذكرى

9- الصرخات العالية

10- القرار السليم

11- مواقف الحياة

12- الحياة الجديدة

13- الأسئلة القاسية

14- الزيارة العصبية

15- كتم الأنفاس

16- الفوز الحقيقي!

17- إعادة الاختيار

18- الإجابة غير المرضية!

19- الضغط المعنوي

20- الكنز المفقود!

21- الصفحة البيضاء

22- قبل البداية!

23- الملابس الكاملة

24- السنوات الجميلة

25- المثل الأعلى

الفهرس: